

الإنسان الحائر بين العلم والخرافة

د. عبد المحسن صالح



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

اهداءات ١٩٩٩
م/ منصور الحسيني
ج/ سمير احمد عنبر



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

الإنسان الحائر بين العلم والخرافة

د. عبد المحسن صالح

١٥ ـ ربيع الاول / ربيع الآخر ١٣٩٩ هـ ـ مارس (آذار) ١٩٧٩ م

المراسلات:

توجه باسم السيد الامين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

الإنسان الحائر بين العلم والخرافة

تأليف

د. عبد المحسن صالح

تمهيد

مثل المجتمعات البشرية في نموها وادراكها ، كمثل طفل جاء الى الحياة ليمر بمراحل عديدة ، فيتطور فيها نموه ، وتزيد تجاربه ، وتتسع مداركه ، وتصقل معارفه .. صحيح ان الانسان ــ كفرد ــ يولد وينمو ويتعلم ويتزوج ويهرم ثم يموت ، لكن المجتمعات لا تندثر ولا تموت ، فهي دائما تجدد نفسها عن طريق التناسل والتكاثر ، ومن هذا التجدد تأتي أجيال من وراء أجيال ، وبذلك ينتشر النوع ، ويشتد عوده في الزمان والمكان .

واذا كانت مراحل عمر الفرد منا تقاس بالسنوات او بعشرات السنوات ، فان المراحل التي تمر بها الدول والمجتمعات تقاس بمئات او ربما بآلاف السنوات ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل يكتسب افرادها مفاهيم جديدة ، وخبرات عديدة ... الخ ، حتى تقع بين ايدينا ــ في النهاية ــ على هيئة تراث بشري تمتد جذوره في اعماق الزمن .

على ان الدارس لنشأة المجتمعات البشرية ، وانماط سلوكها ، وضروب افكارها ، سوف يضع يديه على حصيلة هائلة من الافكار الغريبة ، والتقاليد المثيرة ، ومعظمها ــ بلا شك ــ قد نبع من تفاعل الانسان مع البيئة الطبيعية التي يعيش فيها .. فلقد رأى الانسان القديم مثلا من ظواهر الطبيعة امورا حيرته اشد حيرة ، فأثارت مخاوفه ، وشحذت خياله ، ومن ثم فقد بدأ في استنباط تفسيرات تتلاءم وادراكه البدائي او البسيط ، ومن هذه التفسيرات الخاطئة للظواهر الكائنة ، نبتت الخرافات ، وترعرعت الخزعبلات، وانتشرت الاساطير في كل المجتمعات !

اذ مما لا شك فيه أن الانسان القديم ـ وحتى الى عهد حديث نسبيا ـ قد اصطدم بظواهر طبيعية وبيولوجية وفلكية كالتي نراها في عصرنا الحاضر ، فرأى رياحا تزمجر ، وبرقا يلمع ، ورعدا يجلجل ، وصواعق تشعل النيران في الاشجار والغابات فتحرق وتدمر ، وسحبا تنطلق وتمطر ، ومياها تندفع كالطوفان فتكتسح وتغرق .. ثم اذ بالارض ـ بين الحين والحين ـ ترتجف تحت اقدامه في زلازل تهزه هزا فتنشق الارض ، وتدمر الجبال .. واذ ببركان يثور هنا وهناك ، فيلقي من جوفه حمما وسعيرا تتصاعد ادخنته الى عنان السماء .. كل هذه الامور وغيرها ، لا ريب انها افزعته واخافته ، وطبيعي انه لا يستطيع أن يدرك مغزاها ومعناها كما ندرك نحن ذلك في ايامنا الحاضرة ، ومن هنا تجسدت في خياله قوى اسطورية اكبر منه واعتى ، فارجع ما رآه ـ الى آلهة واشباه آلهة تمسك بمقاليد الامور ، وتتحكم في الامطار والبرق والرعد والزلازل والبراكين والرياح .. الخ ، ومن ثم فقد اخترع لكل ظاهرة من هذه الظواهر الها ، فكان اله البرق ، واله الرعد ، واله النيل ، واله الخصب ... الخ ... الخ .

وعندما كان الانسان البدائي يهجع الى كهفه لينام ، تأتيه الرؤى والاحلام ، ولا شك انه قد تحير لهذه الظاهرة اعظم حيرة ، فارجع ما يراه اثناء نومه الى روحه التي تترك جسمه ، وتتجول هائمة على حريتها ، وقد يرى ـ ضمن ما يراه في منامه ـ امواتا وكانما هم قد عادوا الى الحياة ، وقد يتراءى له من بينهم انسان ربما يكون النائم قد ازهق روحه ، فيعود اليه في حلمه ليعاتبه أو يطارده ، او يهجم عليه ليقتله ، وعندئذ قد يقوم النائم فزعا لما رأى ، وقد يقص ذلك على اترابه ، ويبدأ الخيال في نسج أساطير تشرح تلك الظاهرة الغريبة ، فيعتقد أن هناك ارواحا هائمة ، ومن هذه الارواح الطيب والشرير ، ثم ان هذه الارواح لا تترك دنياها ، بل تجيء بين الحين والحين لتزور الاحياء وهم نيام .. الى اخر هذه التفسيرات التي تتناسب بقدر ما تطور العقل وادرك !

ومن حصيلة هذه الظواهر المتباينة ، سيطرت على الانسان القديم اوهام شتى ، لكن هذه الاوهام لم تختف حقا في عصرنا الحاضر .. ذلك ان الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع ان يتخيل .. انه مخلوق بطبعه خيالي .. صحيح انه لا يستطيع ان يهضم كثيرا هذه التفسيرات الساذجة التي جاءته من اسلافه القدامى ، ولا ان يرتاح كثيرا لاساطيرهم الغريبة ، الا انه اصطدم ايضا ببعض ظواهر طبيعية وبيولوجية وفلكية وصناعية (اي من صنع يديه هو) حديثة ، ولجهله بطبيعتها ، بدأ يفسرها تفسيرات هي اقرب للاساطير القديمة منها الى التفسيرات العلمية الحديثة .

اي ان لكل عصر خرافاته .. ولكل بيئة أساطيرها ، لكننا لن نتعرض في هذا الكتاب للفكر القديم في تفسيره للظواهر التي لم يستطع لها تعليلا ، فما أكثر ما كتب في هذا الموضوع ، لكن مكتبتنا العربية تخلو حتى الان ــ وعلى قدر علمنا ــ من كتاب علمي جاد يتناول تفسيرات لما وقر في عقول هذا الزمان من خرافات حديثة اتخذت ميدان العلم لها ستارا لتصول فيه وتجول ، رغم ان العلم بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب !

والخرافات الحديثة هي ــ بلا شك ــ نتيجة للانشطة المختلفة التي يعيش فيها الانسان الحالي ، وقد يكون لهذه الخرافات جذور قديمة ، لكنها اتخذت نغمة اخرى لتساير عصرنا هذا ، ومما زاد الطين بلة ان الغالبية العظمى من اجهزة التثقيف والاعلام عندنا وفي كثير من دول الشرق والغرب ايضا لا زالت تروج للعديد من الخزعبلات او المزاعم الضارة .. فبدلا من ان تكون اداة توجيه وترشيد وتحكيم بين الغث والسمين ، والحق والباطل ، والصواب والخطأ ، بدلا من ذلك نراها تنشر بين الناس مزيدا من امور الدجل والشعوذة والظواهر الشاذة ، وتحاول ربطها بعلومنا الحديثة .

فالذي يتحدث عن الخزعبلات والخرافات ، ويرجعها الى ما يسميه بالمعجزات ، لا يدرك شيئا من نواميس الكون والحياة ، فالمعجزة ــ في نظره ــ شيء خارق او خارج على المالوف ، والمعجزة

ايضا ـ كما وقر في عقول من لا يفقهون ـ امر لا يخضع لقانون ، ولا يسري بناموس ، ولا يتبع سنن الله في خلقه ، ومن هنا تبدو لهم المعجزة كشيء خارق ومعطل للنظم المتقنة البديعة التي يراها رجل العلم في كل امر من امور هذا الوجود العظيم ، بداية من نظم الذرات الدقيقة ، الى اتقان خلق السماوات العظيمة ، او ما بينهما من ارض وكواكب ومخلوقات لا نستطيع ان نحصيها عدا ، ومن اجل هذا لا يرتاح رجل العلم كثيرا لامور الكرامات والمعجزات التي ينادي بها عامـــة الناس .

صحيح ان العلم تجابهه بعض التحديات ، وصحيح ان هناك ظواهر لم يعرف كل اسرارها بعد ، وصحيح اننا لم نصل الى نهاية المعرفة ، وان ما لا ندرك سره اليوم قد ندركه غدا ، فكل شيء يتطور ويصقل ، والتطور يحتاج الى زمن ، وفي كل يوم نرى انجـــازات علمية جديدة ، ونضيف الى معارفنا ما لم تعرفه كل الاجيـــال السابقة ، لكن ذلك لا يعني ان ما نعجز عن ادراكه الان ، نعيده الى المعجزة ، بل يعنى ان الوقت لم يحن بعد لادراكه لقصور نسبي في مفاهيمنا الحاليـــة .

ان الراسخين في العلم يدركون تماما ان كل شيء في الارض وفي السماء يسير على هدي شرائع لا استثناءات فيها ولا فوضى ، ولو حدث الاستثناء ، لفسد كل ما في الارض والسماء ، لكننا ـــ والحق يقال ـ لا نلحظ الا كل ما هو بديع ومنظم ومتقن وجميل ، ولو جاءت المعجزات التي يتحدث بها الناس في هذا الزمان لتستثني من القوانين الطبيعية بشرا او خلقا او اديانا او شعوبا او اجراما ، لكان معنى ذلك انها ليست بقوانين صامدة ، ولا شرائع جادة ، وهي ـــ قطعا ـــ ليست كذلك ، اذ ليس ادل على صحة ما نرمي هنا اليه ما جاءت به هذه الآية الكريمة « **سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا** » . . الفتح ـ آية ٢٣ .

وهذا هو القول الفصل الذي يجد هوى عظيما في عقول من يتعاملون مع سنن هذا الكون الصامد العظيم .. فكل شيء فيه يسير الى قدر معلوم ، وعلى حسب سنن لا تلاعب فيها ولا تبديل !

اذن فالمعجزة هي كل ما عجز العقل البدائي أو العادي عن تعليله ، فاذا درست الظاهرة التي يظنها الناس معجزة او خارقة ، فانه يمكن ـ في اغلب الاحيان ـ تفسيرها على اساس من دراسة وبحث وعلم ، وعندما تفسر ، ويدرك سرها ، تنتفي في الحال معجزاتها ، ولهذا يقولون : اذا بزغ نور العقل ، ولى زمن المعجزات!

لكن مما لا شك فيه ان مثالا واحدا نقدمه هنا في البداية سيوضح لنا معنى المعجزة في عرف بعض الناس ، ثم رفض هذه المعجزة ذاتها عند غيرهم ممن يعلمون .

تذكر لنا كتب التاريخ او السير ان الامبراطور قسطنطين الاكبر قد اعتنق المسيحية بعد أن كان يعاديها عداء شديدا ، ويعلن عليها حربا ضارية ، وسر هذا التحول الغريب يرجع الى « معجزة » رآها رؤية العين في السماء عام ٣١٢ م ، اذ انطلق اليه من يخبره ان الله قد شاء ان يظهر له المعجزة ، ولما خرج لينظر الى حيث اشاروا اليه ، رأى الصليب معلقا في السماء ، وهو بالفعل قد رآه في طبقات الجو العليا ، ليس هذا فحسب ، بل ان الصليب كان يتحرك ويتراقص ويضيء أمام عينيه وعيون كل من رآه ، وعندئذ لم يجد بدا من اعتناق المسيحية ، وصار من اخلص انصارها ، واتخذ الصليب له شعارا ، اذ كيف ينكر هذه المعجزة العظيمة وقد رآها رؤية العين ؟ !

لكن المراجع العلمية توضح لنا حقيقة هذا الامر الغريب ، وتنفي انه معجزة على الاطلاق ، بل هو ـ تاكيدا ـ ظاهرة طبيعية لم يستطع العقل البدائي أن يفسرها التفسير الصحيح ، ومن هنا أسبغ عليها صفة القداسة ، ونظر اليها على انها واحدة من الخوارق أو المعجزات !

فحقيقة هذا الصليب المضيء المنطلق في السماء انه ظاهرة جوية تنتج من انعكاس ضوء الشمس على « ندف » الثلوج المتساقطة من السحاب تحت ظروف جوية خاصة ، وبحيث يؤدي هذا الانعكاس الى تكوين شريطين ضوئيين متعامدين امام الشمس ، فيبدوان على هيئة صليب ، وانت تستطيع ان تشاهد هذه « المعجزة » أو الظاهرة في اي وقت تشاء ، فلو انك نظرت الى مصدر ضوئي بعيد من خلال حاجز من السلك الرفيع المنسوج في اطار أحد النوافذ (وهو من النوع المانع للحشرات الصغيرة كالبعوض) ، فسوف ترى هذا « الصليب » متعامدا على مساحة من السلك ، ذلك أن السلوك المنسوجة والمتداخلة مع بعضها طولا وعرضا سوف تعكس الضوء الواصل بنفس الصورة التي تعكسه بها بلورات الثلج المتساقطة ، لكن الصليب الضوئي في نافذتنا يبقى ساكنا ، في حين انه لا يثبت على حال في طبقات الجو ، نظرا لحركة « الندف » الثلجية بالرياح تارة ، وبجاذبية الارض تارة أخرى .

والواقع أن هناك مئات من الظواهر الطبيعية ، والبيولوجية والفيزيائية .. الخ التي ما زالت تتجلى للانسان العادي في وقتنا الحاضر ، وهو ـ لقصور في فهمه لهذه الظواهر ـ لا يجد أمامه من تفسير مريح ومثير وجذاب الا أن يرجعها الى مخلوقات من كواكب اخرى جاءت الى الارض في « أطباق طائرة » ، ولقد حقق العلماء المختصون معظم هذه الظواهر ، واستطاعوا تعليلها على أساس من علم ، لا على أساس من خزعبلات وتصورات رديئة تسيطر احيانا على العقل البشري ، فيجنح الى الخيال ، ويهجر الحقيقة والواقع .. صحيح أن هناك كتبا كثيرة في هذا الموضوع ، وصحيح أن حكايات « الاطباق » لا زالت مادة دسمة في الصحافة العالمية والعربية ، وصحيح أن هناك ندوات ومؤتمرات وجمعيات (غير علمية في اغلب الاحيان) تتبنى رصد هذه « الاطباق » ، والتحدث مع زوار الفضاء ـ على حد ما يزعمون ، ثم نشر هذا على الناس .. كل هذا صحيح ظاهرا ، لكن الباطن أو الجوهر غير ذلك على الاطلاق ، ويرجع

الجرى وراء الظاهر الى قصور في الادراك ، أو جهل بالاسباب ، او السعي نحو سراب خادع ، بغية الاثارة ، او تحقيق مكاسب مادية وأدبية على حساب الحقيقة المفترى عليها ، ولو رجع هؤلاء الى العلماء المتخصصين في مثل هذه الظواهر ، لادركوا كم كانوا بها جاهلين ـ فمثل ما يدعون كمثل « معجزة » الصليب في الفكر الاسطوري ، ثم تصحيح هذه الخرافة من خلال الفكر العلمي الذي يقوم على أساس متين .

وطبيعي أننا سنفرد بابا مستقلا لنوضح كيف نشأت هـذه الخرافة الحديثة ـ خرافة الاطباق الطائرة ، وكيف حققها العلماء ، فظهر زيفها ، لكن الامر الاخطر من ذلك هو ما يختص بصحة الناس ومرضهم ، وحياتهم وموتهم ، اذ نرى أجهزة الاعلام ـ من صحافة واذاعة وتليفزيون ـ تنشر على الناس معجزات طبية ما أنزل الله بها من سلطان ، فهناك مثلا العلاج الروحي ، والجراحات الروحية ، والقوى الخفية التي تنطلق من هؤلاء المعالجين لتسري في أجسـام المرضى ، وتمنحهم الشفاء من كل العاهات والامراض ، وفي دقائق معدودات !

ويذهب التضليل الى منتهاه عندما يؤكد ناشرو هذه المعلومات ان تلك القوى الخفية أمكن تصويرها بأجهزة العلم الحديثـة ، وانها ظهرت على أصابع المعالجين الروحيين كهالات مضيئة ، وهي نفس الهالات التي كانت تظهر علـى رؤوس القديسين وذوى الكرامات ، أو هي نفس الهالة النورانية التي تحيط بالجسد ، وتؤكد وجود الروح ، وغير ذلك من خزعبلات كثيرة يحاولون ربطها في اطـار واحد ، لتبدو امام الناس وكانما هي حقائق لا ريب فيها ، ومن هنا قد يهجرون سبيل العقل ، ويلقون بأنفسهم في أحضان الخرافة ، ويلتمسون الشفاء عند الدجالين والمشعوذين .. اي كانما اجهزة الاعلام والتثقيف هنا تضلل الناس ولا ترشدهم ، وتوجههم وجهـة تضرهم ولا تنفعهم !

لهذا أفردنا الجزء الاكبر من ذلك الكتاب، لنوضح فيه بشيء من الاسهاب ، السر الكامن وراء المعالجين الروحيين، والهالات المضيئة، والقوى الخفية ، والتصوير الروحي الذي ادى الى اكتشاف هذه « المعجزات » التي يتحدث عنها الناس ، ويتعرض لها كتاب لا يدرون شيئا عن حقيقتها او مغزاها ، ومن ثم فقد وقعوا في اخطاء كبيرة ، ثم أوقعوا الناس معهم في خرافات وخزعبلات لا يقرها عقل ناضج ، ولا فكر صائب !

ومن الخرافات الحديثة أيضا ـ والتي شدت انتباه الناس حقا ـ تلك المزاعم التي تشير الى أن للنباتات احاسيس ارق من احاسيس البشر ، وعواطف ارقى من عواطف الانسان سيد المخلوقات ، فهي تحزن وتبكي وتفرح وتكره وتحب وتستاء ، وكأنما هي قد جاءت بعقل مدرك كعقول البشر .. والواقع أن هناك كتبا كثيرة (غير علمية بطبيعة الحال) قد تناولت هذا الموضوع المثير ، وكتبت فيه ما كتب مالك في الخمر ، ثم يجيء بعض الكتاب المسلمين لينقلوا هذه الخرافات ، وليستشهدوا بها على أمر حدث للنخيل عند وفاة الرسول عليه السلام ، وهذا أمر لا يصح ان يتردى فيه هؤلاء الكتاب ، ولو تحروا الدقة في دينهم ودنياهم ، لما كتبوا ما كتبوا ، وكان لا بد من تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة ، ونعود الى الهيئات العلمية التي حققت هذه الخرافات واظهرت زيفها ، لعل كتابنا لا يعودون الى مثلها !

وهناك أيضا لغط كثير عن بعض افراد امتلكوا طاقات اسطورية ، وبها يحركون الجماد ، ويثنون الملاعق والسكاكين بمجرد تركيز عيونهم عليها ، وامور اخرى كثيرة ومثيرة سوف نتعرض لها بقدر ما يسمح به المجال في هذا الكتاب .

وكلمة اخيرة نود ان نركز عليها في نهاية هذه المقدمة ، اذ من الملاحظ دائما في كل ما كتب الكتاب ، وتحدث المحدثون ، وعلق المعلقون ، من الملاحظ انهم يحشرون العلم حشرا في هذه الخرافات ، ويؤكدون أن العلم قد حققها ، وعجز عن تفسيرها ، واضطر مرغما

الى الاعتراف بها وتبنيها ، وكل هذه ادعاءات باطلة ، وسوف يتبين لنا في ثنايا هذا الكتاب ان العلم منهج عقلي تجريبي واضح ، لانه يستقي قوته وصموده من خلال النظم الطبيعية والبيولوجية والكونية التي يحاول دائما أن يعرف الاسرار الكامنة فيها ، ومن خلال هذه المعرفة ندرك ان الكون والحياة قد جاءا بنظم لا يأتيها الباطل ولا يمكن ان يتخللها فوضى ، انما الفوضى قد تنبع من العقول التي تقفز الى الاستنتاجات قفزا ، دون تقصي الاسباب التي تؤدي الى مسبباتها .

لن نطيل هنا ، ولنلج الى تقصي حقيقة ما يقال عن عالمين : عالم العلوم الحديثة ، وعالم الخرافات الحديثة ، وكيف يدحض هذا ذاك بالحجة القوية ، والبينة الحسنة .

والله الموفق .. وهو القائل « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

دكتور عبد المحسن صالح



الفصل الأول

العلاج الروحي بين الخدعة والحقيقة

« شاهد الفرنسيون على شاشة التليفزيون أصابع رجل فيليبيني وهي تخترق بطن مواطن فرنسي يدعى هنري ليون توباكيس ، وتخرج من كليتيه رمالا ، وذهل المشاهدون عندما لم يشاهدوا اي اثر لجروح العملية ، ولقد حمل المريض صور العملية بنفسه ، وطاف بها على دور الصحف والتليفزيون ، وروى قصته ، فقال انه من أهالي مرسيليا ، وانه كان يعمل اليكترونيا (!!) على السفن الاسكندنافية ، ثم اقام في اليابان حيث شعر بآلام في الكليتين ، ولم يستطع الاطباء اليابانيون شفاءه ، فذهب الى الفيليبين ، وقصد عيادة أحد الذين يعالجون بالمعجزات (هكذا !!) على مسافة ١٥ كيلو مترا من مانيلا ، وهنا ــ كما يقول ــ رأيت فتاة ممددة على سرير العمليات ، ومد الطبيب يديه الى بطنها فانشقت بمجرد لمس أصابعه لها ، وأخرج منها ضفدعة حية ، ورأيت بعيني الضفدعة وهي تتصارع داخل الكيس الذي وضعت فيه توطئة لحرقها ، وفكرت في الهرب ، فأنا لا أصدق ما تراه عيناي ، وتمددت بدوري بعد أن خلعت قميصي ، وأحسست بأصابع الطبيب تتسرب تحت الجلد ، وتجول بين كليتي ،وشعرت بسائل يتدفق على بطني من الخارج ، وكان هو الدم الذي سال مني ، ولكنني لم أشعر بأي الم » !

« وبعد ثلاث دقائق اقفل الجراح الجرح ، ومسحه بقطعة من القطن ، ووضع عليه عصابة ، وقال لي الطبيب : اذهب الان واسترح واشكر الله ، وجلست اشاهد بقية العمليات عن قرب ، وبعد أيام رفعت العصابة ، فلم ار اي اثر للجرح ، وشعرت براحة بعد أن انتزعت الرمال من كليتي » .

انتهت هذه المعلومات المثيرة التي نقلناها بدورنا ـ وبالحرف الواحد من احدى المجلات الاسبوعية العربية واسعة الانتشار، والتي استمرت عدة سابيع وهي تنشر على الراي العام من هذه الخوارق والمعجزات الشيء الكثير ، وتؤكد هذه المقالات الغريبة ان كل هذه الامور تقوم على أساس من علم ، وان العلماء والاطباء لا يستطيعون تعليلها ، وانهم لا يجدون حرجا من ارسال مرضاهم الميئوس من شفائهم للعلاج على أيدي أصحاب الخوارق والمعجزات ، ثم يضيف ناقل تلك المقالات المترجمة عن كتاب رديء مليء بالخزعبلات والاساطير ويقول : « والقصص المدعمة بالادلة كثيرة ، ويرويها لك الوف الامريكيين والاوروبيين والآسيويين الذين يفدون من كل مكان للعلاج الشافي دون وضع اية اداة ميكانيكية مما يستعمل في الجراحة، والشفاء مضمون بعد دقائق قليلة » ـ على حد زعم المؤلف او المترجم .. هكذا وببساطة شديدة !

أي كانما هذه المزاعم التي تنشرها واحدة من اجهزة التثقيف والاعلام بين ملايين الناس تدعونا الى طمس العقول ، واغلاق المستشفيات ، وعدم الثقة في الاطباء والجراحين ، ونبذ العلم ، واغلاق أبواب البحوث التي لا فائدة فيها ، ولا مغنم من ورائها ، لان معجزات الفيليبين وخوارقها ، ومعطلي قوانين الكون والحياة من أطبائها وجراحيها تضمن لك العلاج ـ ومن كل الامراض المستعصية ـ في دقائق معدودات .

هل يمرض الناس بالضفادع حقا ؟

ان امتهان عقول القراء الى الدرجة التي تدعوهم الى تصديق ان أصحاب المعجزات والخوارق بمقدورهم ان يستخرجوا الضفادع من بطون المرضى ، فيتم شفاؤهم ، أو يشقون بطونهم باصابعهم ، لتسيل دماؤهم على جلودهم ، ثم يستاصلون ما يريدون من اورام والتهابات وحصى ورمال واحجار .. الخ .. الخ ، ثم يقوم هؤلاء المرضى دون ان يكون هناك اي اثر لجرح .. كل هذا وغيره يدعونا

الى التساؤل : هل اذا خدعنا الحاوي او الساحر بسرعة حركته ، وخفة يده ، ودقة تمويهه ، فأظهر لنا انه يستطيع أن يخرج الكتاكيت من فمه أو اذنه أو كوعه ، فهل يعني ذلك ان الكتاكيت كانت تسكن زوره أو معدته أو ذراعه ؟

ولنعد الى التساؤل مرة اخرى : في اي مجال من مجالات الطب يمرض الناس بالضفادع ؟ .. وكيف تعيش الضفادع ــ التي يخرجونها حية ــ في أجسامهم ؟ .. وما هي أعراض تلك « الامراض الضفدعية » التي تنشأ في أجسام الناس ؟.. وهل يمكن استخراج سحالي وثعابين وعصافير وفئران ، فيتم الشفاء من أمراض ما انزل الله بها من سلطان ؟.. ثم لماذا طاف الشاب بصور عمليته الجراحية وعرضها على دور الصحف والتليفزيون ولم يعرضها مثلا على هيئة طبية موقرة لتقول فيها رأيها ؟ .. ثم اية صور تلك التي يحملها لعملية ليس لها اي اثر لجروح في جسمه ؟ .. وهل كانت هناك عمليات ودماء ورمال وضفادع حقا ؟ .. ام ان هذه الانباء ــ التي تنشرها أجهزة الاعلام على الناس ــ تضليل وخداع وشعوذة تناسب فكر هذا الزمــان ؟

مثل تلك المزاعم الرخيصة ، والافكار الساذجة ، والنكسات الفكرية التي تدعو الناس الى العودة الى الوراء ــ الى عصور السحر والشعوذة والدجل والخوارق والمعجزات ــ مرفوضة في الاوساط العلمية رفضا باتا ، وهي لم ترفضها حبا في الرفض ، ولا هي كذلك تتعالى عليها ، بل لقد ثبت ــ من خــلال تحريات طبيــة وعلمية دقيقة ــ انها خزعبلات قد تضر ولا تنفع !

ولقد كان من الممكن ان نقرأ هذه المقالات ، ونعتبرها شيئا من التسلية وضياع الوقت ، لكن الذي دفعنا الى التعرض لهذه القضية المسمومة او غيرها ، انها تحاول ــ وبكل الوسائل ــ ان تلصق بالعلم ما ليس فيه ، او تقول ان هذه الخوارق والمعجزات قائمة على اسس علمية ، وان الاطباء يعترفون بها ، ويهللون لها ، ويتعجبون من طب وعلم سحرة الفيلبيين ، بل ويذهبون اليهـم

ليتداووا عندهم ، او يرسلون مرضاهم ـ الذين حاروا في علاجهم ـ للتداوي عند هؤلاء الناس الذين يحققون كل يوم معجزات تذهل العلم والعلماء ، والطب والاطباء !

خذ مثلا هذه الفقرة التي نشرها ناقل هذه المقالات ، فتراه يقول بالحرف الواحد « نحن نعيش عصر العلم .. هذا ما يقنعنا به العلماء كل يوم ، ولكن هل ماتت الخوارق وانتهى امرها ؟.. العصر نفسه يقول : نعم !.. ولكن العجيب **ان العلم بدأ يقول : لا.. لم تمت الخوارق ، فمكانها محفوظ ، وصدري مفتوح لها »** !

او قد تقرأ في صدر هذه السلسلة من المقالات بعض عناوين مثيرة تقول « اجراء العمليات الجراحية بدون مشرط وبدون تخدير .. حقيقة علمية » !!.. او « العالم كله يتحدث عن الخوارق الطبية » !.. او « لاول مرة تفسير علمي للخوارق » !.. او « الخوارق .. الظاهرة التي حيرت اطباء العالم » !.. او « التليفزيون ايضا يعالج بالخوارق » .. او « دكتور في الطب يترك العلم الى الخوارق » !.. او « لاول مرة تنشيء جامعات المانيا كرسيا للخوارق » !... الخ ... الخ ..

ثم يذهب التضليل الى غايته عندما يزعم المؤلفون والناقلون ان هيئة الصحة العالمية تتبنى هذه الخزعبلات ، وتعترف بها ، ولهذا يجيء بالحرف الواحد ايضا « اذاع تليفزيون هامبورج حلقة جديدة من معجزات طب الخوارق في افريقيا ، وقد دعا كل ذلك منظمة الصحة العالمية الي الاهتمام بهذه الظواهر ، واقترح **مسيو هـ. ماهلر** ، المدير العام لهذه المنظمة العالمية انشاء اتحاد لاصحاب الخوارق الذين يعالجون بدون مشرط ، لينتفع بقية العالم بمعجزاتهم الشافية » !!

ولقد دعانا هذا الخبر المزعج الى كتابة خطاب لدكتور هـ. ماهلر رئيس المنظمة المذكورة للاستفسار منه عن حقيقة ما نشر على لسانه ، وهل تتجه المنظمة الى اعتبار الخوارق ضمن المقومات التي تقوم عليها وسائل علاج الناس ؟

ولقد تلقيت ردا اوضحت فيه المنظمة ان البعض يسيء الفهم فيما تقترحه المنظمة من برامج ، فشعارها ـ اي المنظمة ـ بالنسبة للشعوب النامية ان « تكيف ولا تتبنى »Adept dont adopt ـ بمعنى ان لكل بيئة عاداتها ، او ان ما ينفع مع مجتمع ، قد لا ينفع مع مجتمع آخر ، كما انه لا يمكن للمنظمة ان تنقل هذه المجتمعات المتخلفة نقلة سريعة لتعيش في تكنولوجيا القرن العشرين ، لانها ببساطة قد لا تستوعب هذه القفزة او الطفرة الهائلة ، ومع ذلك ، فالمنظمة لا تترك مثل هذه الشعوب او المجتمعات لقدرها ، بل تحاول ان تدرس وسائلها العلاجية البدائية ، ثم تأخذ منه ما تراه صالحا لتلك البيئات ، وتحور فيه وتغير وتطور وتدرب ، بحيث تصبح وسائل العلاج اكثر أمانا ، ولم تذكر المنظمة ـ في ردها المطول ـ ما يشير من قريب او بعيد الى طب الخوارق والمعجزات ، او العلاج بالروحانيات وغير ذلك مما يلصق بها نتيجة لسوء فهم او قصد ـ لسنا ندري !.

ان الدعوة التي تقدمها اجهزة التثقيف والاعلام الى الناس انما هي دعوة غير مباشرة الى قتل النفس البشرية من خلال اللجوء الى التداوي بخزعبلات وقرت في عقول الناس من قديم الزمن ، ثم تأتي هذه الاجهزة الخطيرة لتنشرها وتؤكد حقيقتها ، وتقحم العلم عليها ، وكان الاولى بها أن تحاربها بعد ان تبين للناس ما يكمن فيها من خداع وخرافات .

طبيب جراح يبحث عن المعجزة

وقبل ان نتعرض لما نعنيه بالقتل غير المباشر ، وذلك باللجوء الى ما يطلقون عليه وسائل العلاج الروحي من جميع الامراض ، او اللجوء الى اجراء ما يسمونه بالعمليات الجراحية الروحية ـ قبل ان نتعرض لذلك ، نرى انه من الاوفق ان نقدم دكتور ويليام

نولين الذي امضى سنتين كاملتين وهو ينتقل بين الولايات الامريكية المختلفة ، ثم يذهب بنفسه الى الفيليبين بحثا عن المعجزة التي يتحدث عنها الناس في كل مكان .

ودكتور نولين حاصل على درجة الدكتوراه ، وهو من الجراحين المشهورين والممتازين ، وقد اجرى اكثر من ستة الاف عملية جراحية ، وهذا يعني ان لديه خبرة واسعة ، وهو بهذه الخبرة يستطيع ان يتعرف على مواطن الصدق والخداع فيما يطلق عليه الناس اسم الجراحات الروحية ، كما انه مشغول في عمله من قمة راسه حتى اخمص قدميه ، لكنه ــ مع ذلك ــ هجر عيادته ، ودار متجولا للبحث عن الحقيقة .

ترى .. هل عثر على معجزة واحدة ؟

هذا ما سوف نتعرض له هنا باختصار ، ومن خلال ما قدمه لنا دكتور نولين في كتابه « الشفاء ــ طبيب يبحث عن معجزة » ، وهو ــ من خلال هذا الكتاب ــ يضع لنا جميعا النقط فوق الحروف ، ويوضح لنا كيف يقع الناس بالالاف ضحايا لخزعبلات يجري تمثيلها بخداع متقن ، وقد يدفعون الثمن غاليا ، فيموتون على أيدي دجالين وصلوا الى القمة في التمثيل والخداع .

في الولايات المتحدة مثلا تنتشر جمعيات روحية كثيرة ، واليها يلجأ ذوو العاهات العضوية ، والاضطرابات النفسية ، والتقاليد الخرافية ، وفيها ايضا نسبة لا بأس بها من ذوي الامراض العقلية ، ولهذه الجمعيات نشرات ودوريات ومجلات وكتب تنشر فيها كل ما هو غريب ومثير ، وهي بطبيعة الحال تتحدث كثيرا عن المعجزات الروحية ، وتطنب فيها ، وتدعو الناس الى طلب العلاج الروحي ، لانه يحقق ما لا يستطيع الطب تحقيقه ، وطبيعي ان هناك امراضا مستعصية لم يستطع الطب ان يصل فيها الى نتيجة ، او بعبارة اوضح : عجز عن مداواتها ، مما اصاب اصحابها بخيبة امل ، ومع ذلك لم يفقدوا الامل ، فلجأوا

الى معجزة قد تحقق لهم ما عجز الطب عن تحقيقه ، والامل يكمن في العلاج الروحي ، فهو الملاذ الاخير الذي به يلوذون ، واليه يلجأون !

وللعلاج الروحي ــ بطبيعة الحال ــ وسطاء مشهورون ، ومن اشهر هؤلاء يبرز في القمة رجل وامرأة يعيشان في الولايات المتحدة ، اما الجراحات الروحية فموطنها الفيليبين ، وبها تشتهر ، ولهذا ترتبط الدعايات السياحية في الدول المختلفة (خاصة في اوروبا وامريكا) بجراحي الفيليبين الروحانيين ، بل ويتضمن البرنامج السياحي ــ الذي تقدمه اية شركة سياحية ــ زيارة لعيادات الجراحة الروحية هناك ، والنتيجة ان الفيليبين تتقبل سنويا عشرات الالوف من السائحين ، ومعظمهم يذهب الى العلاج ، وعندما يعودون ، يملأون دنياهم دعايات بمعجزات العمليات الجراحية التي خلصتهم من آلامهم وكل امراضهم .

قبل ان يخوض دكتور نولين في هذه التجربة الصعبة ــ تجربة البحث عن معجزة تشفي الامراض المستعصية ــ بحث في ملفات الهيئات الصحية ، علّه يجد اثرا لحقيقة هذه الدعايات الواسعة ، الا انه لم يجد شيئا ذا بال .

وبدأ يجري اتصالات واسعة ليعرف اشهر من يعالجون بالمعجزات الروحية في الولايات المتحدة ، فلم يجد من هم اكثر شهرة ونجاحا ومعجزات من الآنسة كاترين كولمان ورجل يدعى نوربوتشن Norbu Chon ، وقرر ان يذهب اليهما ليدرس الامر على الطبيعة ، وليرى بعينيه كيف تتحقق المعجزات في التو واللحظة .

كاترين كولمان .. مانحة العلاج الروحي للآلاف !

وذهب نولين الى حيث تعقد كاترين جلستها الروحية التي يحضرها المئات في يوم الاحد من كل اسبوع ، ولهذه الوسيطة مساعدون ومساعدات يندسون وسط هذه الجموع الغفيرة يساعدونهم ويرحبون بهم ، ويحصلون منهم على بعض المعلومات المفيدة ، وهناك جوقات موسيقية وغنائية مخصصة للانشاد الديني الذي يهيىء « الجو الروحي » ، ويشع في النفوس نوعا من الراحة والطمانينة والاستعداد لتقبل الايحاءات التي ستلقيها عليهم الوسيطة الروحية فيما بعد .

وفي الساعة الواحدة ظهرا تظهر كاترين على خشبة المسرح وهي ترتدي ثوبا أبيض فضفاضا يوحي للناس بأن « ملاكا » يخطر امامهم ويتهادى ، وهي ــ كما يصفها دكتور نولين ــ ليست جميلة، لكنها جذابة ، وذات شخصية قوية ومريحة للنظر ، وعندما صمتت فرق الانشاد الديني وتعلقت بها اعين الناس ، فلا تكاد تسمع منهم همسا !

ويصف نولين ما يجري في هذه الجلسات ــ فيقول « انه من المتعذر علي ان احاول التعبير بالكلمات عن شخصية هذه المراة ، اذ لا بد ان تكون انت هناك لتراها وهي تتنقل وتخطو بسرعة وبراعة على المسرح ، ثم لتتامل في تعبيرات وجهها ، ولتشهد حركات يديها وذراعيها وهي تسيطر على الجموع المحتشدة ، ولتستمع الى الانفعالات الصادرة في صوتها وهي تبتهل وتبكي وتصلي ، ولتلحظ الجذل والنشوة التي تضيء قسماتها ، وفوق كل هذا لترى ابتسامتها .. لا بد ان تكون انت هناك لتدرك تماما كيف تستولي على مشاعر الناس ، وتاسر اهتمامهم .. ان كاترين كولمان هي اولا واخيرا ممثلة بارعة » !

وهي ــ بلا شك ايضا ــ تعرف كيف تجذب مشاعر الناس بكلامها العذب وهي تتحدث عن الرب والروح القدس والمعجزات ،

ثم وهي تؤكد انها لا تشفي احدا ، وانها ليست شيئا مذكورا ، وانها لا تدعي امتلاك قدرات خاصة ، لكن الشفاء راجع الى الروح القدس ، وانها ليست الا وسيلة او اداة لحلول تلك الروح فيها .

وفجأة تتوقف عن كلامها الذي يأخذ بشغاف القلوب المنتظرة للرجاء ، والطامعة في الشفاء ، ثم تسبل جفنيها على عينيها ، وتمر لحظة صمت درامية ، وكأنما على رؤوس الناس الطير .. لا همسة .. لا كلمة !

وفي وسط هذا السكون المخيم على الجميع ينطلق صوتها قائلا بنبرة ثقة وتأكيد وعقيدة « ان الروح القدس قد بدأت في شفاء احدكم الان .. انها تشفي امراة .. امراة هناك في وسط الساحة ـ امراة مصابة بداء السرطان .. سرطان في رئتيها .. والآن .. والآن لقد شفيت من سرطانها .. انك تعرفين من انت الان ولا شك انك تشعرين بالروح القدس يتولى امرك .. انهضي وتقدمي لتعلني على الملأ انك قد شفيت » !

وعندما لم تتقدم واحدة في التو واللحظة ، اتجهت كاترين كولمان بسرعة واشارت الى احدى الشرفات المنتشرة حول الساحة ، وقالت في ثقة « وهناك ايضا يتم شفاء اخر . اوه .. نحمد الله .. هناك شفاء اخر لالتهاب كيسي في الكتف .. لقد كان صاحبه يشكو من هذا الالتهاب منذ فترة طويلة ، والان تلاشى هذا المرض ! .. انه يستطيع ان يلوح بذراعه .. قف ولوح بذراعك .. لقد شفيت تماما » . قالتها بنبرة جنونية مستعرة .

وعندئذ قفز رجل من بين الصفوف ، وراح يلوح بذراعه ، وتطلعت اليه الابصار ، وكانت هذه هي الشرارة التي اشعلت نار الشفاء من كل الامراض بين الحاضرين .

وتبدأ كاترين في السيطرة على الجموع المحتشدة بطريق الايحاء ، فتوجه الى الرجل الذي قام بتحريك ذراعه تحذيرا تقول

فيه « لا تحضر لكي تعلن عن شفائك اذا لم تكن تحس حقا بهـذا الشفاء .. اما اذا كنت متأكدا من حلوله ، فلتأت الي ، ولتقدم الحمد للروح القدس » !

ويتقدم الرجل ليعلن انه شفي ، وان شيئا قد مس ذراعه وكتفه ، ولا بد انه الروح القدس !

توزيع الشفاء علـى الناس !

وتقف كاترين كولمان بعد ذلك لتوزيع الشفاء على الناس بثقة واعتداد .. فتشير الى هذه الجهة وتقول « هناك امرأة عندهـا مرض في الشعب الهوائية .. لقد ذهب هذا المرض الان » !

« هناك رجل مصاب بحالة قلبية .. رجل في ذلك الركن هناك .. لقد شفي من حالته » !

« يوجد صبي عنده سكر .. لقد ذهب السكر من جسمه » !

« توجد شابة مصابة بطفح جلدي في الجانب الايسر مـن الصالة .. سيختفي هذا الطفح بعد ثلاثة ايام » !

« ثمة شخص هنا بين الحاضرين يشكو مـن سـرطان في النصف الاسفل من جسمه ، ولقد كان من المقرر اجراء عملية جراحية لاستئصاله ، ولا داعي لهذه العملية الان ، فلقد ذهب الورم ، وليحمد الروح القدس على ذلك » !

وتستمر كاترين تذكر عشرات الحالات ، وتعلن شفاءها ، وفي الوقت ذاته تقف احدى مساعدات كاترين بين هذه الجموع لتراقب استجابـة الناس لما تقوله الوسيطة ، فتقتـرب منهم ، وتهمس في آذانهم ، فيقومون ، والى خشبة المسرح ــ حيث تقف كاترين ــ يتوجهون ، ليعلنوا عن شفائهم من امراضهم ، وهنـا تنتشر عدوى الشفاء ، ويستبد الحماس بكل الحاضرين ، وكانما هناك قوة هائلة توجههم وتقنعهم وتشدهم الى كاترين شدا ، وبعد

دقائق قليلة تستطيع ان ترى صفوفا بين طرقات المسرح ، وهي تقف او تتقدم لتعلن شفاءها ، ولتقدم « للروح القدس » شكرها وامتنانها !

لقد سبق ان ذكرنا ان كاترين كانت قد اعلنت عن وجود حالة لسرطان الرئة عند احدى السيدات ، وها هي السيدة قد نهضت من بين الصفوف وتقدمت ، وبمساعدة احدى مساعدات كاترين وصلت الـى خشبة المســرح ، وبصوت جهوري حنــون سألت الوسيطة السيدة : وانت ماذا عندك ؟!

قالت المرأة : سرطان في الرئة .

فصرخت كاترين : يا الهي الرحيم .. اننا نحمدك (قالتها وهي تتطلع الى السماء) ، ثم طلبت من السيدة ان تأخذ شهيقا عميقا ، ففعلت السيدة ، وعندئذ سألتها ان كانت هذه الشهقة الكبيرة قد اوجعتها ، فنفت السيدة الشعور باية الم * ، وهنـــا توجهت كاترين الى الحاضرين وقالت : هل ترونها الان .. ان لديها سرطانا في الرئة ، والان تستطيع ان تتنفس بدون الم .. ان هذا لتاكيد بأن « الروح القدس » تعمل معنا الان ، وفي هذه اللحظة انهارت المرأة ، وقبــل ان تنبطح ارضا ، امسك بها احــد مساعدي كاترين ، فعلقت هي على ذلك بقولها « ان ذلك من اثر مس الروح القدس لها » !! (والواقع انها وقعت من الاعياء) .

وتبلغ التمثيلية منتهاها عندما تشير كاترين كولمان الى وجود واحدة تحيط ساقها بسنادة تساعدها على الارتكاز ، وتطلب منها ان تنزع هذه السنادة ، فلا حاجة بها لها الان ، لان الشفاء قد حل بها لا محالة ، وعندما تمر لحظات ، ولا احد يستجيب لندائها ، يظهر التململ على الحاضرين والارتباك في وجه كاترين ، وتمر ما

---

* الواقع ان هناك خدعة ــ كما يقول د. نولين ، اذ من الممكن لمرضى سرطان الرئة أن يأخذوا انفاسا عميقة دون الاحساس بألم ، لكن كاتــرين اوحت للمــرأة ، وللحاضرين من خلال ذلك ان المرأة قد شفيت من سرطانها ! .

يقرب من دقيقة ، يحسبها الحاضرون ساعة او يوما ، وفجأة تنطلق فتاة وهي تلوح في الهواء بالسنادة التي نزعتها من ساقها المشلولة ، وكانما هي الاخرى قد اصابتها « عدوى » الشفاء ، وارادت ان تعلن عن برئها من شللها امام الحاضرين ، رغم انها كانت في حالة يرثى لها ، فما زالت ساقها مشلولة وضامرة ، وعجزها ملتو بدرجة واضحة ، ومع ذلك فقد تهلل وجه كاترين بشرا وطربا ، وبدات تسأل الفتاة : ما عمرك ؟

الفتاة : عشرون عاما .

كاترين : وكم سنة وانت تضعين هذه السنادة حول ساقك ؟

الفتاة : منذ ١٣ عاما .. بعد ان اصبت بشلل الاطفال وانا في السابعة .

كاترين : والان قد تخلصت منه .

الفتاة : نعم .. فانا اعتقد اعتقادا راسخا في الله .. ولقد صليت له ، والان يشفيني !

وعندئذ استحسنت الجموع هذه المعجزة ، وبكت الفتاة من شدة التاثر واستمرت هذه التمثيلية اكثر من ثلاث ساعات ، وشاهد الناس فيها ما لم يشهدوه من قبل ، وراوا باعينهم « معجزات » ما كانوا ليصدقونها لو لم يحضروا الى هذا المناخ المفعم بالانفعالات والعواطف والابتهالات والاعترافات المنطلقة من افواه المرضى انفسهم باحساسهم بشفاء لا ريب فيه !

لكن .. هل حل الشفاء بالناس حقا ؟

هذا ما يبحث عنه نولين ، وذلك من خلال الاتصال شخصيا بالحالات التي ادعت الشفاء .

احاسيس كاذبة !

يقول د. نولين : لو انك حضرت « المناخ » الذي تجري فيه هذه الجلسات الروحية ، فقد لا تستطيع ان تقاوم ما تمليه عليك

العاطفة من مشاركة وجدانية فيما يحدث حولك ، وقد تتخلى ــ وتتذاك ــ عن تفكيرك العقلي والعلمي ، وكأنك في عالم اخر !

لقد اخبرني صديقي « جورج دجرتي » ــ والكلام لدكتور نولين ــ الذي صحبني الى هذه الجلسة الغريبة * انه رغم عدم ايمانه بما يجري حوله ، وعدم احساسه بوجود قوة خفية تمس شغاف قلبه ، الا انه قد وجد دافعا خفيا يدفعه لان يشارك في هذا المهرجان ، وان يتوجه الى الانسة كولمان بمجرد ان اعلنت ان هناك من شفي من ازمته القلبية الان ... « ولو لم يتقدم غيري ، لكنت قد تقدمت ، رغم ان ذلك شيء مضحك لي ولك » !

والغريب ان دكتور نولين يعترف بدوره انه قد شعر بالاحساس ذاته عندما ذكرت كاترين انه يوجد في الصالة من يشكو من التهاب كيسي ، وانه يشفى الان ، « ولقد وجدت عندي دافعا خفيا يدفعني لان اصدقها ، خاصة وان عندي حالة من الالتهاب في كوعي نتيجة لسقطتي على الارض اثناء احدى التمرينات في كرة التنس ، وكانت كلما كررت هي هذه العبارة ، اجد نفسي احرك ذراعي لاعرف ان كان الالم قد ذهب او لم يذهب » !

فاذا كانت هذه هي حالة اثنين قد جاءا ليدرسا الظاهرة ، وليس في نيتهما طلب علاج ، او الدعاء من اجل شفاء ، فما بالك بمن جاء معتقدا وساعيا وواثقا في الآنسة كاترين وعلاجها الروحي ؟

ومن طبيعة الناس انها تبالغ في مثل هذه الامور ، وتؤكد صحتها ، بل وتذهب في وصف معجزات الوسطاء الروحانيين اكثر مما يطمع فيه هؤلاء الوسطاء ، ومن اجل هذا احاطهم الناس بهالة كبيرة من الوقار والثقة والاعزار ، ووصفوهم بما ليس فيهم !

---

* وهو من غير المصدقين لهذه الخزعبلات ، ولكنه ذهب أولا : على سبيل حب الاستطلاع ، وثانيا : لانه كان قد أصيب مرتين بأزمة قلبية تركت بصماتها على قلبه ، وهو يود أن يعرف أثر هذه الجلسة على حالته ، وثالثا : ليساعد دكتور نولين في الحصول على عناوين بعض الحالات التي تدعى الشفاء .

لكن الكلمة الاخيرة في كل ما يشاع ويقال عن هذه المعجزات لا تظهر على حقيقتها الا اذا درست وعرفت نتائجها ، ومن اجل هذا جمع د. نولين ٨٢ اسما وعنوانا للمرضى الذين اعلنوا شفاءهم من امراضهم امام كاترين ، وارسل نولين لهؤلاء خطابات يدعوهم لمقابلته في عيادته او الذهاب الى دورهم ، واستقبل منهم بالفعل ٢٣ حالة ، واجرى معهم حوارا ، وعرف امراضهم ، وتاريخها ، واثر العلاج الروحي عليها .. الى اخر هذه التفاصيل التي توضح للطبيب ان كانت الحالة في تحسن او تأخر او ما شابه ذلك .

ولقد اعتبر نولين نفسه حالة ، كما اعتبر جورج صديقه حالة اخرى ، فبعد زيارتهما لكاترين ، اراد نولين ان يعرف اثر هـذا العلاج على ضغط دمه (مصاب بارتفاع ليس كبيرا في ضغطه) ، فلم يطرأ عليه اي تغير ، بل العكس هو الصحيح ، اذ وجده ارتفع قليلا عن معدله ، كما ان رسم القلب الكهربائي الذي اجراه على صديقه لم يوضح اي تحسن ، بل ما زالت الحالة على ما هي عليه !

وقد يقول قائل : ان نولين وجورج ما داما لم يعتقدا في جدوى هذا العلاج ، فانهما لن يستفيدا به على الاطلاق .. ذلك ان الاعتقاد من الامور المشجعة على الشفاء .

وهذا ــ في الواقع ــ استنتاج لا غبار عليه ، ولا بد ــ والحال كذلك ــ من الرجوع الى الحالات التي اعلنت احساسها بالشفاء ، علنا نحصل منها على الخبر اليقين ، وطبيعي اننا لن نتعرض لكل هذه الحالات المدروسة ، لان المجال لا يسمح بذلك ، بل يكفي ذكر حالات قليلة قدمها لنا نولين بعد دراسة مستفيضة .

حالات اربعة أعلنت الشفاء !

كانت الحالة الاولى لفتاة اصيبت بمرض عضال يقف الطب امامه عاجزا ، ولا يعرف له سببا او علاجا حتى الان ، والمرض يسبب تيبسا او تصلبا مضاعفا في الخلايا العصبية ، مما ينتج عنه

ضمور في بعض العضلات ، كما انه مرض دوري ؛ بمعنى انه قد يجيء ويروح ، وهو ايضا يعتمد على نفسية الانسان ومعنوياته ، فيزيد بأس المرض او يضمحل تبعا لذلك .

ولقد جاءت الفتاة ـ وتدعى مارلين روجرز ـ الى جلسة كاترين على كرسي متحرك ، وعندما اعلنت الوسيطة عن حالتها ، احست كأنما هناك شعور حارق في سلسلتها الظهرية ، ووجدت نفسها تترك المقعد ، وتسير الى المسرح حيث كانت تقف كاترين ، وجاء احدهم وراءها بمقعدها ، ووضعه على المسرح ، وعندما لاحظت الوسيطة المريضة امامها ، سألتها ان كان ذلك مقعدها ، فردت بالايجاب ، واستبشرت كاترين خيرا ، وسألت الفتاة ان كانت قد تركت مقعدها واتت الى المسرح ساعية على ساقيها اللتين لم تستخدمهما في المشي منذ مدة طويلة ، فردت الفتاة بالايجاب ، وعندئذ صاحت كاترين : اوه .. لنشكر جميعا الروح القدس .. وبدات تشير الى الفتاة لتروح وتجيء امام الجموع المحتشدة على المسرح ، ففعلت الفتاة ، ولكن بصعوبة بالغة ، اذ كانت تترنح وتتمايل وتكاد تقع من الاعياء ، فامرتها الوسيطة بالتوقف ، وراحت تشرح للحاضرين هذه الحالة النادرة التي استطاعت روح القدس ان تشفيها ، فقالت « ان فتاتنا مارلين لا تستطيع ان تمشي كما ينبغي ، لانها لم تستخدم عضلات ساقيها لفترة طويلة ، وسوف تأخذ بعض الوقت لتتعود على المشي عليهما ، ولتعود الى حالتها الطبيعية .. لكن أليس ذلك رائعا .. أليس الله مبدعا ؟! .. ووجدت كاترين استحسانا كثيرا ، وتصديقا بمعجزاتها التي لا تجارى !

لكن حالة الفتاة لم تتحسن حتى بعد مرور شهور عدة ، وان كانت تشعر بان الله معها ، وان الشفاء قادم لا محالة ، ومع ذلك فان حركتها الكسيحة دليل على حالتها التي وصلت اليها .

وتجيء الحالة الثانية لشاب يعد رسالة للحصول على درجة الماجستير في التربية ، ورغم ذلك نراه يتوجه الى كاترين كولمان

ليطلب شفاء روحيا من صداع نصفي مزمن ، وهذا المرض من الامراض التي لم يهتد الطب فيها الى سبب واضح ، ويقال انه راجع الى انقباض الاوعية الدموية في المخ ثم انبساطها فجأة ، لكن ما الذي يسبب ذلك ، فلا احد يعرف يقينا سر ذلك ، وكل ما هو معروف أن التوتر العصبي او النفسي قد يكون له دخل في هذا المرض الغامض .. المهم ان الشاب قد اعلن شفاءه من صداعه امام الجموع المحتشدة ، ولا غبار على اعترافه ، لان الصداع النصفي قد يروح ويجيء على حسب حالة المريض النفسية ، وليس ببعيد ان يرتاح نفسيا الى تلك المعالجة ، او يعتقد في جدوى ذلك النوع من العلاج ، وهذا وحده كفيل بانحسار صداعه ، لكن العبرة بالخواتيم، اذ انه لم يمر الا اسبوع واحد ، حتى عاودته الحالة ، ثم استمرت على نفس النمط الذي كانت عليه قبل ان يطلب هذا العلاج الروحي.

وحالة ثالثة تتمثل في شابة مصابة بالمرض الجلدي المعروف « بحب الشباب » ، ولقد تركت الدمامل الصغيرة في وجهها اثارا منفردة ، وعندما اعيتها الحيل ، وطال العلاج ، لجأت الى كاترين كولمان التي اشارت بدورها الى الناحية التي تجلس فيها الفتاة ، وقالت : هناك .. في الركن السادس توجد حالة مصابة بمرض جلدي .. سوف يذهب هذا المرض بعد ايام ثلاثة .. وعندئذ نظرت الفتاة حولها لترى ان كان احد غيرها سوف يعلن عن نفسه ، وعندما لم تجد احدا ، شعرت بانها لا بد ان تكون هي المقصودة ، وان الشفاء قادم لا محالة .

وبالفعل تحسنت حالتها بعد ايام ثلاثة ، لكن ذلك لم يكن بسبب معجزات كاترين كولمان ولا بركاتها ، بل يرجع الى ان الفتاة كانت لديها رغبة شديدة في الشفاء من هذا الوباء الذي حل بوجهها ، كما يرجع الى استجابتها القوية واعتقادها الراسخ في الوسيطة الروحية ، وهذا ما يعرفه الاطباء النفسانيون تمام المعرفة على انه نوع من الايحاء الذي يستخدمونه مع بعض المرضى ، فمنهم من يستجيب له ومنهم من لا يستجيب .. كل هذا يتوقف على درجة المرض ، وعلى حالة المريض النفسية .

على انه تبرز هنا نقطتان مهمتان .. اولهما أن كاترين كولمان كانت ذكية عندما لم تعلن ان هذا المرض الجلدي سوف يزول ، او ان الروح القدس سوف تشفيه الان ، بل ارجأت ذلك الى عدة ايام ، ولم تطلب من الفتاة ان تحضر الى المسرح لتعلن عن شفائها كما يحدث مثلا في الحالات الاخرى الكثيرة التي لا يمكن ان يلحظها الناس (كالتهابات المفاصل والسرطان والقلوب المريضة والشلل النفسي وفقد السمع الطارىء عن حالات نفسية ... الخ) ، والتي تعلن الوسيطة الروحية عن ضرورة حضورها الى المسرح لتعلن عن شفائها امام الجميع ، وطبيعي ان احدا لا يستطيع ان يكتشف ان كان الورم السرطاني قد زال ام بقي على حاله ، او ان المفصل الملتهب قد زال عنه التهابه ، او ان اثار الازمات القلبية قد ذهبت الى غير رجعة .. كل هذا وغيره لا يمكن رؤيته كما نرى مثلا آثار الدمامل المنتشرة على الوجه الذي يقف صاحبه امام الناس غير محجوب وجهه عن عيونهم المتطلعة الى رؤية المعجزات ، وهذا ما لا تريد الوسيطة الروحية ان يحدث ، لعلمها ان المعجزة ــ على حد ظنها ــ لا يمكن ان تحدث في مثل هذه الحالات المكشوفة .. هذه واحــدة !

والنقطة الثانية ان بعض الامراض الجلدية قد تكون عضويــة (اي ان هناك ميكروبا او فيروســا او ضعفا في الاوعيــة الدموية المنتشرة تحت الجلد تكون السبب في ظهورها) ، وبعضها الاخر قد يكون وظيفيا او نفسيا او عصبيا ، او قد يجتمع السبب العضوي مع النفسي ، والايحاء او الاعتقاد قد يخفف بعض الامراض الجلدية النفسية ، او قد يشفيها ، فاذا حدث الشفاء ، او انخفضت حدة المرض ، فان ذلك لا يدخل ضمن معجزات كاترين الروحية ــ ان كانت لها معجزات على اية حال ، بل هو ضمن ما يعترف به الطب النفسي كوسيلة من وسائل العلاج .

وحالة رابعة لسيدة تبلغ من العمر ٣٦ عاما ، ولها سبعــة أطفال ، وجاءت لتطلب معجزات كاترين كولمان لعلاجها من حالةدوالي

في ساقيها (ظهور عروق دموية نافرة) .. بعد ان شاهدت « معجزاتها » الشافية على احدى شاشات التليفزيون ، وعندما اشارت الوسيطة الى الناحية التي تجلس فيها صاحبة الدوالي ، وقالت عبارتها المألوفة عن ان الروح القدس تقوم بعلاجها ، لم تطلب من السيدة ان تتوجه الى المسرح لتعلن شفاءها ، بل قامت السيدة ــ بدافع من احدى صديقاتها ــ وتوجهت الى كاترين لتشكر الرب والروح القدس .

وطبيعي ان السيدة لم تكشف عن ساقيها امام الجموع الشاخصة بدافع الحياء ، ولا هي كذلك تعرف ان كانت قد شفيت ام لم تشف ، لانها كانت تلبس جوربا طويلا من ذلك النوع الذي يلتصق على الجسد من الخصر حتى القدمين ، ومع ذلك فقد كانت لديها عقيدة راسخة فيما تقوله كاترين .

ولقد كانت تلك السيدة من الحالات التي اختارها دكتور نولين ليجري عليها تحرياته الطبية ، فاكتشف ان السيدة كانت قد اجرت ــ منذ سنوات ــ عمليات جراحية لازالة الدوالي ، وان اثارها ــ اي العملية ــ لا تزال ظاهرة ، ثم ظهر بعض تلك الدوالي أثناء حملها السابع ، وذهبت الى كاترين كولمان بعد ان وضعت بشهرين ، لاعتقادها بقدرتها على ازالة دواليها باحدى معجزاتها الشافية .

لكن المعجزة لم تتحقق ، لان بعض تلك الدوالي لا يزال موجودا .. صحيح انها ليست كبيرة ، وصحيح انها بدات تضمر بعد الوضع ، لكن ذلك لم يكن بفضل معجزات كاترين كولمان ، لان ظهور هذه الدوالي يرتبط عادة بالحمل ، والحمل يؤدي الى ارتفاع نسبة هرمون « الاستروجين » الانثوي ، وهذا يؤثر على الاوعية الدموية .. اضف الى ذلك ان ضغط الجنين على الحوض يضغط على الاوعية المتجهة الى الفخذين والساقين ، فيؤدي ذلك الى ضغط يسبب انتفاخ الاوعية السطحية وبروزها ، لكن كل هذا قد يعود الى سابق وضعه تدريجيا بعد الولادة ، او قد تكون الاوعية الدموية قد تمددت وانتفخت بشكل حاد ، وعندئذ قد لا تعود الى سابق وضعها ، مما قد يترك اثرا مزمنا قد تمحوه عمليات جراحية .

اي ان ما حدث للسيدة امر طبيعي ، ولا دخل فيه لمعجزات او كرامات .

وحالات اخرى كثيرة ومتنوعة اكدت انها قد استفادت من معجزات كاترين كولمان ، وكانت خير بوق دعاية لها ولكراماتها ، مما ادى الى وقوع الالاف في براثنها ، والتوجه اليها وهم معتقدون اعتقادا راسخا في جدوى علاجها ، لكن الحقيقة غير ذلك تماما .

ورغم ان حوالي مائة حالة في الجلسة الواحدة كانت تعلن عن شعورها بان الروح القدس قد جاءت لتقف بجوارها ، وتحس بأن شيئا يسري في كيانهــا ، او تقوم بعلاجها (وهو شــعور نفسي او عقيدي) ، الا ان هناك الافا قد خاب املها في كرامات كاترين كولمان ، فكم من امهات كن يصحبن اطفالهن المصابين بشلل الاطفال قد تركن الجلسة بعد انتهائها وهن يبكين حظهن وحظ اولادهن وبناتهن الذين لا يزالون اسرى شلل لا تنفع معه صلوات ولا دعوات ولا كرامات ، وكم من مرضى مصابين بامراض عضوية مزمنة قد انصرفوا دون احساس بان المعجزة قد تحققت ، وكم من حالات تخلف عقلي ، او شذوذ في تكوينها البدني ، او اورام ظاهرة وباطنة ... وكم ..وكم.. وكم من هؤلاء قد انصرف صامتا واجما دون ان يعلن عن استيائه !

والغريب ان معظم الذين لم يحصلوا على الشفاء لا يرجعون ذلك الى عدم جدوى ذلك العلاج او الى اخفــاق كاترين كولمان في علاجهم ، بل يعيدونه الى مشيئة الــروح القدس ، او الــى عــدم اعتقادهم هم انفسهم بها ، او لانهم ليسـوا اهلا لذلك .. الى اخــر هذه الظنون الخاطئة .

ثم او ليست كاترين كولمان قد اوعزت منذ البداية انها لا تشفي احدا ، بل انها هي الروح القدس التي تشفي من تريد ، وتعـرض عمن تريد ؟.. او بمعنى اخر يكون العيب فيهم ، وليس العيب في هذا النمط من العلاج .

والواقع ان ذلك الدجل العلاجي قد اظهر عدم جدواه في حالات كثيرة ، وعلى رأسها حالات الازمات القلبية ، او الامراض الكلوية ، او الاورام السرطانية ، او غير ذلك من امراض عضوية.. فالحالات الكثيرة التي اعلن اصحابها انهم قد احسوا بالشفاء منها (والتي فحصها دكتور نولين بعد ذلك) قد اوضحت ان الامر لا يخرج عن كونه شعوذة لا تجوز الا على اصحاب النوايا الطيبة ، او العقول الساذجة .

هل ينحسر السرطان بالعلاج الروحي ؟!

لكي نعرف الاجابة الحقة على هذا السؤال ، دعنا نقدم عدة حالات قليلة ، ولنبدأها بريتشارد والين ــ ذلك الشاب الذي يبلغ من العمر ٢١ عاما ، والمصاب بسرطان في كبده ــ فلقد اراد ان يصعد على المسرح ليعلن شفاءه من دائه ، لكن واحدة من مساعدات كاترين لم تشجعه على ذلك ولقد توفي هذا الشاب ــ رغم ذلك ــ بعد ١٢ يوما من حضوره تلك الجلسة العلاجية الخادعة .

وحالة ليونافلورز التي اعلنت بدورها انها شفيت من سرطان الرئة ، ثم زارها دكتور نولين بعد ذلك ، ليكتشف انها ليست مصابة حقا بهذا الداء ، بل بمرض يعرف باسم مرض « هودجكين » ، وهذا المرض قريب الشبه ببعض انواع السرطان ، ولكنه ليس خطيرا مثلها ، اذ يمكن لكثير من المرضى المصابين بهذا الداء ان يعيشوا به لفترات تتراوح بين ١٠ ــ ٢٠ عاما ، وانه يمكن علاجه بالاشعاع او بعض العقاقير ، ولقد كانت هذه السيدة تتعاطى علاجها من هذا الداء بصفة منتظمة تحت اشراف احد الاطباء ، وعندما عادت اليه بعد ان حضرت الجلسة الروحية ، واجرى على رئتيها كشفا بالاشعة ، لم يلحظ اي تحسن رغم انها اخبرته ان كل شيء في رئتيها يسير على ما يرام ، ومع ذلك لا تزال تصر ــ تحت تأثير الايحاء ــ ان السبب في شفائها يرجع اساسا الى مس كولمان ، وليس الى طب الاطباء .

وحالة ثالثة لرجل يبلغ من العمر ٦٣ عاما ويدعى بيتر وارين .. هذا الرجل كان قد اصيب بسرطان في احدى كليتيه ، وانتشر هذا الداء الى عظامه ، فاصبح غير قادر على الحركة بمفرده ، فكان ان حضر الجلسة الروحية ، وصعد الى المسرح ليعلن عن شفائه من سرطانه ، وبجواره كرسيه الذي يتحرك عليه ، وقام من على كرسيه ليتحرك امام الناس ، ويؤكد انه قد برىء من مرضه ، وهلل الناس لهذه المعجزة ، ومع ذلك ـ وبعد ثلاثة او اربعة ايام ـ عاوده العجز عن الحركة ، ولما ذهب الى الطبيب المعالج ، واجرى عليه كشفا بالاشعة ، اخبرته ابنته ان السرطان لا يزال ينتشر في عظامه ، وعندما حقق دكتور نولين هذه الحالة ، تبين ان السرطان لا يزال يغزو جسمه ، وان وزنه قد بدأ يهبط بشكل واضح ، وانه يستعين بالحبوب المنومة والمسكنة لاراحته من آلامه ، وهذا يعني ـ على حد قول ابنته ـ ان والدها عاش في وهم خادع ، وان كاترين كولمان لم تفعل شيئا ذا بال .

وحالة رابعة لجوزيف فيرجل المصاب بسرطان في البروستاتا ، وهو هنا يحكي لنا شعوره فيقول : لقد سمعت عن معجزات كاترين كولمان امورا تفوق الخيال ، ومن اجل هذا ذهبت اليها ، وعندما رايت بعيني كل هؤلاء الناس الذين يعلنون عن شفائهم ، شعرت بان الامر قد يشتغل معي ويشفيني ، وعندما اشارت كاترين الى الجهة التي كنت اجلس فيها وقالت : « هناك .. في هذه الجهة يوجد شخص مصاب بالسرطان ، وعليه الا يبالي به ، فالروح القدس قد بدأت في مداواته ، وعليه ان يقف الان ليعلن عن هذه المعجزة » .. عندئذ احسست بانني ربما اكون المقصود باشارتها ، وقمت لاعلن شفائي .

وعندما ذهبت الى طبيبي المعالج ـ والكلام لا يزال على لسان فيرجل ـ بعد عدة ايام ، اخبرني بأن الورم لا يزال هناك ، وعلي ان اداوم على العلاج دون خوف من الموت بهذا الداء ، فهو ليس خطيرا بالدرجة التي اخشاها ، وللان لا ادري ان كان شفائي سيتم عن طريق معجزات كاترين كولمان او عن طريق الطبيب المداوي .

والواقع ان جلسة الوسيطة الروحية لم تفعل شيئا اكثر من رفع معنويات فيرجل ، هذا في الوقت الذي انخفضت فيه معنوياته بكلام طبيبه الذي لم يكن موفقا في شرح الحالة ، وكأنما هو ــ اي الطبيب ــ الذي دفع مريضه دون قصد منه لطلب المعجزة ، ولو كان قد اوضح لــه ان سرطان البروستاتا من السرطانات التي يمكن التحكم فيها بالعلاج عن طريق حبوب « ستلبسترول » التي تحتوي على هرمون انثوي يؤدي الى انكماش الورم ، وتهيىء للمريض حياة طيبة لسنوات طويلة قادمة ، لو قال له ذلك واقنعه بجدوى العلاج ، وشجعه عليه ، لما وقع الرجل فيما وقع فيه .

وحالة خامسة لسيدة تدعى هيلين سوليفان الذي اقعدها ورم سرطان تفشى من معدتها الى كبدها وفقراتها العنقية ، وعندمــا اعلنت كاترين كولمان ان ثمة شفاء يتم من السرطان في الناحية التي كانت تجلس فيها ، تركت مقعدها المتحرك وتوجهت الى المسرح ، وكانما هي تحس بقوة دافعة خفية تدفعها الى اعلان شفائها .

وعندما زارها دكتور نولين بعد شهرين من حضورها الجلسة الروحية التي اعلنت فيها شفاءها ، وجدهــا في حالة يرثى لهــا ، واخبرته ان الاطبــاء قد اجــروا لها عملية جراحيــة لاستئصال السرطان من معدتها ومريئها ، لكنهم لم يستطيعوا ان يفعلوا اكثــر من ذلك ، لانتشار المرض في اماكن اخرى لا يمكن اجــراء عمليات استئصال فيها ، ومن اجل هذا لجأت الى كاترين كولمان بعــد ان شاهدت معجزاتها الشافية في برنامج تليفزيوني (لاحظ ان اجهزة الاعلام تخدع الناس هنا باوهام باطلة) ، علها تحصل بدورها على المعجزة ، وبدأت الوسيطة في حملها على الاتيان بحركات على المسرح لم تستطع أن تفعلها منذ شهور ، فكانت تروح جيئة وذهابا وهي تحرك رقبتها ، وتثني جسدها ، وكانما كل آلامها قد اختفت ، ولقد تاكدت المريضة وقتذاك ــ بدافع من ايحاء شديد ــ ان الروح القدس قد فعلت المعجزة ، ولهذا رفعت السنادة التي كانت تسند بهــا

فقرات عنقها ، واخذت تلوح بها في الهواء ، وسط تهليل المشاهدين ودهشتهم .

« وعندما عدت الى منزلي ، احسست بآلام رهيبة في صباح اليوم التالي اعجزتني تماما عن الحركة ، فكان ان استدعينا طبيبا ، فنقلني الى المستشفى لاجراء كشف بالاشعة ، واظهرت الاشعة ان احدى فقرات العنق قد انزلقت ــ ربما بسبب حركتي على المسرح ، او بسبب انتزاعي للسنادة،وهانذا اصلي لله عله يريحني من آلامي» .

وبعد اشهر اربعة ماتت المريضة بسرطانها .

وحالات اخرى كثيرة من الاورام السرطانية يضيق المجال لسردها ، وكلها قد اعلنت امام الملأ انها قد شفيت من دائها ، وحمل الناس هذه الاخبار المثيرة ليتحدثوا بها عن معجزات كاترين كولمان التي لا يمكن انكارها . . اذ كيف تنكر وقد راوا بانفسهم ما لا يمكن تصديقه ، وسمعوا من المرضى انهم قد شفوا من امراضهم ؟.

لكن الحقيقة ــ كما رأينا ــ كانت غير ذلك على الاطلاق .

او هي كما يضعها لنا دكتور نولين ببساطة « عندما فحصت بعناية كل الحالات التي وقعت تحت يدي ، والتي اعلنت بنفسها عن شفائها ، توصلت الى استنتاج لا مهرب منه ولا مفر : فكل المرضى الذين جاءوا الى كاترين كولمان بامراض عضوية وعادوا الى منازلهم وهم متاكدون من حدوث المعجزة ، لم يبراوا حقا من اي مرض من امراضهم ــ لا بواسطة كاترين كولمان ولا بواسطة الروح القدس » !

ان المشكلة الحقيقية ــ والكلام هنا على لسان دكتور نولين ــ تتركز في الجهل . . « فمس كولمان لا تستطيع ان تفرق بين الامراض العضوية والامراض النفسية . كما انه يبدو انها لا تعرف شيئا عن التنويم او الايحاء ، ولا شيئا عن الجهاز العصبي اللا ارادي » . . فكلها او بعضها يلعب دورا في الشفاء من بعض الامراض الوظيفية او النفسية ، وهذا ما يعرفه الاطباء النفسانيون تمام المعرفة ، ولا يحتاج الامر بعد ذلك الى معجزات او كرامات او ما شابه ذلك .

نوربوتشن .. المعالج ذو الاصابع المعجزة !

ومن المعالجين الروحانيين الذين لهم شهرة طبقت الافاق يبرز رجل مكسيكي الاصل يدعى تشارلز الكسندر ، لكنه غير اسمه الى نوربوتشن ليصبح الاسم ذا جاذبية وغموض .

ويقطن تشن في قصر تحيط به حديقة تبلغ مساحتها ثمانية افدنة ، ويقع القصر في هيوستون بالولايات المتحدة ، ويبلغ دخله اليومي اكثر من الفي دولار ، ويعالج ـ على حد زعمه ـ اربع حالات في اليوم الواحد ، ويتلخص علاجه في قوة غامضة تخرج من يديه لتحل بالمريض ، وتطرد المرض ايا كان نوعه وشدته (وسنتعرض لطبيعة هذه القوة فيما بعد) .

ولقد كان نوربوتشن مغمورا لعدة سنوات ، ثم جاءت شهرته ، وذاع صيته على يدي رجل الفضاء الكابتن ادجار ميتشيل الحاصل على درجة دكتور في العلوم ، والذي كان سادس انسان مشى على سطح القمر ، لكن ميتشيل هجر العلم ، وزج بنفسه في هذا العالم الاسطوري الغامض ، فهو يعتقد اعتقادا راسخا في تلك الاوهام التي يطلقون عليها العلاج الروحي والجراحة الروحية ونقل الافكار عن بعد من شخص الى شخص اخر (التخاطر او القليباتي) وتحريك الاشياء او ايقاف الآلات المتحركة بمجرد تركيز النظر عليها ، ويؤمن مثلا بقدرة شاب يدعى يوري جيللر (وسوف نتعرض لقدرات جيللر فيما بعد) على الاتيان بالمعجزات ، والذي قال عنه « ان جيللر يستطيع تجسيد الاشياء من لا شيء ، وانه شاب معجزة » .. الى اخر هذه الامور التي حققها العلم ، واثبت زيفها !

وهو ايضا دكتور ادجار ميتشيل ـ رجل الفضاء السابق ـ الذي نصح دكتور نولين الطبيب والجراح بضرورة الاتصال بنوربوتشن للاطلاع على معجزاته الشافية .. صحيح ان هناك معالجين روحانيين كثيرين ينتشرون في الولايات المتحدة الامريكية ، لكن تشن قد بزهم جميعا ، وهو لهذا يستحق التامل والدراسة !

وذهب نولين الى تشن في بيته المنعزل ، فوجده رجلا في العقد الخامس من عمره ، ومن طريقة كلامه وحواره احس نولين بانـــه شخص بذيء ومتعجرف وشديد الغرور وسريع الغضب عندمـــا يوجه اليه سؤال لا تعجبه ، فكأنما هو يعرف كل شيء وغيره من العلماء والاطباء والمثقفين لا يعرفون شيئا ، رغـم انه يتكلم اللغــة الدارجة أو لغة السوقة ، ولهذا بدا نولين يعامله بمنتهى الحرص والحذر ، حتى يأمن عدم طرده من البيت !

ولقد وجد دكتور نولين في بيت تشن احد علماء البيولوجيا – وهو دكتـــور هويل كوب – من جامعــة تكساس مـــع احــدى مساعداته ، ولقد جاءا ليدرسا قدرة تشن على العلاج الروحي ، مستخدمين في ذلك عددا من الفئــران التي كانت تحقــن بخلايــا سرطانية ، ثم تتعرض لقدرات تشن الغامضة ، علها توقف نشوب السرطان في الفئران .. هذا وتقوم « المؤسسة العلمية لدراسات العقل » بتمويل هذا البحث والاشراف عليه ، ولقد اصدرت هــذه المؤسسة تقريرا في ٢٦ ابريل عام ١٩٧٤ بأن نتائج التجارب التي اجريت على الفئــران ليست مقنعــة تماما لاظهـــار قــدرات تشن العلاجية .

ومن المناقشات الحذرة التي دارت بين نولين وتشن يتبين ان هذا المعالج الروحي قد اكتسب هذه القدرات الخارقة من التبت التي سافر اليها من عدة سنوات حتى اصبح مهيأ للعلاج مـــن خلال « القوى الكامنة في الطريقة » .. وهي طريقة معلمه وشيخه «اللاما» (وابن الطريقة عندنا تلميذ لاحد اقطاب الصوفية) .

ولقد قضى تشن ثلاث سنوات في التبت حتى اصبح مهيا لهذه الرسالة ، وليكون من اهل الطريقة ، ولكي يتهيأ فلا بد من ان يقضي حوالي سنة في كهف معزول عن العالم ودون ان يلبس شيئا الا مـــا يستر عورته فقط ، هذا بالرغم من ان درجة الحرارة في مرتفعـات التبت قد تنخفض شتاء مـــا يقرب من عشرين درجــة مئوية تحت الصفر (طبيعي أن الانسان العريان لا يمكن ان يعيش عنــد هــذه

الدرجة) ، كما انه لم يكلم احدا ولم ير احدا طوال هذه المدة ، وكان يمتنع عن الطعام لمدة ثلاثة ايام ، فاذا جاءه جاء على هيئة وجبة خفيفة ، اما الماء فقد تكفل به ينبوع صغير في الجهة المقابلة من الكهف ، وبعد مروره بهذا الاختبار القاسي ، يخرج من كهفه ، ويكون مهيأ لتلقي اصول الطريقة .

ومن الاختبارات القاسية والمفزعة التي يجب ان يمر بها تلميذ اللاما اختبار « الرولانج » ، وفيه يأتون بجسد انسان مضى على موته سبعة ايام (ولا ندري ان كان الجسد قد تحلل وتعفن بعد هذه الايام السبعة ام لا يزال على حاله !) ، وعلى ابن الطريقة ان يرقد على هذه الجثة العارية ويحتضنها ، ثم يضع شفتيه على شفتيها ، وعندئذ تعود الجثة الى الحياة ، وتبعث من موتها (هكذا !) وتقوم منتصبة لترقص وتقفز وتدور ، وعلى تلميذ اللاما الا يدعها تفلت من بين ذراعيه ، وعليه ايضا ان يحتفظ دواما بشفتيه على شفتيها ، وبعد فترة قد تقصر او تطول ، تدفع الجثة الحية لسانها داخل فم من يراقصها ، وعندئذ لا بد أن يقضم لسانها ، وبعد برهة تسقط الجثة جثة هامدة على الارض ، ويحتفظ ابن الطريقة بلسانها ، فهو صك مروره الى عالم المعجزات وشفاء الامراض ، ولكن عليه ان يتعلم المزيد من معلمه ، ليصبح مهيأ لذلك !

هذا ملخص القصة التي سمعها دكتور نولين من نوربوتشن ، او دكتور تشن ــ كما يحلو لبعض من حوله ان ينادوه بهذا اللقب ، ويذهب ذلك الرجل في خزعبلاته وخيالاته الى ابعد من ذلك ، ويشير الى صورة قميئة مطرزة على قماش « الكانافا » تشبه مخلوقا بشعا نصفه آدمي ونصفه حيواني ، ويذكر انه باستطاعته ان يركز بصره على تلك الصورة المعلقة ، وعندئذ يبرز منها هذا المخلوق ويتحول من صورته الجامدة الى كائن حقيقي يتحرك امامهم في الحجرة ، وعندما رأى تشن الدهشة وعدم التصديق على وجه نولين ، قال : انني متأكد انني استطيع ان افعل ذلك ، ولكنني لن افعل ، ولن اطلعك كذلك على الالسنة التي قطعتها من الجثث التي كنت اراقصها .

لقد قدمنا مقتطفات مقتضبة من هذا الهراء الذي لا يستقيم مع ابسط مبادىء العقل او المنطق ، لتحكم عليه بنفسك فكأنما هذا الرجل الشاذ يريد ان يوهم الناس انه يستطيع ان يعطل الشرائع الطبيعية ، ويتحكم في القوانين الكونية ، ويأتي بما لم يات به الانبياء والرسل !

وهو بهذه الصفات الممقوتة لا يستحق دراسة ، ولا يمكن لصاحب كل ذى عقل رزين ان يستمع اليه ، او يأخذ كلامه على محمل الجد ، ومع ذلك ترى واحدا مثل رجل فضاء صعد الى القمر يعتقد فيه وفي معجزاته ويصبح اعظم الابواق دعاية له ولمنجزاته .

ومع ذلك ، فقد صبر عليه دكتور نولين على مضض ، فهو يريد ان يصل معه حتى النهاية ، فكل همه ان يرى بعينيه كيف يمارس مقدرته الخفية في شفاء الناس من معظم الامراض ، فهو الذي يزعم ـ على سبيل المثال ـ ان نتيجة الشفاء في مرضاه اعلى بكثير من النتائج التي يحققها ابرع الاطباء ، فهو يدعي ان نتائج الشفاء من امراض الكلى تصل الى ٩٥٪ من كل الحالات التي يعالجها ، و ٩٠٪ مع مرضى القلب ، وفي تيبس المخ او تصلبه فان اكثر من ثلث مرضاه يشفون من هذا الداء الذي حار فيه كل الاطباء ، وفي حالات السرطان المبكرة فان نتيجة الشفاء تصل الى ٨٧٪ .

لكن دكتور نولين كان على ثقة ان تشن كان يعطي هذه الارقام جزافا ، ولقد تأكد من ذلك بعد ان اختلس نظرة سريعة الى المفكرة التي كان تشن يحتفظ فيها باسماء مرضاه وبعض عناوينهم ، دون ان يكلف خاطره بتوضيح مرض كل مريض ، حتى يستطيع ان يقدر نسبة الشفاء من كل مرض .

طريقة العلاج عنـد تشن

قدمنا ما قدمناه عن شخصية هذا المعالج الروحي ليكون كل شيء واضحا من البداية .. لكن طريقته في العلاج اغرب من ذلك واكثر سخرية .. فالحجرة التي يقوم فيها بعلاج مرضاه تضيئها بعض شموع خافتة ، وبحيث تبدو اقرب الى الظلام منها الى النور ، وفي الحجرة تنطلق روائح نفاذة من البخور ، وعلى جدران الحجرة تتعلق ستائر منقوشة بلون احمر داكن ، وفي احدى اركانها قطعة من الاثاث تشبه مذبح الكنيسة ، وفوقها تمثال لبوذا ، وفي وسطها توجد منضدة ينام عليها واحد من مرضاه ، وعندما يبدأ العلاج ، يتوجه الى المذبح ، ويقف امامه ، ثم يمد ذراعه ، ويبدأ في العواء كالذئب ، ويستمر على هذا الحال حوالي دقيقة ، وبعدها يلتقط جرسين موضوعين امامه على المذبح ، ويلوح بهما فوق راسه في حركات متبادلة ، ثم يبدأ في عواء اكثر شدة ، وبعد حوالي خمس دقائق ، يعود الى المريض الممدد ، ويمد اصبعه او يده او كلتا يديه الى الجزء المريض من جسمه ، ثم يعود الى المذبح ، ويرنو اليه ببصره بضع ثوان ، ثم يعود الى المريض ، ويشير اليه بيديه .. وينتهي كل شيء فجاة ، ويأمر المريض بأن يغادر المنضدة ، فهذا هو علاجه المرتقب ، وينطلق تشن ـ بعد ذلك ـ الى حجرة مجاورة ليغير رداءه الكهنوتي ذا اللون البني الغامق ، ويخلع قلادة معلقة في رقبته، ثم يعود وقد ارتدى ملابسه العادية التقليدية .

ويفسر تشن هذا السلوك الغريب بتفسير اغرب ، فهو يزعم انه يركز كل طاقته الروحية امام المذبح ، ثم يعود بها ، لتنطلق من خلال اصابع يديه لتضرب المرض في بقعة محددة ، وبهذا يحل الشفاء .. وعندما استفسر منه دكتور نولين عن طبيعة هذه الطاقة التي تترك جسده في دفقة قوية واحدة ، اجاب تشن بلهجة لاذعة بان ذلك لا يعنيه ، انما تعنيه فقط النتائج ، ثم ان هذا الامر سر من اسرار الطريقة التي تعلم اصولها في التبت .. وانت تستطيع ان

تشتم من هذه الاجابة كيف يراوغ تشن زيداور ، فعندما يوجه اليه سؤال في الصميم ، فانه يتهرب من الاجابة بوسائل شتى .

وفي الايام الاربعة التي قضاها دكتور نولـين ضيفا في منزل تشن ، ليدرس ــ عن قرب ــ وسائله في العلاج ، لم يمكنه تشن من ذلك ، واعتذر قائلا « انني غـير مستعد لعـلاج اي انسان هذا الاسبوع .. اضف الى ذلك انني أبغض كل من جاء ليراقبني اثناء علاج مرضاي .. فهل انت مثلا تحب الناس وقد جاءوا ليراقبوك اثناء اجراء العمليات الجراحية » ؟

ان المرة الوحيدة التي رأى فيها نولين هذا المشعوذ وهو يقوم بطقوس العلاج الروحي ، كانت على الفئران ، والتي سبق ان المحنا اليها .. وهي لا تختلف عن الطقوس التي يجريها على المرضى .. اي انه يلبس رداء كهنوتيا ، ويتوجه الى المذبح ، ويعوي كالذئب ، ثم يعود الى المريض ليفرغ فيه طاقته الروحية الشافية من خلال اصابعه ، فتطرد المرض بعد فترة قد تطول او تقصر .

ومع ذلك ، فقد سمح تشن لدكتور نولين ان يحمل معه بعض عناوين المرضى الذين تـم شفاؤهم على يديـه ، وهنا يبـدأ دور التحريات الطبية .

طبيب مريض يلجأ الى تشن لعلاجه !

لقد تحرى دكتور نولين حالات مرضى ستة من الذين زعم تشن انهم قد شفوا على يديه ، ومن هذه الحالات ــ للاسف ــ حالة طبيب حاصل على الدكتوراة في الطب ، ومـع ذلك فقد ذهب الى تشن يطلب العلاج عنده ، ولقد اتخذ تشن هذه الحالة بالذات ليفاخر بها في حين ، ويسخر من الطب والاطباء في حين اخر ، ويدعي انه يحقق ما لا يستطيع ان يحققه الاوائل والاواخر !

وطبيعي ان حالة هذا الطبيب المريض ــ ولنسمه مجازا دكتور جون سميث ، البالغ من العمر ٥٢ عاما ــ قد جذبت فضول دكتور

نولين ، فكان ان ذهب اليه ليعرف منه حقيقة مرضه ، وماذا افاد حقا من علاج تشن .

ومشكلة جون سميث تكمن في كليتيه ، فهما من ذلك النوع الذي يداوم على تكوين الحصوات ، اذ كلما ازيلت بعمليات جراحية، عاودت تكوينها من جديد ، حتى لقد بلغ عدد العمليات التي اجراها في كليته اليسرى ثلاثة ، وفي كليته اليمنى اثنتين ، وبدات كليتاه ــ بعد عشر سنوات ــ تخفق في ترشيح البول ، مما ادى الى ارتفاع نسبة البولينا في دمه ، ومن اجل هذا استعان على بلائه بكلية صناعية ، لكن حالته بدات تتدهور ، ثم ظهر على وجهه ورقبته وذراعيه مرض جلدي غريب ، واخذ هذا المرض ينتشر بشكل منفر، رغم لجوئه الى اطباء الامراض الجلدية ، لكن علاجهم لم يضع حدا لمعاناته ، فكان ان وقع فريسة للاوهام والآمال الخادعة .

وذات يوم زاره صديق جراح من ذلك النوع الذي يعتقد في الارواح والتخاطر والقوى الخفية التي تتحكم في هذا العالم ، وهو ــ في الوقت نفسه ــ قد سمع عن نوربوتشن الشيء الكثير ، واسر اليه امرا : لماذا لا يذهب الى تشن ليرى حالته ، خاصة وانه لن يخسر شيئا ؟!.. (الواقع انه سيخسر خمسمائة دولار يدفعها لتشن ، زيادة على تكاليف السفر ، وزيادة على سمعته كطبيب يحمل درجة الدكتوراه ، ثم اذ به يكفر بالعلم والطب ، ويؤمن بالخرافات).

واختمرت الفكرة في ذهنه ، خاصة وانه لا امل في شفائه ، والغريق يتشبث حتى ولو بقشة ، ولتكن هذه القشة هو تشن نفسه .. وباختصار ذهب اليه عدة مرات ، وبالفعل احس بأن مرضه الجلدي قد بدأ ينحسر شيئا فشيئا ، لكنه لم يبرأ منه تماما ، اما عن كليتيه ، فلم يطرأ عليهما اي تحسن ، بل زادت حالتهما سوءا ، رغم أن تشن قد اكد ان دكتور سميث كان من ضمن الحالات التي استجابت لعلاجه ، وعلى دكتور نولين ان يتحقق من ذلك بنفسه ، وعندما تحقق بنفسه ، تبين له كذب دعواه .

لكن .. ماذا عن المرض الجلدي الذي حار فيه الاطباء ؟.. الم تتحسن الحالة حقا بقدرات تشن الخفية ؟

ان بعض الامراض الجلدية ـ كما يقول نولين ، وكما قال قبل ذلك ـ قد تخضع احيانا للحالات النفسية ، وقد تستجيب للايحاء او التنويم ، واغلب الظن أن حالته كانت من تلك الحالات ، وطبيعي ان تشن لم يصنع معجزة ، بل هيأ مريضه نفسيا بان كل شيء سوف يكون على ما يرام ، ومن خلال هذا الامل الاول والاخير في حياته ، بدا يعتقد في الشفاء ، فكان أن تحسنت حالة مرضه الجلدي ، وساءت حالة كليتيه .. هذا بالرغم من ان تشن كان قد اخبر دكتور نولين انه استطاع ان يعالج كليتي الرجل ، ولم يذكر له شيئا عن مرضه الجلدي .

شفاء سرطان الجلد .. بواسطة تشن ام بالطب ؟

وذهب نولين في بحثه عن الحقيقة الى رجل يبلغ من العمر ٦٨ عاما ، وكان هذا الرجل قد اجرى عملية جراحية لاستئصال احدى سرطانات الجلد ، الا ان الجراح كان قد ترك اثارا طفيفة لم يلحظها ، وبالتالي لم يستأصلها ، الا أن الطبيب المعالج أشار على الرجل انه لا خوف من ذلك ، طالما ان هذه الآثار يمكن علاجها بالاشعاع ، وبالفعل وافق الرجل على ذلك ، وبدأ في علاج استمر اسبوعين ، وتلقى فيها عشر جلسات من الاشعة السينية على رقبته حيث توجد بقايا جذور المرض ، الا ان جلده قد التهب من آثار الاشعاع ، وسبب له مضايقات نغصت عليه حياته ، وعندما خاف على نفسه من المضاعفات ، لجأ الى نوربوتشن الذي عالجه في اربع جلسات استمرت لمدة اسبوعين ، وعند انتهاء هذه الفترة ، بدات آثار الالتهاب والاحمرار تزول تدريجيا ، ومن اجل هذا يعتبر تشن سيد المعالجين !

وطبيعي ان عواء تشن او قوته الخفية لم تكن وراء شفاء الرجل من سرطانه ، ثم أن ظنه بأن الشفاء يرجع الى تشن انما هو جهل بالاسباب ، فالذي شفاه حقا هي جلسات الاشعة التي كان يداوم

عليها ، ولو لم يذهب الى تشن ، لاختفت هذه الالتهابات تلقائيا ، وهذا ما يعرفه الاطباء حق المعرفة ، اذ ان الشفاء من سرطان الجلد مضمون بنسبة تقرب من مائة في المائة ، ولكن على شرط ان يكون هذا النوع من السرطان ناشئا من خلايا خاصة تعرف باسم الخلايا الحرشفية والقاعدية ، ولقد اتضح بالفعل ان سرطان هذا الرجل ناشيء من النوع الثاني من الخلايا وهذا مضمون العلاج .

والواقع ان احمرار الجلد وحساسيته للاشعة شيء طبيعي للغاية ، لكن بعض الناس يتأثرون بالاشعاع اكثر من غيرهم ، ويظهر عليهم هذا الاثر واضحا ، مثلهم في ذلك كمثل المستحمين على شواطىء البحار ، فمنهم من يلتهب جلده بفعل الاشعة فوق البنفسجية ، وبحيث يؤدي ذلك الى احمرار وتسلخات وآلام ، ومنهم من لا تظهر عليه هذه التفاعلات بشكل واضح .

ولقد ذهب الرجل الى تشن بعد ان انتهى من علاجه بالاشعة واصبح جلده في قمة احمراره ، لكن الخطأ هنا ــ على حسب قول دكتور نولين ــ هو خطأ الاطباء المعالجين ، اذ كان من المفروض ان يرشدوا مرضاهم الى مثل هذه الآثار الجانبية ، وان يطمئنوهم الى زوالها بالتدريج بعد انقضاء فترة العلاج .

اذن .. فالطب هنا هو الذي شفى السرطان ، وذهب الفضل الى تشن ، لكن المعجزة الحقيقية تكمن في خلقنا ، اذ ان اجسامنا قد جاءت لتصلح ما تهدم ، وترمم ما تدمر ، ولقد رممت واصلحت ما افسدته الاشعة في الخلايا الحية ، وهي تضحية واجبة ، لتنقذ ما يمكن انقاذه من تدمير هذا الداء اللعين .

وادعاء بشفاء تليف في الكبد !

ظلت السيدة ـ ولنسمها اسما مستعارا لويز رولينز ــ البالغة من العمر ٥٩ عاما تشرب الخمور بشراهة لمدة خمسة وثلاثين عاما متواصلة ، وكان من نتيجة ذلك ان اصيبت بتليف في الكبد ، وظهرت آثار المرض واضحة على هيئة انتفاخ في بطنها ــ وقدميها ويرقان عام ... الخ .

وفي عام ١٩٧٢ ذهبت الى تشن ، حيث قضت يوما كاملا في راحة تامة ، دون أن تتحدث الى احد او يحدثها احد ، وفي هذه الاثناء كانت تعيش على عصير الليمون « الجريب فروت » .. والواقع ان جميع المرضى الذين يذهبون الى تشن يمرون بهذا الروتين قبل بدء العلاج بدفقة الطاقة العلاجية .

وبعد العلاج التقليدي ، امرها تشن ان تذهب الى بيتها ، وان تلزم سريرها لمدة اربعة ايام ، والا تتعاطى اي قدر من الخمور ، وفي هذه المرة نفذت اوامر تشن بدقة تامة ، فكان ان فقدت بعض السوائل الزائدة التي كان جسمها يحتفظ بها نتيجة لهذا المرض ، وتحسنت حالتها بعض الشيء ، وبعد اسابيع ثلاثة عادت الى الخمر ، فعاودها المرض ، فكان ان ذهبت الى تشن مرة اخرى ، وامرها أن تستريح في السرير لمدة عشرة ايام ، وان تقلع عن الخمر ، ثم ذهبت اليه خمس مرات اخرى على مدار السنة ، وفي كل مرة اتبعت فيها تعليماته ، كانت صحتها تتحسن طالما هجرت الشراب ، فاذا عادت ، عاد المرض ، ولقد علقت على ذلك بقولها « تاكيدا ان الخطأ ليس خطأ تشن ، لكنه خطئي وحدي » !

لكن .. هل كانت هذه القوة الخفية الدافقة التي ضرب بها تشن الكبد المتليف للمريضة هي السبب في تحسن حالتها ؟

ليس ذلك تماما .. فاي طبيب معالج ينصح المرضى من هذا النوع بضرورة الاقلاع عن الشراب ، ولزوم الراحة ، اذ ليس هناك علاج حقيقي لمثل هذه الحالات ، وليست هناك معجزات يمكن ان تتداخل في عمل الكبد لتصلح شانه ، انما المعجزة الحقيقية تنبع من داخل الكبد ذاته ، اذ هو يتولى امره بنفسه ، ويصلح ما افسده المرء بسوء تصرفه ، ولكي يفعل ، فلا بد ان نعينه على بلواه من تلك السموم ، فالاقلاع عنها ، يهييء له من امره رشدا .

الشيء الوحيد الذي يختلف فيه الاطباء عن تشن ، انهم لا يقومون بهذه الطقوس ، او يعوون عواء الذئب ، ثم ينفثون طاقتهم

الخفية في المريض لينصلح حاله ، ومع ذلك فقد تنفع هذه الخزعبلات في اقناع السذج او ذوي العقول الضعيفة بالتزام الاوامر الملقاة عليهم ، ولهذا قد تراهم يقتنعون بها اكثر مما يقتنعون باوامر اطبائهم !

ان السيدة لويز رولينز ما زالت مقتنعة بأن تشن قد حقق لها ما عجز الطب عن تحقيقه ، ولا شك لديها في معجزاته ، وهي لا تعلم ان المعجزة في خلق نفسها وفي خلق ما بداخلها ، لكنها تفسد ما جاء خلقا سويا متوازنا بديعا من لدن حكيم خبير .

اي اننا لو تقصينا الاسباب ، لظهر لنا ان كل شيء يسري بحساب ومقدار ، ولا دخل فيه لمعجزات طب او مشعوذين ، بل سارت الامور على اساس متين ، وبقدر مبين .

هل تلاعبت قوى تشن في الاجهزة الاليكترونية ؟!

وهذه ام تحكي لدكتور نولين ماساة ابنها التي الجاتها ــ رغما عنها ــ الى اخر امل يمكن ان تتشبث به ، فقد اصيب ابنها البالغ من العمر ١٥ عاما بورم في مخه ادى الى غيبوبة طويلة ، ولقد ساعده على الحياة اجهزة تنفس صناعي ، ومنشطات لقلبه وما شابه ذلك ، واخبر الاطباء الام الثكلى بأنهم لا يملكون لولدها شيئا ، وصدمت الام صدمة شديدة ، وسمعت عن معجزات تشن الذي ابدى استعداده للحضور الى المستشفى بالطائرة لعلاجه (طبعا على نفقة عائلة الصبي) .

« وعندما حضر أخبرناه بان الطب لا يستطيع ان يفعل شيئا ، وانه ترك الامر لنا لنفعل ما نشاء نحو ولدنا الذي يموت بالتدريج ، ووافق الاطباء على حضورك هنا ، لعلك تفعل شيئا من اجل خاطرنا وخاطر ابننا » .

وعندئذ علق تشن على ما سمع بقوله « لا تلقوا بالا لما يقول الاطباء ، فهم لا يدركون ما يفعلون ، وسافعل ما في وسعي ، الا انني لا استطيع ان امدكم بشيء » .

« وعندئذ دخل تشن الى حجرة الصبي ، وبدأ يستجمع قواه ليضرب ضربته الشافية ، وفي هذه الاثناء بدات اجهزة رسام القلب الكهربي ، واجهزة تسجيل حالات التنفس والنبض وغير ذلك من اجهزة اليكترونية ، بدات في اصدار اشارات مضطربة لفترة لم تتجاوز دقيقة واحدة ، ولاحظنا على تشن انه بدا يضطرب عندما راى هذه الظاهرة ، وكأنما هو يستغرب ويتعجب لقواه التي ظنها قد تلاعبت بتلك الاجهزة ، وبدأ بالفعل يتطلع اليها وكأنما هو يدرسها ويفحصها ، وينظر الينا نظرات تنبيء بأن قواه الخفية قد تداخلت في الاجهزة وعطلتها الى حين ، لكننا من خبراتنا السابقة مع تلك الاجهزة لم نجد شيئا غير عادي ، فطالما رأيناها تفعل الشيء نفسه عشرات المرات على مدى اسبوعين ، فالاضطراب الذي رآه تشن واراد ان يعيده الى قواه الخفية قد تحدثه عاصفة رعدية ، او كهرباء استاتيكية » !

وتستطرد السيدة في حديثها مع دكتور نولين قائلة « الواقع ان تشن لما رأى ما رأى ، استبشر خيرا ، واخبرنا انه قد ضرب بقواه الخفية ضربة طيبة وشافية ، وهذا ما جدد لدينا الامل ليوم او يومين ، لكن الامور بقيت على ما عليه ، بل انها زادت سوءا في الايام التالية ، وتوفي ابننا بعد ايام خمسة » !

* * *

وحالات اخرى كثيرة معظمها من ذلك النوع من الامراض الذي يروح ويجيء ، فاذا اختفى كان الفضل فيه لتشن ، واذا عاد ، فلا لوم عليه ، انما اللوم يقع على المريض ذاته .. وطبيعي ان هذا المريض قد لا يعرف (او ربما يعرف) ان اجسام الكائنات الحية قد امتلكت ميكانيكية بيولوجية فذة ، وانها ــ من خلال هذه الميكانيكية ــ تحاول دائما ان تصلح شأنها .... فالمعارك التي تخوضها الاجسام ليل نهار مع جيوش الميكروبات ، وما ملكته من اجهزة مناعة او دفاع عظيمة ، انما تمثل لنا جزءا من هذه الميكانيكية البديعة ، كما ان الجروح

والكسور يتولى الجسم ترميمها دون تدخل منا في شأنها ، وكل ما نفعله هنا ان نحمي الجرح من مزيد من التلوث ، او نقوم العظام التي حادت عن سبيلها .. الخ .

ومن الحالات التي أدعى تشن شفاءها نذكر اختلال الدورة الشهرية عند النساء ، والصداع النصفي ، والكدمات والالتهابات.. وكلها تنطوي تحت لواء الامراض الوظيفية ــ لا العضوية ، وهذا يعني انها تتأثر بحالاتنا النفسية او العاطفية او المزاجية ، فتروح وتجيء على حسب ما يتعرض له الانسان في حياته .. وطبيعي ان معظم الناس ماداموا يعتقدون في جدوى العلاج ، حتى ولو كان ذلك على ايدي مخادعين مثل تشن او كاترين او غيرهما ، فان ذلك من الاسباب النفسية المساعدة على الشفاء .. على الاقل بالايحاء ، والايحاء والتنويم من الامور المعترف بها طبيا كوسيلة من وسائل علاج بعض الامراض الوظيفية ــ لا العضوية .

على ان الخداع قد يذهب بنا الى نهايته ، عندما يدعي الناس او يؤكدون وجود عمليات جراحية يطلقون عليها اسم الجراحات الروحية .. فما هي قصتها هي الاخرى ؟



الفصل الثاني

خدعة اسمها الجراحة الروحية

يتحدث الناس ـ في الشرق والغرب ـ بشيء من الاثارة والدهشة والاسهاب عن « فن » حديث نسبيا اسمه الجراحة الروحية ، ويطنبون في معجزاتها الشافية التي تحقق ما لا يستطيع الجراحون التقليديون تحقيقه ، ولهذه المهنة الغريبة ممارسون قليلون في الولايات المتحدة الامريكية ، وفي بعض دول امريكا اللاتينية واوروبا الغربية ، لكن هؤلاء الجراحين الروحانيين قد تلقوا اصولها في الفيليبين ، فهي الموطن الاصلي الذي نشأت فيه المهنة وترعرعت ، ولهذا نجد فيها المئات ممن يجرون هذه الجراحات ، ومن بين هؤلاء يبرز عدد من مشاهير الجراحين يعدون على اصابع اليد الواحدة ، او ربما اصابع اليدين .

ولقد اهتمت اجهزة الاعلام في الدول المتقدمة بهذه الظاهرة ، وخصصت لها ساعات في البرامج الاذاعية والتليفزيونية ، وتناولتها الصحافة بشيء من الاثارة ، هذا بالاضافة الى العديد من الكتب التي ظهرت في هذا المجال ، وعن هذه الكتب ترجم بعض الكتاب العرب اهم ما فيها ، ونشروه في صحفهم ومجلاتهم ، او قدموه في برامج اذاعية ، مؤكدين معجزات هذا النوع من الجراحة ، ولا انسى حديث أحد رؤساء تحرير مجلة اسبوعية مصرية واسعة الانتشار ، وهو يؤكد لي انه شاهد احد الجراحين الروحانيين وهو يجري عملياته بدقة وبراعة ، وكان الشفاء مضمونا في كل الحالات ، وتحت كل الظروف ، وان الامر ليس فيه خدعة ، ولا ينطوي على دجل !

والواقع ان هؤلاء الجراحين لا يستخدمون في جراحاتهم ادوات الجراحة التقليدية ، بل تتم الجراحة بمجرد اشارة من اصابعهم ، ففي الاصابع تكمن قوة خفية ـ على حد زعمهم ، وهذه

القوة ليست نابعة منهم ـ بل مصدرها قديس أو مـلاك او روح طيبة ترشدهم الى مواطـن المرض ، وتحدد لهـم نوع العملية ، وتنساب قوتها من بين اصابعهم ، حيث تشق البطون ، وتستأصل الاورام ، وتستخرج الحصوات ، وتشفي العيون ، وتزيل القرح ، ثم تعيد كل شيء الى اصوله ، فيقوم المريض سليما معافى بفضل هذه الطاقات الخفية التي حلت فيهم من مصادر سماوية !

ومن اجل هذا يتميز الجراح الروحي بالطيبة ، وتظهر عليه علامات الزهد والتقوى ، ويبدو امامك وكأنما هو مبعوث العناية الالهية ، لكي يخلص الناس من آلامهم ، ويزيل اوجاعهم ، وهـو لا يتقاضى اجرا محددا كما يفعل الطبيب او الجراح ، بل يتـرك ذلك لكرم المريض وجوده ، مدعيا ان ما يحصل عليه من مساعدات انما يقيم به اود كنيسته الروحية ، ويساعد به من يقومون علـى خدمتها .. وجدير بالذكر هنا ان هؤلاء الجراحـين قد اشتقـوا لانفسهم مذهبا عقائديا جديدا ليتناسب مع « مؤهلاتهم » الروحية، فاقام المشهورون منهم مبان صغيرة تشبه المعبد او الكنيسة ، واسموها الكنيسـة الروحية ، وما يجود به المرضى من مال ، انما يذهب الى تلك الكنيسة ، ومن هذه الحيلة يحصل الجراح الروحي على اموال لا يحلم بها اعظم مشاهير الجراحين في العالم .

ولبعض الجراحين الروحيين فلسفة خاصة ، اذ يدعـون ان فلسفتهم مشتقة من الانجيل ، فلقد جاء السيد المسيح الـى الارض ليشفي الناس بقوته الروحية ، ويهديهم سواء السبيل ، ثم صعد الى السماء ، لكنه سيعود ثانية الى الارض ، « وقبل ان يعود اعطانا شيئا من روحه الشافية ، ليمهد لنزوله ، ونكون نحن برهانا حيا على هذا النزول، فنشفي الناس من خلاله ، ولقد اختارنا نحن لذلك لاننا فقراء ، وهو سينزل الى ارض الفقراء » .. الى اخر هذه الامور التي يتخذونها منفـذا سهلا الى قلـوب الناس وعقولهم ، وهم ـ بلا شك ـ يضللون باسم الدين !

ولان قد يطرأ على الاذهان سؤال مهم : ما هي اذن طبيعة هذه الجراحات الروحية ؟

ان الفضل في الاجابة على هذا السؤال يرجع الى «تحريات» دكتور ويليام نولين لكشف الحقيقة ، خاصة وانه جراح مارس هذا الفن سنوات طويلة ، ويعرف سر المهنة ، وما يشوبها من حيل وخداع ، او قد تكون حقيقة يعجز الطب عن تعليلها ــ كما جاء على لسان كل من كتبوا في هذا المجال .. دعنا ــ اذن ــ نرى .

ديفيد ــ اول جراح روحي في القائمة

من بين عشرة جراحين روحيين في الفيليبين يبرز اسم ديفيد او « داوود » الذي مارس المهنة اكثر من ١٧ عاما ، وورث اصولها عن والده عندما بلغ من العمر ٢٤ عاما ، ويزعم داوود ان قوته تاتيه من الله راسا ، ومع ذلك فله ايضا حام يحميه ويرعاه ، وان هذا الحامي او القديس هو الذي يرشد يديه ويوجههما كلما اجرى عملية جراحية ، ويزعم داوود كذلك انه يقوم احيانا بعمله وهو في غشية او غيبوبة ، ورغم ذلك تدله يداه على الجزء المريض ، مدعيا ان اصابعه تحس بالفرق الطفيف في درجة الحرارة بين الجزء المصاب ، وبين باقي اعضاء الجسم ، ومن هنا يعرف موضع الداء، ويستاصل المرض من جذوره !

ويقوم داوود في الايام العادية باجراء عدد من العمليات الجراحية الروحية يتراوح ما بين ١٧ ــ ١٨ عملية يوميا ، لكن العدد قد يقفز في ايام الآحاد الى ٥٠ او ربما ١٠٠ عملية ، ويدعي داوود ان قواه الخفية تزدهر الى حدود فائقة ، فيتم عملياته في اوقات قياسية ، واحيانا قد تخبو قليلا ، ولهذا يخشى اليوم الذي قد يتخلى فيه عنه حاميه او وليه ومرشده ، فلا يستطيع ممارسة هذه المهنة ابدا !

وفي مسرح الجراحات الروحية التي تتم في ركن من معبده على منضدة عادية ، يبدأ عمله بالصلاة والدعاء والابتهال ، وكأنما هو بهذا يستلهم الله ــ او الراعي الذي يرعاه ــ في الوقوف الى

جانبه ، ومنحه القدرة على شفاء الناس ، وفي هذا السلوك طمأنينة لنفسية المريض ، وتوطيد العلاقة بينه وبين جراحه ، ونوع من الايحاء بحتمية الشفاء التي يباركها الله بالدعاء !

وعندما وصل دكتور نولين ليتحرى امر داوود بناء على موعد سابق ، اعتذر عن اجراء عملياته في معبده ، لكنه سوف يجري بعضها في قرية مجاورة بناء على دعوة تلقاها من مريضين هناك ، ولا يستطيعان الحضور الى عيادته ، واستقل الجميع سيارة ، وذهبوا الى منزل متواضع ، وكان المريض رجلا في العقد السادس من عمره ، ويشكو من تورم في ساقيه ، بداية من الركبتين حتى القدمين ، وعندما فحصه داوود ، ادعى أن مرضه راجع الى جلطات دموية في عروقه ، ولا بد ـ والحال كذلك ـ من اجراء عملية جراحية روحية ، لكنه اشار الى دكتور نولين أن كان يود فحص هذه الحالة ، ليعرف رايه فيها .

وبخبرة الطبيب الجراح ، فحص قلبه وكبده ورئتيه ، فلم يجد علاقة بينها وبين تورم الساقين ، وربما كان داوود على حق في تشخيصه ، اذ ان هذه الظاهرة المرضية قد تنشأ احيانا من عدم مرور الدم خلال الاوعية بكفاءتها المعهودة ، وأن ذلك قد يساعد على تكوين الجلطات ، فيؤدي الى التهابات وأورام في الجزء المصاب .. وللطب وسائله الجراحية الكثيرة في التغلب على ذلك ، لكن النتائج قد لا تؤدي الى نجاح ، ومن هنا كان نولين تواقا الى مشاهدة ما سيفعله داوود في تلك الحالة .

وتبدأ العملية بأن يأمر داوود مريضه ان ينبطح على بطنه ، ويعري ساقيه وفخذيه ، وتأتي مساعدته بلفافات صغيرة من القطن ، وزجاجة بها كحول ، ومسح داوود فخذي الرجل تحت عجزه بقطعة من القطن مغموسة في الكحول ، وبسرعة مر بابهام يده اليمنى على فخذه ، وكأنما هو قد شق فيه جرحا طوله حوالي شبرا ، واخذ يعبث باصابعه في الجلد بقوة وبطريقة بارعة وسريعة ، وبحيث لا تعطي أحدا الفرصة ليرى بدقة ما يجري .. كلما رآه

دكتور نولين هو خدش احمر قان لا يزيد عن الاصبع طولا ، وكأنما هذا الخدش من فعل دبوس مر على الجلد مرورا عابرا .

ومد داوود يده الى مساعدته لتعطيه وعاء يشبه الكوب ، وفي داخله قطعة قطن مبللة بالكحول ، وفيها اشعل داوود النار ، ثم وضع الفتحة سريعا على الجلد حيث يوجد الخدش ، وهي نفس الطريقة التي نعرفها في بلادنا العربية باسم « كاسات الهواء » التي تستخدم في الاوجاع العضلية او ما شابه ذلك ، وفكرتها تقوم على تمدد الهواء في الكاس او الكوب اثناء الاحتراق ، ثم هروبه الى الخارج ، وعندما توضع الفتحة باحكام على الجلد ، ينطفيء اللهب سريعا ، ليبرد ما تبقى من هواء ساخن ، ثم ينكمش ويحدث التخلخل ، فيشد الجلد الى الداخل شدا ، بحيث نراه مكورا ، ويعتقد العامة عندئذ ان الهواء او الرطوبة التي تخللت الجسد ، وادت الى الوجع ، سوف تخرج تحت وطأة التفريغ الكائن في الكأس او الكوب .

الا ان جراحة داوود الروحية قد جعلت الدم ينبثق من الخدش الذي احدثه بخفة يد ومهارة ، وبحيث لا يلاحظ ذلك احد ، فيعتقد ان الجرح او الخدش قد نتج عن طاقة روحية خفية خرجت من اصبع السبابة ، ويعترف دكتور نولين ان داوود قد خدعه ، رغم انه يمتلك مقدرة في هذا المجال لا تتأتى لغيره من المشاهدين ، ولهذا نراه يكتب عن ذلك ويقول « انني جراح اجريت اكثر من ستة آلاف عملية جراحية وفيها عايشت عمليات في الرئات وحصاوي المرارة والمصران الاعور والارحام وشق البطن والرؤوس والاعناق والاطراف وما شابه ذلك ، وتجولت يداي خلال كل اجزاء الجسم وتجاويفه ، ولهذا اعتقد انني اعرف الكثير عن فن الجراحة ، ومن هنا كانت قدرتي على تقييم ما يجري امامي ، وهذا ما لا تتأتى للذين لا يعرفون شيئا عن سر المهنة .. فلو انك لم تكن قد شاهدت الكثير من العمليات الجراحية ، وعايشت الدم والانسجة والاعضاء ، لكان من السهل جدا عليهم خداعك » !

ومع ذلك ، فقد خدع نولين اول مرة ، لكنه كان اكثر حرصا ثاني مرة ، اذ عندما أراد داوود ان يكرر عملية سحب الدم من فخذ الرجل ، اقترب نولين اكثر ، حتى اطل براسه من فوق كتف الرجل (كان الامريكي طويلا ، والفيليبيني قصيرا ، مما يسر الملاحظة الدقيقة) واتخذ موضعا احسن ، ونظر الى يد داوود اليسرى ، وهي تمر بقطعة من القطن المغموسة في المطهر على فخذ المريض ، فبدت له اليد خالية من اية آلة جراحية ، ومع ذلك ظهر خدش طفيف لا يكاد يرى ، فتحير نولين حيرة كبرى ، وعندئذ ركز بصره على يد داوود اليسرى ، وبينما هو يضع قطعة القطن على حافة سرير المريض ، لاحظ نولين قطعة صغيرة من الميكا ذات طرف حاد مدبب وهي تختفي بين اصبعي يد داوود اليسرى ، ولا تكاد تظهر ، فايقن ان الخدش الطفيف قد حدث بها اثناء تطهيره جلد المريض .

لكن فصول الخدعة الذكية لم تنته عند هذا الحد ، اذ يمر داوود بسبابة يده اليمنى مرا سريعا في الهواء فوق الجزء المخدوش ، وعلى مسافة بينهما تقدر بحوالي شبر او يزيد ، وفي هذه الحركة نوع من التمويه ، اذ يوحي للناس بان اصبعه قد انطلقت منه قوة خفية فقطعت الجلد عن بعد ، ثم يبدأ في ثني وضغط وشد ثنيات الجلد باصابع يديه، فيتمزق الخدش ويصبح جرحا تنبثق منه قطرات دقيقة من دم ، اما قطعة الميكا الصغيرة ، فقد تركها بجانب السرير دون ان يلحظها احد (عدا نولين بطبيعة الحال) ، وفي النهاية يضع الكاس على الجرح ، لينبثق مزيد من الدم ، وعندما يتجلط ، يطلع عليه المشاهدين مشيرا الى انه قد خلص المريض من الجلطات التي كانت تسد اوعيته الكامنة في الساق !

وهنا تكمن خدعة اخرى لا يعرفها الا كل من مارس الطب ، اذ لا يمكن ان تسحب الجلطات التي تكونت في اوعية اساسية في الساق من خلال اوعية ثانوية وسطحية تكمن في الفخذ تحت الجلد مباشرة ، حتى ولو سحب كل دماء المريض من خلال هذا الخدش

السطحي ، وطبيعي ان هذه الخدعة تجوز على كل من لم يمارس مهنة الطب ، ومع ذلك فقد قام المريض ، وكأنما هو قد عوفي من مرضه ، وشد على يد داوود شاكرا له جميل صنعه ، وبراعة طبه !

لقد ذكرنا ما ذكرنا بشيء من التفصيل ، حتى يتضح لنا مهارة هؤلاء المعالجين الادعياء ، وخفة يدهم ، وخداعهم الذي يجوز على الناس ، فيتحدثون ــ عن جهل ــ بمعجزاتهم التي يعجز الطب عن تحقيقها .. وطبيعي ان هذا المريض ــ الذي ظن ان بلاءه قد زال ، لاعتقاده الشديد فيما يحكى عن جراحي بلاده من انجازات هائلة ــ لم يبرأ حقا مما اصابه ، حتى ولو قال المستغفلون غير ذلك !

ومما يدل ايضا على ذكاء هؤلاء الناس ، وسرعة بديهتهم ، والتخلص من المآزق الحرجة التي قد يقعون فيها ، ان جاءت لداوود حالة اخرى الى المنزل الذي كان يعالج صاحبه من الجلطات في تلك القرية ، وكان المريض ذا بطن منتفخة بشكل واضح ، وشرح داوود لدكتور نولين حالته ،وقال ان هذا الرجل كان يجد صعوبة في التبول ، وأنه عالجه قبل ذلك بثلاثة اسابيع ، ثم أمره بالحضور قبل اسبوع ، لكنه لم يحضر ، ربما لفقره ، ومع ذلك سوف يعالجه بسبب اشتداد مرضه !

وعندما بدأ الكشف ، وجالت يدا داوود حول بطنه المتفخ ، أسر الى الجراح ان كان يريد توقيع الكشف عليه بنفسه ، فلم يمانع ، ولم تمض دقائق ، حتى ادرك نولين ان هذا الرجل مصاب بورم سرطاني في كليته اليمنى ، وان الورم كان في حجم كرة القدم ، ولما استفسر داوود عما يمكن عمله اذا زار نولين في عيادته ، اخبره الجراح انه سوف يرسله الى المستشفى مباشرة لاجراء التحاليل ، وتجهيزه لعملية جراحية تستلزم نقل دم ، حيث انه مصاب بانيميا حادة ، وعاد نولين ليقول لداوود : على انك لا تهتم بكل هذه الامور ، فانت تستطيع من خلال جراحتك الروحية ان تتصرف وتستأصل هذا الورم دون ما حاجة الى استخدام وسائلنا الجراحية المعقدة ، وأود من كل قلبي ان اراك وانت تفعل هذه المعجزة .

وكان نولين يقصد بذلك ان يضع داوود في مازق لا مخرج منه ولا مهرب .. لكن الجراح الروحي استطاع بذكاء ان يهرب من الفخ المنصوب ، فأخبر نولين انه لن يجري هذه العملية الان ، لان لهذا المريض مشكلتين : احداهما طبيعية والاخرى غير طبيعية ، وسوف يقوم اولا بعلاج المشكلة غير الطبيعيـــة ببعض الاعشاب الطبيـــة ، فيستمر في العلاج لمدة اسبوعين ، ثم يعود اليه ليستأصل الورم مـــن جذوره .

ووقع نولين في الفخ ، وهز راسه موافقا ، والا فما عساه ان يقول امام هذا التصرف الذكي الذي انقذ صاحبه من مازق كبير ؟

لكن داوود وافق على اجراء عملية جراحية لسيدة جاءت تشكو ألما ببطنها ، فبعد الكشف على بطنها ، ذهب داوود الى قدمها الايمن ، واخذ يعصر الاصبع الاكبر ، فلم تتالم السيدة لذلك ، ولما ساله نولين عن السر فيما فعل ، اخبره بأن الضغط على الاصبـــع يوضح له ان كان المرض طبيعيا او غير طبيعي ، اذ احيانا ما تأتي الامراض من الارواح الشريرة ، وبلع نولين هذه الخدعة بمرارة ، فمثل هؤلاء الناس لا يزالون يعتقدون في خرافات قديمة ــ اما عن جهل واما عن عمد .. لا أحد يدري !

وحسنا ان داوود لم يجد مرض السيدة غير طبيعي ، لان لديها اضطرابا في معدتها ، ولما ساله نولين عن طبيعته ، أخبره بانه ألم .... ألم لازمها منذ فترة طويلة ، ومن أجل هذا سوف يجري لها الجراحة اللازمة ، وبدأت مراسم الجراحة بصلاة ودعاء ، ثـــم احضرت مساعدته المطهر ، ومسح به بطن المريضة ، ووضعت ــ اي المساعدة ــ ثلاث قطع صغيرة من القطن على البطن ، وبدا داوود بيديه العاريتين وكأنما يعجن بطن المريضة ، وبعد ثوان قليلة اختفت قطع القطن الثلاثة بعد ان كان يعجنها ايضا في بطن المريضة ، وفجأة، وبعد لحظات من اختفاء القطن بدا سائل احمر داكن ينز من بـــين اصابعه ، وعند هذه اللحظة لم تكن تظهر من اصابعه الا السلاميات او العقل المجاورة لراحة اليد ، اما اصابع اليـــد الاخرى فكانت

تحيط بها وتخفيها ، ثم تظهرها في وضع وكأنما هي تغوص بالفعل داخل بطن المريضة ، وان السائل الاحمر ليس الا دما ينزف من البطن !

وبعد حوالي دقيقة اخرج داوود ــ بيده اليسرى ــ من بطن المريضة قطعة حمراء ملتوية يبلغ طولها حوالي خمسة سنتيمترات، بينما كانت يده اليمنى غائصة في البطن ، واعلن ان ما اخرجه جلطة دموية ، فأمن الحاضرون على كلامه بهز رؤوسهم ، وعاد ليعبث باصابعه في بطن المريضة ، ووضعت المساعدة عليها مزيدا من قطع القطن ، وسرعان ما اختفت هذه القطع بين يدي داوود ، وبعد لحظات اخرج كتلة اطول واكبر من سابقتها ، وكانما الدماء تكاد تنزف منها ، واحاط داوود علم الحاضرين ان ما اخرجه ليس الا نسيجا فاسدا في المعدة ، ووافقه الحاضرون بايماءة من رؤوسهم .

ولم تستغرق هذه العملية سوى ثلاث دقائق ، وبعد ان مسح داوود السائل الاحمر بقطعة من القطن ، وفحص تولين بطن المريضة، لم يجد فيها اثرا لجرح او خدش او اية علامة تدل على فتح البطن ونزف الدم واستئصال هذه الانسجة !

واختفت بسرعة قطع القطن المبللة بالسائل الاحمر ، كما اختفت الانسجة الفاسدة ، اذ ان هؤلاء الناس لا يمكنون احدا من فحصها ، لامر لا يخفى على لبيب ، فلا الدماء قد انبثقت ، ولا الانسجة الفاسدة قد استؤصلت ، ولا فتح البطن قد تم ، بل ان ما حدث كان حركات بارعة لا تزيد عن حركات الحواة .. فالانسجة الفاسدة مثلا لم تكن الا قطع القطن التي عجنها في السائل الاحمر واخرجها على الملأ مفتولة ، وكأنها تشبه انسجة الجسم الداخلية .

وقامت المريضة سليمة ، لتعلن ان علتها قد شفيت ، وان الآلام قد اختفت !

وترك نولين القرية ، وهو يشد على يدي داوود ، ويهنئه على براعته الفائقة ، وكأنما نفسه تحدثه حديثا ذا شجون ، او كأنما هو يرثي لحال آلاف المخدوعين الذين وقعوا ويقعون في خزعبلات لا تجوز الا على المغفلين !

ويذهب نولين في اليوم التالي الى جراحة روحية اسمها جوزفين .. شابة تبلغ من العمر ٢٤ عاما ، وعندما حضرت من السوق كان في انتظارها ثلاثة مرضى ، ودكتور نولين ، وعلى احد المرضى اجرت عملية روحية لاستئصال الزائدة الدودية ، واخرى في المعدة ، وثالثة في الفك ، ولم تستغرق كل عملية الا دقيقتين او ثلاثة .. نفس السائل ، وقطع القطن ، وحركات الاصابع ، وقطع النسيج الاحمر التي هي في الحقيقة قطنا ملطخا بالسائل وملفوفا بطريقة خاصة ليبدو وكأنما هي جلطات او أورام او انسجة «فاسدة» ... الخ ، وفوق كل هذا كانت هذه الانسجة الخادعة تختفي سريعا في وعاء ، ويضرم فيها النار ، حتى لا يكتشف احد الخدعة .

وعن الدكتور نولين أن يتصل بأحد اطباء الفيليبين من أهل البلاد ، ليجري معه حوارا عن ذلك الذي يراه .. وقد كان .

حوار له مغزاه

سأل نولين مديرة الفندن في مدينة باجيو التي يقطن فيها ان كانت تعرف طبيبا يتحدث الانجليزية ولديه رغبة في حوار مفيد عن الجراحات الروحية التي تتم تحت سمع وبصر الهيئات الطبية دون ان تضع حدا لذلك .

وأرشدته الى دكتور « رول أوتيلو » ، وحدث الاتصال ، وبدأت المناقشة ، وكان اوتيلو يتحدث الانجليزية بطلاقة ، اذ انه تلقى تدريبات طويلة في الولايات المتحدة ، ومن هنا كانت المناقشة صريحة ومثمرة ، خاصة بعد ان أسر اليه نولين بالمهمة التي جاء من اجلها .

يذكر دكتور اوتيلو أن الهيئات الطبية في الفيليبين قد حاولت المرة تلو الاخرى ان تستقصي حقيقة هؤلاء الناس ، وان تجري معهم حوارا ، لكن بدون فائدة ـ فالى الفيليبيين ينزح آلاف المرضى سنويا لطلب العلاج عند هؤلاء ، فمنهم من يأتي من الولايات المتحدة وكندا والمانيا واليابان ... الخ ... الخ ، ولقد حاولنا ان نحـذر الوافدين من عدم جدوى العلاج ، وان الامر ينطوي على خداع ، ولكن لا احد يسمـع النصيحة ، ومن هنا نفضنـا ايدينا ، وتركنا الامور تجري لاعنتها .

ومنذ ان كان اوتيلو رئيسا للجمعية الطبية المحلية بالمنطقة عام ١٩٦٧ ، كان اسم **توني اجباوا** نارا علم بين جراحي الفيليبين الروحيين ، وهو رجل ثري بمعنى الكلمة .. صحيح انه يدعي انه لا يقاضى احدا من مرضاه اية اتعاب ، ولكنه يأخذها علـى هيئة هبات لكنيسته المزعومة .. ثم ان اقل هبة كانت في حدود مائـة دولار ، وهناك من يدفع الفا ، اي ان دخله في الشهر الواحد كان يربو على اربعين الف دولار .. اضف الى ذلك ان زوجته تمتلك شركة للسياحة ، وتورد له الزبائن ، ويقال انه تقدم لشراء جزيرة يبلغ ثمنها سبعة ملايين دولار !!

ولقد اراد اوتيلو ان يدين اجباوا على مهنته غير الاخلاقية وغير المشروعة ، لكنه تخلى عن هذه الفكرة ، حتى لا يتهمه احـد بالغيرة (او ربما لان الحكومة تشجع السياحة عن طريق هؤلاء) ، واستبدل ذلك بفكرة اخرى : لماذا مثلا لا يتصل باجباوا ويتقرب منه ، ويعرف حقيقة ما يقوم به ، فربما ادى ذلك الى الاستعانة بخبرته في علاج الحالات المستعصية ؟

« وقبل اجباوا الفكرة ، وحدد لنا موعدا ، وجهزنا مسرح العمليات ، واحضرنا بعض المرضى ، لنرى كيف يجري عملياته ، لكنه لم يحضر !

واردنا ان نحرجه ، وذهبنا اليه ذات يوم في كنيسته ، فادعى انه مريض ، وان قدراته على العلاج في هذا اليوم ليست على مـا يرام .. وحدد لنا موعدا ثالثا ، وانتظرناه فلم يظهر ، بل تبين لنا فيما بعد انه هجر المدينة الى حين ، واستمرت المطاردة ، بيننا وبينه ، وعندما ضيقنا عليه الحصار نقل نشاطه الـى استراحة جميلة على شاطىء البحر » .

وماذا عن ضحاياه .. الم يقاضه احد بالتسبب في ايذائه ؟

ان احدا لا يستطيع ان يفعل ذلك ، فمعظم زواره من الغرباء الذين جاءوا لبضعة ايام قليلة ، كما ان احدا منهم لا يريد ان يحرج نفسه ، ويظهر امام الناس بمظهر المخدوع او المستغل ، وخير له ان يرحل في هدوء !

ويستطرد دكتور اوتيلو في حواره مع دكتور نولين فيقول : كثيرا ما استدعيت الى هذا الفندق او غيره لاعالج او اسعف بعض المرضى الذين جاءوا طلبا للجراحات الروحية ، ثم ادركوا انهـم وقعوا في أيدي مخادعين محتالـين ، وكان معظمهم يستحـي ان يتحدث الي فيما وقع فيه ، حتى لا اتهمه بالغفلة او السذاجة ، على ان هناك حالات قد لقيت حتفها ، وهذا هو الشيء المحزن حقا ، اذ يفصل بينها وبين اوطانها آلاف الاميال ، وطبيعي ان احدا لا يستطيع ان يقدم هؤلاء القتلة المستترين الى القضاء ، ما لم يتقدم احد الضحايا بادانتهم .

ان توني اجباوا قد مارس هذه المهنة طوال عشرين عاما دون ادانة واحدة ، ولا شك انه انسان على درجة كبيرة من الذكاء والخداع ، فهو لا يسمح لاحد على الاطلاق أن يفحص عيناته التي يستخدمها في جراحاته المزعومة ، ولا أن يقرب الانسجة التي يدعي استئصالها من مرضاه ، بدعوى أن هذه الانسجة شريرة ، ولا بد من حرقها في الحال ، ومع ذلك ،فهناك عينة وحيدة قد أمكن الحصول عليها وتحليلها ، فلقد حضر رجل أعمال من كندا ليجري جراحة روحية لاستخراج حصوة من احدى كليتيه ، الا انه شك فيما

يقوم به اجباوا على مرضى سبقوه في العلاج ، وعندما تقدم للجراحة ، وزعم اجباوا انه استخرج له الحصوة ، وامسكها في يده ليريها اياه ، خطفها الكندي من يده بسرعة قبل ان يتخلص اجباوا منها في وعاء تضطرم فيه النار ، واحضرها الى المستشفى الذي يعمل فيه دكتور أوتيلو ، فسلمها هذا بدوره الى المعمل الباثولوجي حيث تم فحصها ، فتبين انها قطعة من السكر .. لا اكثر ولا اقل !!

ولم يستطع رجل الاعمال الكندي ان يشكو خوفا على سمعته من الفضيحة ، وكل ما استطاع عمله انه لم يدفع الهبة لاجباوا .

لكن دكتور نولين لم يكتف بهذه المعلومات الغريبة والمؤسفة ، بل عول على ان يحصل على المزيد من اخبار الجراحات الروحية ، ومن ثم فقد سعى سعيه لمقابلة توني اجباوا ، والاطلاع بنفسه على معجزاته المزعومة ، الا انه لم يستدل على مكانه ، لتهربه من الضرائب ، فعدل عن ذلك خاصة بعد أن تناهى الى علمه أن الجراح الروحي جو ميركادو هو الوحيد الذي لا يغش ولا يخادع ، هذا بالاضافة الى طريقته المثلى في اقناع كل متشكك في جدوى هذا النوع من العلاج ، ومن ثم عقد العزم على زيارته .

دكتور نولين يدخل التجربة بنفسه !

بينما نولين يتحدث الى صديق ، لمعت في ذهنه فكرة جريئة ، فأسر الى صديقه انه سيدخل مع ميركادو في تحديات حقيقية ، فيذهب اليه على انه قد جاء للعلاج وليس للاطلاع ، فيرقب بعين الجراح الحذر المتمرس كيف ستتم هذه العمليات ، وما قد يشوبها من صدق او خداع .

وفي كنيسة ميركادو لاحظ دكتور نولين بهوا واسعا يصطف فيه حوالي مائتي مقعد ، لكن نصفها كان مشغولا ، وهناك قابلته مساعدة ميركادو (وتدعى ماريا) على انه مريض جاء يطلب الشفاء ، فاخبرها بأن لديه ضغطا مرتفعا في الدم (وهذا صحيح) ، وانه

يخشى ان يكون ذلك قد اثر على كليتيه ، واشار الى حيث قد توجد المشكلة التي يعاني منها ، واخبرته ماريا ان ارتفاع الضغط ليس مشكلة ، لكن الذي يهم هما كليتاه ، وامرته ان يتخذ له مقعدا حتى يحين دوره .

وفي الساعة العاشرة صباحا بدات مراسم الجراحة الروحية بصلوات استمرت حوالي عشر دقائق ، وتبع ذلك حديث لرجل يدعى جوكين كونانان ، وهو رئيس مذهب الكنيسة الروحية في الفيليبين ، واستمر حديثه ايضا حوالي عشر دقائق ، وبعد ان امتدح قدرات العلاج الروحي التي تتم على ايدي المعالجين الروحيين ، وعلى رأسهم جو ميركادو ، بدأ في تقديم الدليل على صحة هذا النوع من العلاج من خلال مجلات ومقالات ونشرات كانت في حوزته ، ومن بينها مجلة « التايم » واسعة الانتشار ، وفيها جميعا تأكيد على امتلاك المعالجين الروحيين لطاقات خارقة ، والدليل على ذلك ايضا ان مجلة التايم قد نشرت لجو ميركادو صورا ، وفيها تظهر اصابعه وقد انطلقت منها هالات غريبة تشع في اتجاهات شتى (شكل ١ أ ، ب) ، وقد ظهرت هذه الهالات بواسطة نوع من التصوير يعرف باسم التصوير الكيرلياني (نسبة الى مخترعه ، وهو الروسي كيرليان) ، وعن طبيعة هذه الهالات ، ثم ظهورها بذلك النوع من التصوير ، سوف نفرد بابا مستقلا نتحدث فيه بشيء من التفصيل ، لاهمية ذلك في موضوعنا .

الغريب ايضا ان هناك صورتين لجو ميركادو ، في احداهما تظهر اصابعه قبل بدء العلاج وحولها هالات واضحة من الطاقة الخفية وفي الاخرى تبدو الهالات ضعيفة وباهتة بعد اجراء العملية ، ويعني ذلك ان ميركادو كان يفرغ طاقته الروحية من خلال اصابعه في جسم المريض اثناء اجراء العملية ، ثم يعود الشحن الروحي ليظهر قويا بعد قليل في العملية التي تليها .. وهكذا كان يشحن ويفرغ مرات عديدة بعدد المرضى الذين يعالجهم ، وهذه ـ كما يزعمون ـ قدرات خاصة لم يهبها الله الا لهذا النوع من البشر !

ثم يبدأ كونانان في قراءة فقرات من مقال منشور لرائد الفضاء دكتور ادجار ميتشيل ، وفيه يشيد بمعجزات العلاج الروحي ، ولقد ذكرنا ادجار ميتشيل هنا مرة اخرى لسبب ، فرغم انه رجل علم ، الا انه اكبر بوق دعائي لمثل هذه الخرافات ، وهذا ما سبق ان اشرنا اليه .. ثم يقرأ كونانان في النهاية تقريرا موقعا من عدة اشخاص ـ بعضهم مشهور وبعضهم مغمور ـ وفيه يشهدون ان العلاج لا ينطوي على اية خدع او شعوذة !

اننا نسوق هذه الفقرات هنا ليس من قبيل تحصيل الحاصل، بل لكي نوضح كيف ان هذه الخزعبلات تدور في حلقات محكمات ، ولها ادعياء برعوا في خداع الناس ، ليثروا على حساب اهم شيء يمتلكه الانسان ... هذا الشيء هو صحته ومرضه !

وقبل ان يجيء الدور على دكتور نولين لاجراء عملية في كليتيه نادى المنادي على رجل من البرازيل جاء الى الفيليبين لبعض الاعمال ، وفي نيته ايضا ان يطلع على معجزات الجراحات الروحية التي قرأ عنها الكثير ، واهمها معجزات ميركادو بالذات ، وتقدم الى حيث توجد منضدة العمليات ، واخذ حقنة تخدير « روحية » ، وهي حقنة لا وجود لها الا في الخيال ، اذ يكفي ان يشير ميركادو الى مكان الوجع بسبابته عدة مرات ، وفي هذه الاثناء تخرج من سبابته القوة الروحية المزعومة لتقوم بالتخدير ، ثم يقف الرجل امام ميركادو ليخلصه من ضرس فاسد ويبدأ الجراح الروحي في فتح فم الرجل ، ويعبث فيه بحركات مدروسة في « مدرسة » الخداع والتمويه ، وبعد قليل يخرج من فمه قطعة صغيرة من مادة بيضاء ، وكان واضحا تماما انها ليست بضرس ، وعندما اراد البرازيلي ان يحصل على « ضرسه » المخلوع من ميركادو ، سارع هذا بقذفه الى مساعدته ماريا ، حيث القته في جردل صغير ، واضرمت فيه النار ، وعندما تحسس البرازيلي ضرسه المخلوع ، وجده في مكانه ، واحتج على ذلك بنبرة فيها خيبة امل وحسرة ، واعلن ان ضرسه لا يزال موجودا ، لكن ميركادو لم يعبأ بكلامه (كان لا يفهم الانجليزية كثيرا)

واشار الى مساعدته لكي تشرح له علته ، فاخبرت الرجل المخدوع ان ضرسه لا غبار عليه ، ولهذا فليس هناك داع لخلعه ، انما الجراحة قد اجريت على جذور الضرس الملتهبة ، وانه امكن ازالة النسيج الفاسد بالجراحة الروحية ، واقتنع معظم الحاضرين بهذه التفسيرات الذكية الجاهزة .. لكن مما لا شك فيه ان ميركادو لم يفعل شيئا ، انما هو ـ في الواقع ـ كان يخبيء بين اصابعه قطعة صغيرة من نسيج لا تمت لفم الرجل او ضرسه بصلة تذكر ، ثم اظهرها امام الناس بعد ذلك ليوهمهم انه قد استأصل بالفعل شيئا، وان هذا الشيء هو علة العلل !

وبعد عدد من العمليات يجيء الدور على دكتور نولين ، فيجري على بطنه كشفا بالاشعة الروحية ، وبهذه الاشعة المزعومة يرى ما في الباطن ، ويحدد مكان المرض ، ويعرف طبيعته ، ولا مانع هنا من ذكر الطريقة التي يتخذها ميركادو ، ليتبين لنا ما تنطوي عليه من سذاجة لا تجوز الا على أصحاب العقول الضعيفة .. اذ يمسك ميركادو بفوطة في حجم فوط الوجه ، ويضعها بين عينيه وبين بطن نولين ، وينظر من خلالها اليه ، « فتنطبع » على الفوطة صورة واقعية للاعضاء الداخلية ، وهو ـ اي ميركادو ـ الوحيد الذي يستطيع أن يرى ويحدد موضع المرض .. وبعد أن رأى وحدد ، أخبر نولين بضرورة عملية جراحية ، ووجه ميركادو اصبعه الى بطن نولين ، وكأنما هو يحقنه بحقنة التخدير الروحية، وبعدها تبدأ الجراحة المزعومة ! .

ولما راى ميركادو ان هذا الامريكي فارع الطول ، وأن منضدة العمليات القصيرة نسبيا لن تكون مريحة ، اسر اليه انه سيجري له العملية وهو واقف ، واستبشر نولين بذلك خيرا ، فلا شك أن ذلك سيعطيه فرصة ذهبية لينظر من فوق الى أصابع ميركادو وهي تعمل في بطنه ، دون أن يفطن هذا للمراقبة .

ويصف د. نولين بعباراته بعض تفاصيل ما رآه ، فيقول « بعد أن كشف ثيابي عن بطني ، بدأ في العمل ، فاخذ يعجن

بطني بأصابعه ، وكنت أراقب من فوق بحذر بالغ كل حركة من حركاته ، واستطعت ان أرى ــ من البداية ــ شيئا احمــر يميل الى الاصفرار ، لكنه كان يخفيه في طيات راحة يده اليمنى ، وبعد ثوان قليلة ، بدات « الدماء » تسيل على بطني ، وهي دماء مزعومة ، ثم بدأ ينزع قطعا من القطن الملوث بهذا السائل الاحمر ، وكانت القطع مطوية أو « مبرومة » لتتخذ اشكالا شتى ، وأمسك بعضها بين أصابعه ثم علقها امام عيني لكي اراها ، وهنا صاحت ماريا المساعدة « انها جلطات » ! .. ثم راح ميركادو يعبث في جلد بطني اكثر واكثر ، وكانما هو يستأصل من الداخل نسيجــا حقيقيا ، وأخيرا وبعد ثوان قليلة ابتسم واراني نسيجا متكورا احمر يميل الى الاصفرار ، ولم تكن المسافة بين عيني وبين هذا النسيج تزيد عن ١٥ سنتيمترا لا غير ، مما هيأ لي الفرصة لالقي عليه نظرة سريعة فاحصة ، وعرفته على الفور بأنه قطعة من الدهون التي غمسها في السائل الاحمر ، فاكتسبت بعض لونه ، وعندما رأت ماريا ذلك ، نظرت الي بدهشة وسرور وقالت : انه ورم سرطاني .. شيء خطير جدا .. انك رجل محظوظ للغاية .. لقد نجحت العملية .. ولتستبشر خيرا » !

ويستطرد نولين قائلا : لقد حل بي نهم شديد لاخطف من يده هذه القطعة ، لكنه لم يمكنني من ذلك ، اذ كان أسرع في القائها في جردل خلفه ، ثم جاء مساعد اخر ، واضرم فيها النار ، وهذا هو مصير كلّ نسيج يزعم استئصاله من المرضى .. وعاد ميركادو الى بطني ليمسح الدماء المزعومة بقطعة من القطن ، وعادت الامور الى مجاريها ، ودعاني أن أنظر الى بطني ، ونظرت .. لا خدشة .. لا جرح .. لا ندبة .. لا شيء اطلاقا ، وعندئذ ابتسم لي ، وابتسمت له ، وحييته قائلا : لكن .. هل هذا يخلصني من ضغط دمي العــالي ؟ ..

« وهنا تدخلت ماريا ، اذ كانت تتحدث الانجليزية بشيء من الطلاقة ، واخبرتني أن ما اخرجناه كان اكثر خطــورة مــن

الضغط .. انه ورم خبيث .. انت محظوظ ، ومع ذلك فنحن على استعداد لتقديم الشفاء من ضغط الدم .. ما عليك الا أن تجلس هنا ، لنجري عليك عملية تدليك ، فتشفيك مما تعاني .. وعندما جلست ، بدأ رجل مسن يدلكني ، ثم ساعده ميركادو ، ولقد كان عملهما اقرب الى الضرب والصفع على كتفي ورقبتي ورأسي منه الى التدليك ، وهذا ما جذب انتباه الناس فجعلهم يضحكون ويبتسمون ، ثم شاركناهم ايضا ضحكاتهم وابتساماتهم .. لقد كان منظرا مثيرا للغاية .. انه منظر فكاهي .. لا علاجي » ! .

والغريب أن ماريا قد اعطت نولين زجاجة بها زيت ليدلك به جسمه ، فهذا كفيل بتخليصه من ضغط دمه .. وطبيعي أن نولين قد القى بالزجاجة على اقرب كومة قمامة ، فلا بالتدليك ولا بالزيت يتم شفاء ضغط الدم .. انما الامور كلها دجل في دجل ! .

الشيء الوحيد الذي تأكد منه نولين ان ميركادو لم يفتح بطنه، ولم يستخرج منها شيئا ، ولكنه مخادع كبير .. هذا الذي يقولون عنه انه أعظم الجراحين .. وانه لا يخدع ولا يضلل ابدا .

والشيء الوحيد ايضا الذي يتميز به ميركادو عن الجراحين الروحين المزعومين انه لا يستخدم قطعا من القطن المبروم بأشكال شتى ، والمغموس في سائل ملون (احمر أو أصفر أو برتقالي) ، ليوهم به الناس على انه نسيج حي مستأصل ، بل طور المهنة ، واستبدل قطع القطن الملونة بأنسجة حية يحصل عليها من قطط وطيور وما شابه ذلك ، فهذا اتقن في الخداع ، واعظم في التمويه .

لقد اجرى ميركادو في هذا اليوم المشهود عشرات العمليات الجراحية التي ادعى فيها انه استأصل ارحاما ومبايض وسرطانات وكلاوي واكبادا وجلطات من القلوب .. الخ .. الخ ، كل هذا يحدث .. وما عليه الا أن يخدع ، وما على الناس الا أن تدفع ! .

جراحة روحية غريبة للعين

والواقع أن الجراحات الروحية كثيرة ومتنوعة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها هنا ، فهي تستحق كتابا كاملا ، لكن يكفي أن نقدم هنا جراحة مثيرة على يدي « جراح » اخر يدعى فلورز ، فعندما ذهب اليه دكتور نولين في كنيسته ، وجدها مكتظة بالناس ، وقبل أن يتخذ له مقعدا فوجىء بالمدعو كونانان رئيس مذهب الكنيسة الروحية في الفيليبين ، وهو يقف « بوثائق » ــ نفس الوثائق التي كانت معه عند ميركادو ــ ليظهر للناس من خلالها أن الجراحة الروحية حقيقة لا ريب فيها ، وبعد أن انتهى من « موعظته » المكررة ، كان نولين قد تعرف ــ أثناء وقوفه ــ بصحفي بريطاني جاء من هونج كونج ليكتب موضوعا صحفيا مثيرا عن معجزات الجراحات الروحية التي سمع عنها الكثير ، لكن نولين لم يشأ أن يصدمه ، بل صحبه معه ليرى بعينيه .

نعود الان الى فلورز لنراه يجرى جراحاته بنفس الطرق التقليدية ، وبعد عمليتين في البطن ، تقدم المدعو كونانان وجلس على كرسي ليجري له فلورز جراحة في عينه ، والغريب ان هذا الرجل كان قد تحدث بالامس الى نولين ، ولم يلحظ عليه جراحنا أي شيء غير عادي ، وهذا ما يدعو الى الشك حقا ، فهل يقوم هذا الرجل بدور دعائي للجراحين الروحيين ، ويقتسم معهم بعض الغنيمة ؟ .. لسنا ندري .

وتقدم نولين والصحفي الى الامام علهما يأخذان موقعا افضل للمراقبة ، الا ان سيدة عجوزا قد منعتهما من ذلك ، « فالجراح » فلورز لا يرحب كثيرا بمن يراقبه ، ولا هو يسمح لاحد بالتصوير .. ومع ذلك فقد استطاع نولين وصاحبه أن يرقبا ما يجرى ، وعندما تركت السيدة العجوز مكانها ، استطاعا أن يتسللا أثناء انشغال الجميع في العمل أو التطلع الى الجراح وهو يعمل ، ووقفا في مكان قريب من مسرح العملية ، فما عاد يفصلهما عن فلورز ومريضه الا مترا ونصف المتر .

وظهر كونانان بعينه اليسري مغمضة ، اما العين اليمنى ، فقد اخرجها فلورز من مقلتها ، واصبحت المسافة بين المقلة وبينها حوالي عشرة سنتيمترات ، وبدأ فلورز يعبث في العين ، واخيرا اخرج منديلا من جيبه ، واخذ ينظفها ويدعكها كما نفعل نحن مثلا في نظاراتنا الزجاجية .. وجذب هذا المنظر المثير انتباه الصحفي ، فهمس في اذن نولين : ان ذلك لمدهش حقا !.. اذ كيف يستطيع أن يخلع العين ويبعدها الى مثل تلك المسافة ؟!

وجاوبه نولين الهمس وقال : انه لم يخلعها .. وعليك أن تراقب جيدا حتى النهاية .

وبعد ثلاث او اربع دقائق من عملية الصقل و « التلميع » بالمنديل ، وضع يده اليمني بجوار انف كونانان ، ثم ثنى كفه بحيث لم نستطع أن نرى ما يجرى ، ووضع يده اليسرى الممسكة بالعين حول الكف الايمن المقوس ، وبهذه الحركة كان كل شيء قد تم ، وعادت العين الى مقلتها ، وعندما رفع كلتا يديه ، نظر كونانان الى الحاضرين بعينيه ، فزادت دهشتهم ، وانفرجت أساريرهم بعد أن راوا هذه المعجزة الخارقة !.

وبين دهشة الناس ، كان نولين والصحفي يرقبان بحذر شديد ، واشار الامريكي (اي نولين) الى الانجليزي بأن العين التي كان يمسحها لا زالت في راحة يده اليسرى المطوية ، وعليه أن يتابع ما قد يحدث بعد ذلك ، وسار فلورز حول منضدة عملياته ، وبدون اكتراث القى ما في يده على رف وراء المنضدة ، وبحيث لا يرى هذا الرف أو ما عليه أحد من الحاضرين ، وفي اللحظة التالية ظهرت يده اليسرى مبسوطة بغير سوء ، وتحرك نولين الى الوراء قليلا ليختلس نظرة يلقيها على الرف سريعا ، وحدث ما توقع ، فالعين هناك على الرف قابعة !!

وبعد هذه العملية الكبيرة التي « اجهدت » فلورز لدقتها ، حق له ان يشعل سيجارة ، ويرتاح قليلا ، وفي هذه اللحظة شاهد

كونانان دكتور نولين ، فسعى اليه وتساءل مبتسما « هل رأيت عملية جراحية في العين ؟.. قال نولين وهو يتجنب كذبة على شفتيه : انها رائعة .. فأمن كونانان على ذلك بقوله : ان جراحينا الروحيين لهم قدرات خارقة » !

وخرج نولين مع الصحفي البريطاني الذي اسر اليه بقوله : انني اعترف بأنني لم اكن اصدقك لولا انك اشرت الي بمراقبة يده اليسرى ، وعندئذ ايقنت بأن الخدعة كانت ستجوز علي .. انهم يستغفلون الناس حقا !

ولم يكتب الصحفي ـ بطبيعة الحال ـ مقاله لجريدته عن المعجزات الخارقة لهؤلاء الناس ، حتى لا يزيد عدد المخدوعين !.. وحتى لو كتب الحقيقة ، فان الجريدة لن تنشر منها شيئا ، فالمطلوب اخبار مثيرة !

يقول دكتور نولين معلقا : « ان الجراحة مهنتي ، ولهذا استطيع ان اراقب العمليات الجراحية بعين ناقدة ، وبموضوعية قد لا تتأتى للناس ، فعندما يرى هؤلاء الدماء والانسجة ، ويعيشون في هذا الجو المفعم بالرهبة ، فان شكوكهم وقدراتهم العقلية الفاحصة والناقدة قد تتبخر ، وحينئذ يصبحون معتقدين ومصدقين .. انني اعرف معرفة يقينية ان العين التي اخرجها فلورز لم تكن عين كونانان ، فليست هناك اية وسيلة معروفة لشد عصب العين كل هذه المسافة ، ثم بأية عملية من عمليات الجحيم او الشيطان يمكن ان تتناول العين الحساسة هكذا ، ثم تمسحها كما نمسح زجاج السيارة ؟.. ان فلورز ببساطة شديدة قد اتى بعين حيوان ـ ربما لكلب ميت او ما شابه ذلك.. ان الذين يشاهدون الجراحين الروحيين ـ كل الجراحين ـ سوف يتوصلون الى حقيقة مؤكدة ، فبينما احدى اليدين تعمل ، تكون الثانية ـ ستارا ـ على الجسد ـ بين الناس وبين العملية المزعومة ، ولم يحدث اطلاقا ان ابتعد جراح روحي بكلتا يديه عن موقع العمل ، اذ لو فعل ، لكشف الناس الخدعة .. ان كل شيء رأيته وعاينته كان وهما .. وهما مجردا » !

البداية .. شعوذة وسحر ودجل !

وفي مانيلا تقابل نولين مع اطبـاء وجـراحين كثـيرين في المستشفى العام للعاصمة ، وعرف منهم الكثير عن العلاج والجراحة الروحية .. عرف كيف بدأت هذه الخدع منذ أكثر من ثلاثين عاما على يدي رجل فيليبيني يدعى تيرته ، وكان من المشتغلين بالشعوذة والسحر التي تجوز خدعهما على البسطاء ، ولقـد لجأ اليـه الفيليبينيون الذين يقطنون في المناطق النائية مضطرين حيث لا توجد وتتذاك خدمات طبية ، وأوهم الناس واقنعهم بقدراتـه الخارقة على كشف العلة ، وشفاء الامراض ، وكان يرجع ذلك الى الارواح الشريرة التي تتسبب في كل داء ، ووثق الناس في علاجه ، خاصة عندما نجح في شفاء بعض الامراض الناتجة عن الحالات النفسية ، أو الاضطرابات العقلية او الامراض غير العضوية (مثل الصداع واضطراب الدورة الشهرية ...) الخ ، اذ يكفي الايحاء والاقتناع بجدوى ذلك العلاج في شفاء نسبة كبيرة من هـــذه الامراض .. وهو ما اشرنا اليه قبل ذلك مرارا .

وذهب تيرته الى ابعد من ذلك ، وادعى قدرته على اجراء العمليات الجراحية بدون مبضع أو أدوات جراحية ، ورأى العامة الدماء وقطع القطن الملطخة والانسجة التي كان يستأصلهـا .. الخ . ولم تكن الدماء دماء ادمية ، ولا الانسجة المستأصلة بشرية.. بل جاءت كلها من بعض الحيوانات ، او من قطع القطن المبللة بصبغة حمراء يحصلون عليها من بذور نبات التنبول الذي ينمو هناك ، ولقد شاهد دكتور نولين بعض هذه البذور في كثير من الكنائس الروحية التي زارها ، لكنه لم يكن يعرف السبب في وجودها ، ومما ساعد على الاعتقاد في هذه الجراحات الخرافية أن الناس العاديـين او البدائيين لا يلقون بالا الى تفاصيـل مـا يجـري امامهم ، اذ يكفي فقط أن يشهدوا هذه الدماء الكاذبة ، والانسجة الخادعة ، وقطع القطن الملطخ بدم حيواني أو صبغ نباتي يشبه

الدم ، فهذا يكفيهم دليلا على أن هناك بالفعل عملية جراحية تتم بحركات كالتي يستخدمها السحرة والحواة !

وكان لتيرته بعض المساعدين الذين تعلموا على يديه سر المهنة ، فحوروا فيها واكسبوها طقوسا مبتكرة ، وخدعا جديدة .. من ذلك مثلا ان بعضهم عرف أن بيكربونات الصودا اذا خلطت بسائل فيه مادة بيضاء ، فانها تتلون بلون الدم ، ولهذا كانوا يضعون البيكربونات في قطع القطن ، وبمجرد لمسها بالسائل ، تكتسب لون الدم ، وهذا ما يدرسه التلاميذ في المدارس ، ونعرفه باسم الكشافات الكيميائية .

وانتشرت الطريقة ، لكنها اصبحت محدودة في بلادها ، خاصة في المناطق الريفية أو النائية ، وتوطدت الثقة بين العامة وهؤلاء السحرة ، والناس تتحدث وتطنب عادة في النتائج الايجابية ، ولكنها تهمل النتائج السلبية التي لم تحقق شفاء ، وهنا يكمن مربط الفرس .

وسمع بعض الاجانب القليلين الذين كانوا يفدون الى الفيليبين عن هذه الجراحات المضللة ، وكان من السهل خداعهم ، ولهذا نقلوا تلك الاخبار بعد عودتهم الى بلادهم ، وانتشرت هناك ، ووجدت فيها الصحافة مادة دسمة ، فزادت الطين بلة ، وذهب المراسلون الى الفيليبين ، فخدعوا بدورهم ، وصوروا وكتبوا الكثير عن هذا الخداع المبين ، وتوافدت الالاف سنويا على جراحي الفيليبين ، واصبحت هذه التجارة الفاسدة موردا ودخلا للبلاد ، ومن أجل هذا اغمضت الحكومة عينيها ، وتركت الامور تجرى لاعنتها .

وقبل أن يترك نولين الفيليبين ، تقابل في مانيلا مع طبيب نفساني يدعى دكتور لويس مارتينيز ، ولهذا الرجل الفيليبيني معلومات غزيرة عن طريق الشعوذة التي يستخدمها العشرات من جراحي الفيليبين الروحيين المشهورين ، كما انه كان يحتفظ

بقائمة اسماء وعناوين لبعض الامريكيين الذين جاءوا الى الفيليبين طلبا لجراحات روحية مزعومة ، اذ كان هو بدوره مهتما بتقصي اخبار هؤلاء الامريكيين ، ومعرفة الحقيقة منهم ، فبعضهم اشـاد ببراعة هؤلاء المخادعين ، واصيب البعض بخيبة امل ، وكان دكتور مارتينيز مهتما بهذا الامر بغية كتابة تقرير مفصل يرفعه الـى وزارة الصحة في بلاده ، وحصل دكتور نولين منه على بعض عناوين واسماء الامريكيين الذين ادعوا الشفاء من امراضـهم العضوية .

وسافر د. نولين عائدا الى بلاده ، واتصل بمن ادعـوا الشفاء ، فمنهم من استجاب لندائه ، ومنهم من رفض مقابلته او التحدث اليه ، وخير له ولهم الا يتناقشوا في هذا الموضوع ، فلا جدوى من ذلك ، بعد ان خدعوا واصيبوا بخيبة امل كبيرة .

اما الذين استجابوا ، وذهب اليهم ليتحرى حقيقتهم ، فقد اصيب هو الاخر بخيبة امل ، اذ لم يكتشف شيئا ذا بال ، ولم يجد دليلا واحدا على اجراء اية عملية ، فلا الحصوات قـد ازيلت ، ولا الاورام قد استؤصلت ، ولا الشلل العضوي قد اختفى ، ولا تصلب خلايا المخ قد برئت مما الم بها ، ولا العاهات قد شفيت ، ولا شيء اطلاقا الا وقوع هؤلاء المرضى ضحـايا لدعايات مضللة تطلقها مجموعة من البشر لا تستطيع التمييز بين اساسيات العلوم الطبية ، وبين غيرها من طب خرافي يقوم على السحر والشعوذة والخداع الذي لا يزال ساريا في المجتمعات البدائية .

والواقع ان هذا النوع من العلاج قد نراه بطريقة او بأخرى في كثير من المجتمعات العربية ، وخير لنا ان نفرد بابا مستقلا ، لنتحدث باختصار عن ذلك .

الفصل الثالث

العلاج بالخرافات في بعض الشعوب العربية

من قبيل الصدف الغريبة اننا ـ في الوقت الذي كنا نعد فيه هذا الكتاب ـ ذهبنا لزيارة مريض ريفي شاب اثناء وجودنا في قريتنا بصعيد مصر ، ولفت نظرنا وجود ضمادة غريبة مربوطة على ذراعه ، فاستفسرنا عما يمكن أن تكون ، فقيل لنا انها تعويذة كتبها « سيدنا » لطرد الروح الشريرة ، أو لابطال اثر « العين الحاسدة » التي أصابت الشاب بالمرض والهزال !

هذا الاعتقاد الغريب ليس الا عينة واحدة من آلاف العينات التي تتكرر دائما في المجتمعات المحدودة الثقافة أو التعليم ، لا في ريف مصر وحدها ، بل في كثير من الدول العربية ، أو حتى بعض الدول التي كان لها نصيب من التقدم والحضارة ، فالاعتقادات الخرافية موجودة ، وان اختلفت اثوابها التي تلبسها بين بيئة واخرى .

ففي معظم الدول العربية كان الناس ـ ولا يزالون ـ يلجاون الى الشيخ أو الولي أو العارف بالله (حيا كان أو ميتا) ، أو « سيدنا » ، لاعتقادهم في كراماته ، واعترافا ببركاته التي تنساب من يديه وهو يتمتم بذكر الله والرسول ، وقد يطلق البخور ، فيشيع حوله جوا من الطمانينة والهدوء ، وفي تلك الاقوال والافعال ردود فعل لا تنكر على حالة المريض المعنوية ، وهذا لا ينكره الطب النفسي الحديث . . فالانسان نفس وبدن ، وكلاهما ـ بلا شك ـ يؤثر في الاخر ، وقد يشفى المريض ويبرأ ، اعتقادا منه في معجزات شيخه أو وليه أو قديسه ... الخ ، وانت تستطيع أن تربط بين هذا المبدأ في العلاج على يدي الشيخ ، وبين ما يقوم به المعالجون الروحيون الذين اشرنا اليهم سابقا ، أو المعالج المشعوذ الذي

يقطن الاحراش والغابات في المنــاطق التي تســكنها الشــعوب البدائية .. اختلفت الوسائل ، لكن النتيجة واحدة .. فالثقة والاعتقاد القائم بين المريض وطبيبه ، وبين المريض ووليه ــ ايا كانت هويته ــ لمن الاسباب الدافعة للشفاء من بعض الاضطرابات النفسية التي قد تنعكس على أمراض وظيفية او غير عضوية ، مثل الصداع وبعض أمراض الشلل المؤقت ، والطفح الجلدي ، والمغص والقرح وضيق التنفس واختــلال الدورة الشهرية ، والاكتئاب وبعض حالات ارتفاع ضغط الدم وما شابه ذلك .

ويقوم الطب الخرافي في احيان كثيرة على تعاويذ واحجبة ووضع يد الشيخ المداوي على موقع الجزء المريض مع تمتمــة ودعوات قد تكون غير واضحــة ولا مفهومة ، لكن ذلــك لا يجدي شيئا في الامراض العضوية التي لها أسباب محددة يعرفها الطب في اغلب الاحيان ، فميكروب السل مثلا لا تنفع معــه الصلوات ولا الدعوات ولا الاحجبة، ولا هي ايضا تزيل الحصوات، ولا تستأصل السرطان ، ولا تفيد في تليف الكبد ، ولا تقدم ولا تؤخر في شلل الاطفال .. الخ .. الخ ، ومن هنا وجب على كل ذي عقل رزين ان يتبع حديث الرسول الكريم « عباد الله تداووا ، فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له دواء ، الا الهرم » .. اي فيما عدا الشيخوخة ، فليس لها من دواء ، وهذا ما نعرفه حق المعرفة .

الحديث امتداد للقــديم

على اننا لو فضضنا تعويذة « سيدنا » ــ شيخ القريــة أو الطريقة ، ومفتيها في دينها ودنياها وامراضها وحظوظها ، لوجدنا شيئا من حبوب مطحونة وملح ، وطلاسم نقلها من بعض كتب صفراء لا تزال تطبع ويتداولها عامة الناس ، لاعتقادهم في فوائدها التي لا تحصى ولا تعد .

هذه التعاويذ العصرية لا تختلف كثــيرا ــ في المضمــون والاعتقاد ــ عن التعويذة التــي كان يكتبهــا القدماء منــذ آلاف

السنين ، فقد يكتب الشيخ « الطبيب » في التعويذة على سبيل المثال « لا اله الا الله ، اذنت الحمى وغارت وغارت ، لا اله الا الله ، وفي علم الله سارت ... الخ » ، وقد تجد في الحجاب رموزا وأرقاما ومربعات مثل « أ ح ا ك ك ح ع ع ح م م خ » .. فهذا على حد زعمهم يميت العفريت أو الروح الشريرة التي دخلت الجسد ، واصابته بالرجفة .. رغم أن الرجفة قد تكون بسبب حمى الملاريا ، أو بفيروس الانفلونزا ، أو باي ميكروب اخر ، وهذه لن تميتها صلوات الشيخ ودعواته ، واذا حدث وشفي المريض ، فان شفاءه لا يرجع الى بركات الشيخ ومعجزاته ، بل يرجع ذلك اولا الى النظام البديع الذي أرساه الخالق في الاجسام على هيئة أجهزة دفاعية على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد .. اي أن المعجزة تكمن حقا في تكوين اجسامنا ، ولا يعرف خبايا هذه الحقيقة الا الدارسون المتعمقون .

على اننا لو عدنا الى تعويذة من ايام الفراعنة ، لوجدنا احداها مثلا تطلب من الآلهة صراحة التدخل لطرد الارواح الشريرة ، وتبدأ احداها هكذا « السلام عليك يا حورس * .. يا ايها الموجود في بلد المئات ، يا حاد القرنين ، يا بالغ الهدف ، اني قصدتك لامدح جمالك ، الا فلتقض على الشيطان الذي يتملك جسدي » .. أو بأن تنتحل التعويذة ذات الاله فتقول « اغربوا يا شياطين المرض .. لن يصيبني الهواء : اني حورس الذي يمضي في طريقه أمام سخمت .. أنا ابن بستيت الوحيد .. ولن أموت بسببك » !

ان معظم المعتقدات الغريبة والدارجة التي نشهدها اليوم في بعض طرق العلاج البدائية يرجع تاريخها الى الافكار التي راودت عقل الانسان القديم الذي عاش قبلنا بآلاف السنين .. ولقد اعتقد أن ما يصيب الانسان من اضرار وأمراض قد يكون نتيجة لعين

---

* حورس ابن ايزيس وأوزوريس في الاساطير القديمة ، وقد عينوه الها للتداوي والشفاء ، والحارس على الناس من كل داء .

حاسدة ، او ارواح خبيثة ، أو مس من الجن ، او انتقام من الآلهة بسبب ذنوب واعمال ظالمة ، أو اختلال في طالع النجوم ، أو عدم توافق في أفلاك البروج ، أو من عمل سحري ضار ، أو اية قوى خفية اخرى كانت لها في خياله مفاهيم شتى .. والغريب ان هذه الاعتقادات القديمة لا تزال تعشش حتى الان في عقول كثير من الناس .. ليس فقط في أوطاننا العربية ، ولكننا لمسناها في الشرق والغرب فيما قدمنا من أبواب سابقة ..

ولنشأة المرض وطرق العلاج ارتباط خاص بالبيئة ، ولهذه قصص طويلة ومثيرة ، ونحن لا نستطيع ان نتعرض لها هنا لضيق المجال ، لكن يكفي أن نستنبط مدلولاتها أو الحكمة الكامنة فيها من خلال استقراء أصولها من الطقوس التي لا تزال تجري حتى الان في المجتمعات الدارجة والبدائية ، فهي وان كانت قد اصابها بعض التحوير والتطوير بالنسبة لما سبقها في الاجيال القديمة ، الا أنها لا تزال لا تعترف الا بطب الساحر ، وعلاج المشعوذ ، وحكمة العجائز ، اذ لو اطلعت مثلا على الكيفية التي يعالج بها « الطبيب » المشعوذ مرضاه في الاحراش والغابات ، لوجدته يلبس ثيابا غريبة من جلود حيوانات خاصة ، ويضع على وجهه قناعا مخيفا ، ويعلق أحجبة وتعاويذ وقرونا وريش طيور .. الخ (شكل ٢ أ ، ب) ، ثم تراه يصرخ ويعوي ، ويأتي امـام المريض بحركات هستيرية ، ويتمتم بكلمات غريبة ، وهو يفعل كل هذا لحكمة يقتنع بها هو وقومه منذ زمن طويل ، وحكمته في ذلك انه يريد أن يخيف العفريت او الروح التي « تقمصت » جسد المريض ، فاذا خافت من منظره وصراخه وحركاته وكلماته ، انطلقت خارجة من الجسد الذي سكنته ، فيبل المريض ، واذا لم تخرج ، فعليـه ــ اي المريض ــ أن يلجأ الى ساحر اخر اكثر مراسا ، واشد باسا ، فاذا فشل هذا أيضا ، فعلى المريض أن يتقبل قضاءه وقدره بنفس راضية ، فتلك مشيئة الآلهة الا يتداوى ، وهذه النغمة ذاتها قد سمعناها من المعالجة الروحية كاترين كولمان ، او من بعض الجراحين

الروحيين في الفيليبين ، اذ عندما يفشلون في العلاج ، فان الفشل لا يرجع اليهم ، بل يرجع الى الروح القدس لامر لا يعلمه الانسان ، وعليه ان يراجع نفسه فيما يكون قد اقترف من ذنوب : فالذنوب ايضا مرتبطة ـ على حد زعمهم ـ بالامراض !

الا اننا لو عدنا الى مجتمعاتنا التي نعيش فيها ، وحللنا بعض تفسيرات الناس لامراض خاصة تصيبهم ، لوجدت النغمة ذاتها ، فاذا مرض انسان بداء عضال ، لقيل ان الله ابتلاه بمرض رهيب عقابا له على ما اقترفت يداه من ذنوب في حق الناس ، واذا مرض انسان اخر بالمرض نفسه ، وكان له بينهم مكانة مرموقة ، او انه انسان في نظرهم صالح ، فانهم يعللون مرضه بنغمة اخرى مناقضة ، فيقولون ان الله يبتلي عباده الصالحين ، ليعلم من منهم الصابر ومن منهم القانط !

وطبيعي ان ذلك منطق العامة ، فكل النـاس يمرضـون ويموتون ، ولكن الله منحنا العقول لنبحث بحثا علميا جادا عن مسببات الامراض ، اذ ان لكل مرض سببا ، فاذا عرفنا العلة عن طريق التقصي والتجربة، فاننا نصل في اغلب الاحيان الى استنباط العلاج المناسب الذي يتمثل في دواء او جراحة او مضاد حيوى ، او علاج نفسي .. الخ ، وهذا ما نشهده حقا في علومنا الطبيـة الحديثة .

الجن والعفاريت وحفلات الزار

ومن الغريب حقا ان كثيرا من المتعلمين والمثقفين (ودعك من العوام) لا يزالون يعتقدون حتى الان في ان بعض الامراض النفسية والعصبية تنشأ اساسا من مس الجن او العفريت للانسان ، او انه يتقمص جسده ، وهناك كتب شعبية تتحدث عن عـوالم الجن ، وتذهب الى تقسيمها الى فئات ، ومن هذه الفئات قد نجد اطباء وكيميائيين من الجن .. الى اخر هذه الاوهام التي لا تقوم

على اساس ، فلم يشهد احد مثلا عوالم الجن ، ولا كيف يعيشون ويتصرفون ويتشكلون ... الخ ، ومع ذلك تجد الخيال خصيبا في نشر تصورات رديئة قد تضر ولا تنفع .

ومن ذلك مثلا أن بعض المتعلمين والمتعلمات ممن حصلوا على مؤهلات جامعية قد جاءوني يوما ، واسروا الى ان المدعو « الشيخ » طلعت يستطيع ان يشفي بعض الامراض عن طريق نفر من الجن (ولهذا الشيخ صولات وجولات) ، وأن ذلك الجن يأتمر بأمر الشيخ ، ويحضر ادوية من تحضير الجن ، ولقد كانوا في حديثهم هذا جادين كل الجدية ، ولما أظهرت لهم استيائي من مثل هذه الخزعبلات ، قام أحدهم بالفعل واحضر بعض كبسولات زعم أن الجن قد القاها من الهواء لتستقر في راحة شيخهم المزعوم، ولما استأذنت في فحص احدى محتويات تلك الكبسولات ، وفتحت واحدة ، وجدت بها مسحوقا ناعما ارتبت أن يكون دقيقا لبعض الحبوب ، وبالكشف عليه بقطرة من محلول اليود ، تحول لونه الى ازرق غامق ، وبهذا الكشف الكيميائي المعروف ، عرفت أن محتويات الكبسولة ليست الا مادة نشوية ، وهذه التجربة يعرفها حق المعرفة تلاميذ المدارس الثانوية ، ودعك اذن من طلبة الجامعات . . اضف الى ذلك أن تلك الكبسولات كانت من صناعة شركة « سيد » الكيميائية الدوائية بالقاهرة ، والتي تستخدمها في تعبئة المضادات الحيوية ، ولما استقصينا الامر أكثر ، توصلنا الى أن هذا الشيخ له قريب يعمل في ذات الشركة ، ومن المحتمل جدا أن يكون صاحبنا قد أحضر له كمية من الكبسولات الفارغة ، ليعبئها الشيخ بمعرفته دقيقا او ما شابه ذلك .

وارتاب القوم فيما توصلت اليه وشككوا فيه ، واكدوا أن جن الشيخ طلعت يفعل المعجزات ، وان كل ما يطلبه منه يجاب ، ولكي لا يداخلنا الشك في معتقداتهم ، حددوا لي مقابلة مع شيخهم ، وتمت المقابلة بحضور ستة منهم ، وبدانا مناقشة طويلة لكي استدرج شيخهم الى الفخ ، وطبيعي انه اخذ يؤكد ان له على

الجن سلطانا عظيما بأمر الله ، وان الله قد سخرهم لخدمتنا .. و ... و .. ومزاعم باطلة اراد ان يخيفني بها ، وهنا تدخلنا وقلنا : اذا كان ذلك صحيحا ، فانني أطلب خدمة تنفعني في ديني ودنياي ، ولا اظـن ان الجن سخيب املي ، مـا داموا مسخرين لخدمتنا ، وما دمت أنت (والحديث موجه الى الشيخ) بقادر على توجيههم ، فانني أرجو وألح في الرجاء ان ترجو جنك المزعوم في احضار مادة كيميائية (أسميتها له) موضوعة في زجاجة صغيرة على مكتبي في معملي بجامعة الاسكندرية ، لاننا نحتاج الى هذه المادة الوحيدة في اجراء تجربة علمية في احد المعامل ، وبهذه التجربة قد نخدم البشرية (وكان هذا الاجتماع بالشيخ قد تم في القاهرة) ، وبدلا من تجشمي السفر لاحضارها ، فما أيسر على جنك أن ييسر على الناس الامر في العلاج والبحوث .. فماذا انت قـائل ؟

عندئذ صمت الشيخ ما يقرب من دقيقة ، وراح فيما يشبه الغيبوبة ، وظن الحاضرون انه على اتصال بجنه لا محالة ، وانه سيفحمني بمعجزاته الخارقة ، وبعدها قال بنبرة فيـها ثقـة واعتداد : ان الجن لا تقبل التحدي ، ولهذا ترفـض احضـار الزجاجة !

قلت بنبرة ثقة واعتداد ايضا : انت ذكي ، وما عداك مخدوع غبـي !

وما حدث لا يخفى مغزاه على لبيب ، فمثل هؤلاء المشعوذين والدجالين لا سلطان لهم ولا لجنهم الا في الاوساط التي يمكن خداعها بقليل من الذكاء ، فهم يوحون اليهم من خلال حركات وطقوس ودعوات خاصة بأن الجن يعمل معهم الان ، ويحضر أشياء لا تكون في الحسبان ، وتأكيدا أن هذه الاشياء يحتفظ بها « الشيخ » المشعوذ معه ، وهو يستطيع أن يظهرها في الوقـت المناسب بطريقة لا تختلف كثيرا عن طرق الحواة ، ويدعي بها علاج مرضاه ، حيث يعجز نفر من أطباء الانس عن علاجهم ، فاذا احسوا

بأن هناك من يراقبهم بحذر ، او يضع بعض الشروط المتواضعة لاعادة ما ادعاه ، تنصلوا من ذلك بشتى الحيل ، ولقد رأينا ذلك كثيرا فيما قدمنا من أبواب مع المعالجين والجراحين الروحانيين ؛ فكل هؤلاء ـ بدون استثناء ـ على درجة من الذكاء ، والا لما تكسبوا خبزهم وادامهم ، وأثروا على حساب السذج والبسطاء ، حتى ولو كانوا حاصلين على مؤهلات علميـة كبيرة .. فالشيـخ المزعوم الذي تحدثنا عنه استطاع أن يحصل من كل واحد وواحدة من المجموعة ـ التي تثق في معجزاته ـ على مئات الجنيهات ، وبعضها جنيهات ذهبية ، لان الجن ـ على حد زعمه ـ تهوى الذهب ، ولا تعمل أو تستجيب الا في وجود هذا المعدن النفيس !

ومع ذلك ، فقد طلبنا من الشيخ ان يقوم بتحضير جنه ، علنا نحظى برؤية قدراته المعجزة ، لكنه لم يستجب حتى لا أكشف خداعه ، وزعم انه غير مهيأ تلك الليلة لذلك ، لكنه سيريني الدليل الذي يفحمني ، فادعى أنه سيرسل الي نفرا من جنه في منزلي بالاسكندرية ليحدث بعض التخـريب البسيط جزاء لي عـلى تحدياتي ، وطلب عنواني كاملا ، فأعطيته اياه راجيا ان أرى الدليل ، وخاف علي الصحاب من الضرر (لقد كان المشعوذ يرعبهم ويسيطر عليهم بجنه المزعوم) ، لكنني لم اعبأ بذلك ، وزادت تحدياتي ، وآلمت الشيخ ببعض كلماتي ، حتى ادفعه لذلك .. ومرت الايام والسنوات ، ولم يحضر جنه المزعوم حتى كتابة هذه السطور !

نعود لنقول : ان مثل هذه الخرافات لا تجوز حقا الا على اصحاب العقول الضعيفة ، ولقد قدمنا هذه الواقعة كمثل واحد هنا ، وما أكثر ما خضناه في هذا المجال ، دون ان نتوصل الى اثبات شيء له معنى في مجال هذه المزاعم الباطلة ، والواقع أن الحديث في مثل هذه الامور قد يتشعب ويطول ، وعلينا أن نغلق الباب هنا ، لكن قد يطرأ على الاذهان تساؤل : ان الجن وقدراته قد وردت في القرآن الكريم ، فلماذا اذن لا نعتقد في تلك القدرات الان ؟

باختصار شديد نقول : ان جن القرآن غير جن الانسان ، ونعنى بذلك أن الجن الذي يزعمون تحضيره وتسخيره ، واحضار الشيء من لا شيء ، انما هي شعوذة حقيقية ترتكب باسم الدين ، والدين منها بريء .. فهو دين العقل والحكمة والموعظة الحسنة ، لا دين هؤلاء المشعوذين الذين يضحكون به على عباد الله الطيبين !

الزار .. جن له طقوس !

والحق أن فكرة ارتباط المرض بالارواح أو الجن تتمثل لنا في تلك الطقوس الغريبة التي لا تزال تنتشر في كثير من الدول العربية وتعرف باسم « الزار » ، وقد انتقلت هذه الظاهرة ـ على حد تعريف دائرة المعارف الاسلامية ـ على ما يبدو من أواسط افريقيا الى الحبشة ، وهي كلمة مستعارة من الامهرية ، وقد انتقلت في جن الزار من الحبشة ـ بعد ذلك ـ الى العالم الاسلامي ، ومثل هذه الاعتقادات في الجن الذي يتسلل احيانا في بعض الاجسام البشرية معروفة في البلاد الاسلامية في آسيا وافريقيا ، حيث يطلق على الزار اسماء تختلف باختلاف لهجات البلاد ، فالزار مثلا يعرف باسم « بوري » في نيجيريا وطرابلس ، و « اموك » في الملايو ، والزار في مصر والحبشة والحجاز وعمان .. الخ ، والاسم « زار » في بلاد الحبشة نفسها لا يرجع الى أصل سامي ، والراجح أن الكلمة مشتقة من اسم الاله الاعظم عند الكوشيين الوثنيين ، ولقد غدا الاله الوثني القديم في الحبشة عفريتا حقودا (هكذا !!) .. وانتقلت على هذا النحو الشعائر الخاصة بالارواح الشريرة المزعومة ، هذا ويعتقد المسلمون والنصارى في الحبشة ان الزار يعيش بصفة خاصة في الجداول والانهار ، وهو كائن شرير ـ كما يظنون ، ومن الممكن طرده من الاجسام التي حل بها باستخدام التمائم والشعائر والطقوس الشائعة عند اتباع هذين الدينين ... الخ .

وطبيعي اننا لن نتعرض هنا للطقوس الكثيرة والمتنوعة التي تستخدم لطرد هذا العفريت المزعوم ، لكن الذي يهمنا في هذا المجال هو ربط بعض الامراض بخرافة تسلل الارواح الى الابدان .. خاصة أبدان النساء ، ولهذا تقام الحفلات ، ويطلق البخور ، وتدق الدفوف ، وتهتز الاجسام ، وتنطلق التمائم ، وينادى على الجن أو العفريت ، ويطلب منه صراحة أن يترك جسم المريضة لقاء هدايا خاصة تذهب ــ بطبيعة الحال ــ الى جيب الكودية (الوسيطة) وأعوانها !

وقد لا يخرج الجن أو العفريت من أول مرة ــ على حد زعم الكودية ، ولهذا قد يتكرر هذا « العلاج » الخرافي مرات عديدة ، الى أن يتم الشفاء ، وتحصل الكودية على نصيب الاسد من تلك الحفلات !

والواقع ان هذه الحفلات الغريبة كانت تقام كثيرا في السنوات الماضية ، لكنها في طريقها الان الى الزوال ، خاصة بعد ان حصلت المراة على حقوقها كفرد عامل وفعال في مجتمعاتنا الحديثة ، اذ ان الدافع لاقامة الزار اساسا كان يرجع الى عوامل نفسية كالاكتئاب والعصبية وبعض اضطرابات عاطفية وامراض عقلية ليست خطيرة ، وذلك يرجع الى كبتها في البيت وعدم المشاركة في الانشطة الاجتماعية التي قد تنفس عنها بعض معاناتها ، ومن هنا لجأت النساء الى الادعاء بأمراض قد تكون وهمية ، وقد تكون حقيقية ، علها تحظى بنشاط فيه من الحركات والظواهر الغريبة ما يفرج كربها ، ويفرغ شحناتها المكبوتة ، وهي التي افرغتها بمشاركتها في الانشطة الحالية او العصرية .

لكن ذلك الجن او الزار يرجع في الواقع الى اعتقاد خرافي خاطىء ، وقد تبلى بعض النساء من امراضها النفسية او العقلية او العاطفية ، لاعتقادهن في حدوى الزار ، لكن الزار لا يمكن ان يشفي من الامراض العضوية التي اشرنا اليها قبل ذلك مرارا .

ولقد كانت هذه الطريقة ذاتها تمارس قديما ولكن بوسيلة اخرى .. صحيح انها كانت تعتمد على العامل النفسي ، لكنها لا تخرج في مضمونها عن فكرة الزار .. فترى مثلا الكهنة القدامى في الحضارات المصرية القديمة والاشورية والبابلية وغيرها ، يقومون ببعض الطقوس للمرضى ، فتراهم يرددون امام المريض بعض العزائم قبل مباشرة العلاج ، ومن امثلة ذلك ما ورد في بردية ايبر Eber : « لقد اتيت من مدينة الشمس ، ومعي شيوخ المعبد المالكون للشفاء ، والواهبون للابدية .. اتيت من سايص (صا الحجر ـ البلد المعروفة الان في مصر) في ركاب الام المنجبة للالهة الذين منحوني حماهم .. اتيت وفي جبعتي وصفات من الاله الاكبر تشفي من كل داء عضال ارادته الالهة ، وتقي من كل سوء سببته ارواح الموتى » !.. وطبيعي ان المريض عندما يسمع ترانيم هذه التعويذة التي يعتقد في فائدتها كل الاعتقاد ، فانها تسري في نفسه كما تسري آيات القرآن الكريم مثلا في نفس المسلم ، او كما تسري آيات الانجيل في نفس المسيحي عندما يرددها المعالجون الروحيون اثناء اجراء جراحاتهم الروحية ، فتساعده نفسيا على التغلب من معاناته من امراض قد تكون محسوسة .

الطب الشعبي وعلاقته بالتصورات القديمة

وهناك من يستخدمون العسل والبصل حتى الان في التداوي، لكن جذور ذلك قديمة ، فلقد نشأت تلك الفكرة ايضا من ارتباط بعض الامراض بجني او عفريت أو روح شريرة ، وفي ذلك تقول احدى البرديات المصرية القديمة مخاطبة الروح التي لبست الجسد فأصابته بالمرض ، تقول « اني احضرت لك دواء من العسل ، وهذا ما يأتيك بالشر ، ومن البصل وهذا ما يأتيك بالضر .. عسل حلو المذاق للاحياء ، ولكنه مر للاموات » !

وجدير بالذكر هنا ايضا انهناك خرافة بابلية قديمةكانت تعزو مرض العيون أو التهابها الى عفريت أو جنى ، فاذا عدنا مثلا الى كهنة ما بين النهرين (العراق الان) لوجدناهم يذكرون ان الرياح التي تهب عليهم موسميا من الجنوب الغربي محملة بالاتربة والغبار (رياح خماسينية من الجزيرة العربية) ترجع الى جني او شيطان يتقمص تلك الرياح الشريرة التي تؤذي العيون ، ولقد صوروه على هيئة نسر يحمل راس كلب ومخالب أسد ، ولكي يسيطروا على ذلك الشيطان ويبعدوا شروره عن دورهم ، كانوا يجيئون بتماثيل منفرة ، ويضعونها امام منازلهم ، وعندما يراها فانه يتحاشاها ، ولا يتسلل الى دورهم ـ على حد ظنهم !

والغريب ان العين كانت اذا التهبت ، كان الطبيب الساحر الكاهن في العراق يصف لها بصلة مشقوقة ، ثم يخلطها بالجعة ، ويشربها صاحب العين الملتهبة ، واحيانا ما كانت العين تشفى بهذه الوسيلة ، وكانت فلسفتهم في ذلك أن التهاب العيون يرجع الى تلك الروح الشريرة التي تنفر من رائحة البصل بالجعة ، فتخرج مع الدموع التي تنهمر من العين بغزارة . . والثابت علميا الان ان الدموع تحتوي على انزيمات خاصة تفرز بتركيزات ضئيلة . (تسمى خميرة ليزوزيم) ، فتؤدي الى اذابة بعض جدر البكتيريا وتدمرها ، ومن هنا قد تختفي الالتهابات . . لكن هذا التعليل الحديث لم يكن يدور بخلدهم وقتذاك ، فلقد كان العالم القديم يعيد كل شيء لا يستطيع ادراكه الى قوى خفية وارواح واشباح وجن وغيلان . . . الخ .

ولقد مارست الدول العربية المختلفة الطب في الماضي بطرق غريبة ، وان هذه الطرق لا زالت سارية حتى اليوم . . ففي المغرب العربي مثلا كانوا اذا اصاب الصداع احدهم ، عمد الى حمل او ماعز ، واوجعه ضربا حتى يقع الحيوان على الارض طريحا ، وهو يقوم بهذا العمل ظنا منه ان الصداع كائن شرير لبس دماغه ، وانه من الممكن ترحيله الى ماعز او خروف !

وثمة طريقة اخرى يقوم بها بعض المغـاربة الموسرين ، اذ يضعون خنزيرا بريا في الحظائر مع خيولهم ، ظنا منهم ان الشيطان او الروح الشريرة (او ببساطة الشر) قد تدخل الى الحظيرة ، ويمكن اقتناصها عن طريق الخنزير !

ولقد دفع الاعتقاد في الارواح الشريرة الناس ــ خاصة الاطباء الكهنة ــ الى تجهيز عقاقير كثيرة من مواد تعافها النفس البشرية ، وتعافها ايضا الارواح الشريرة ــ كما يزعمون ، وعندما يتنـاول الانسان المريض تلك الادوية الغريبة، ذات الرائحة الكريهة، او الطعم الذي يصيب النفس بالقرف والغثيان ، فان الروح الشريرة تقرف بدورها ، وتخرج من الجسم المريض مضطرة ، فيبرأ الانسان من مرضه ، واغلب الاحيان ان المريض كان يختصر الطريق الى الدار الآخرة !

من ذلك مثلا ان كهنة بابل كانوا يصفون لالتهاب العين ــ بجوار البصلة المشقوقة والمنقوعة في الجعة ــ وصفة غريبة تقول « عليك ان تنزع احشاء ضفدعة صفراء ، وتخلط مرارتها بلبن مجبن وتضعها على العين » !.. ومن وصفات كهنة قدماء المصريين ان تأتي بمرارة سلحفاة ، واثناء صحنها بالعسل لصنع مرهم يوضع على الجفن لعلاج سحابة العين ، تتلى تعويذة تقول « هناك ضوضاء في سمـاء الجنوب منذ غروب الليل ، وزوابع في شمال الشمال .. وقع كوم من الرؤوس المقطوعة في الماء .. من يستردها ؟.. لقد استرددتها ، وقد اعدتها الى امكنتها .. لقد ربطت فقرات رقابكم ؛ لتبعدوا اذى الاله او الميت » !

هذا ويذكر الدميري وصفات كثيرة لعلاج الامراض متخذا من لحوم الحيوان وافرازاته المختلفة عناصر لتركيب الدواء ، فذكر مثلا ان الاكتحال بمرارة الاسد يحد من النظر ، واذا اخذت خصيته وملحت ببورق احمر ومصطكى وجففت وسحقت وخلطت بسويق وشربت ، نفعت في جميع الاوجاع التـي في الجوف مثـل المغص والقولنج والبواسير ووجع الارحام .. الخ ، وقال عن الفيل : من

سقي من وسخ اذن الفيل ينام سبعة ايام ، ومرارته يطلى بها البرص ويترك ثلاثة ايام فيذهب ، وعظمه يعلق على رقاب الصبيان فيدفع عنهم الصرع ... الخ ... الخ .

على ان هذه الوصفات الغريبة والحديثة نسبيا ليست جديدة تماما ، ويبدو انها تسير على نفس الفكرة التي سار عليها القدماء ، كما ان بعضها لا يزال ساريا حتى اليوم ، فلبن الحمير مثلا لا يزال يستعمل للسعال الديكي ، وهي وصفة فرعونية قديمة ، كما ان الفراعنة كانوا يستعملون عقاقير مستحضرة من بعض المواد العضوية التي يفرزها الجسم مثل البول واللعاب والصفراء ... الخ ، كما كانوا يجهزون مساحيق مستحضرة من الديدان وبعض انواع الحشرات والثعابين والحيوانات الاليفة ، ولا يزال البعض يعتقد حتى الان في ان دهن الثعبان او الافعى يشفي من امراض الروماتيزم .

هذا ويذكر الدكتور التجاني الماحي (من السودان) في كتابه « تاريخ الطب عند العرب » ـ « ان بعض هذه الوصفات ما زالت تستخدم حتى الان في السودان كطريق للعلاج ، وهي تستعمل أيضا في مصر وبعض بلاد المغرب العربي بطريقة فجة قد تمرض ولا تشفي ، فاعتقاد الناس مثلا بان شيخ الطريقة انسان « مبارك وميمون » بكل ما فيه ، عندئذ قد لا يجدون غضاضة في ان يتباروا في تناول الماء او الطعام من اناء بصق فيه شيخهم ، وذلك بحجة ان هذا قد يزيل الاوجاع اذا سرى « ريق سيدهم » في دمائهم ، واحيانا ما يبصق الشيخ في فم احد الاتباع الجدد ليكون مباركا ! » .. الى آخر هذه الاوهام التي ليس لها اساس .

والواقع ان موضوع الطب الشعبي وما فيه من خرافات كثيرة موضوع متفرع وطويل ، وهو لا يخلو ايضا من طرافة واثارة ، لكن يكفينا ما قدمنا من مقتطفات قليلة ، ليتبين لنا ان هناك توافقا في الافكار بين بعض القديم من الخرافات وبعض الحديث منها .. فلا يزال بعض المعالجين الروحيين شرقا وغربا يعتقدون في ان المرض قد يكون طبيعيا او غير طبيعي ، وغير الطبيعي يعني في عرفهم مرضا

بالارواح الشريرة ، او ان الانسجة المزالة بالجراحات الروحية المزعومة انسجة شريرة ، ولهذا يحرقونها خوفا من لعناتها (الواقع ان ذلك يحدث حتى لا تكتشف الاعيبهم) ، والغريب ان كثيرا من الناس يصدقون ذلك !

ولا شك ان ارتباط القديم بالحديث يتمثل لنا الان في نوع من العلاج الذي اكتسب شهرة واسعة ، والمعروف بالعلاج بالابر الصينية .. والواقع ان نشأة هذا النوع من العلاج ، كان مرتبطا ايضا بخرافات قديمة .. فما هي هذه الخرافات ، وكيف نشأت ؟.

العلاج بالابر الصينية : حقيقة أم خرافة ؟.

الواقع ان الذي دعانا الى اختيار هذا الموضوع ضمن كتابنا ان اخبار اليوم القاهرية قد ذكرت في عددها الصادر في ١٩٧٨/٦/٢٤ ان « وحدة العلاج بالوخز بالابر الصينية التي يعمل بها اطباء صينيون منذ عام ، تقرر مد العمل بها سنة اخرى بعد ان ثبت جدواها في معالجة عدد من الامراض مثل الصداع النصفي والربو الشعبي ، وعرق النسا وآلام المفاصل والظهر ، ونتيجة لازدياد المترددين عليها ، وبعد مضي العام الجديد ، سيقوم بالعمل بها الاطباء العرب والكويتيون الذين امضوا بالصين مدة تدربوا فيها على ممارسة هذا النوع من الطب » !

هذا الخبر صادر لمراسل الاخبار من الكويت ، ووحدة العلاج المذكورة موجودة في الكويت !

لكن ما تكتبه الصحافة شيء ، وما يقوله العلم شيء اخر ، فحقيقة الامر ان الابر الصينية لا تستخدم في العلاج كما جاء ، ولكنها وسيلة من وسائل التغلب على الالم الذي يصاحب المرض .. اي انها تخدير مؤقت ، لا علاج ناجع ، ومن هنا وجب التنويه والتحذير من هذا الخطأ الشائع ، حتى لا يجري المرضى وراء سراب خادع .

لكن هل الابــر الصينية خرافــة ؟

الواقع انها نشأت من اعتقاد خرافي قديم ، وفي هذا الاعتقاد يفترض الصينيون القدامى ان الانسان ليس الا صــورة مصغرة للكون الكبير ، ولهذا يتأثر الجسد بالظواهر الكونية التي تسري على الاجرام السماوية ، ويعتقد حكماء الصين ان الكون يسير على هدى قوتين هما : يين Yin ، يانج Yang .

و « يين » في هذا الاعتقاد الاسطوري تمثل العنصر الانثوي ، وتتميز بصفات سالبة ، في حين ان « يانج » يمثل العنصر الذكري ، وذو صفات موجبة ، وهاتان القوتان الكونيتان تمتزجان بطريقة او باخرى في كل من الذكر والانثى ، ويسريان خلال ١٢ قناة او برجا ، ومن كل قناة يتفرع ٣٠ فرعا ، ولهذا تصور الصينيون القدماء وجود ٣٦٠ فرعا او نقطة في كل اجزاء الجسم البشري ، وكل نقطة منهــا صالحة لغرس الابر (شكل ٣) ، فاذا غرست ، فانها تساعد ــ على حد زعمهم ــ على اعادة التوازن بين اليين واليانج ، اي بــين القوة السالبة والموجبة ، وهم يعتقدون ايضا ان كل الامراض التي تحل بالجسم ترجع الى اختلال الموازين بين اليين واليانج ، ثم انه لا يهم ان توضع الابر في الموقع الذي حل به المرض ، لان كل القنوات او الفروع تؤدي الى بعضها ، ومن شان هذه الابر ان تصلح الخلل !

لكن هذه الفكرة قد نشأت ايضا عند قدماء المصريين وعرب الجاهلية والآشوريين والفينيقيين والبابليين ومن جاء بعدهم مــن الرومان واليونانيين القدامى ، الا انها ــ أي الفكرة ــ قد اتخذت فلسفة أخرى لا تقوم على غرس الابر ، بل قامت على ربط حظ الانسان في الصحة والمرض والحياة ببروج السماء الاثنتي عشرة ، والحق أن هذه الفكرة الاسطورية ما زالت سارية بيننا حتى الان فيما نسميه بطالع البروج الذي ولد فيه الانسان ، وهذا ما نراه في اية صحيفة يومية او مجلة اسبوعية تتنبأ لنا بحظنا في اليــوم او الاسبوع ، مثل حظ مواليد برج العقرب والدلو والسرطان . . الخ (شكل ٤) . . وطبيعي ان هذا التنبؤ يدخل علميا في بند الخرافات

والخزعبلات .. حتى الحديث النبوي الشريف ينفي ذلك « كذب المنجمون ولو صادفوا » .. أي من الصــدفة لا الصدق ، فهم يصدفون في نبوءاتهم ولا يصدقون !

المهم ان دائرة البروج التي نعرفها اليوم ، كانت تمثل ــ في عرف الاجداد ــ طرازا أوليا للجسم الانساني .. فكل عضو من اعضاء هذا الجسم له ما يقابله من أقسام البروج ، ولقد قسموا الجسد الى ٣٦ عضوا ، وهذا يمثل عدد « الديكانات » أو العشرات الستة والثلاثين (والديكانة تعني عشرة ايام) ، كما ان السنة كانت في عرفهم ٣٦ ديكانة ، أي ٣٦٠ يوما .. وهذا يعني أنهم ربطوا حساب الفلك بالجسم البشري ، يضاف الى ذلك أن لكل ديكانة او عضو من أعضاء الجسم الها خاصا ذا قوة متحكمة او مؤثرة فيه ، ثم تطور الامر الى التنجيم الــذي تقاس به انشطــة الانسان وصحته وسعادته ومرضه .. الخ .

وربما كانت تلك الافكار أيضا قد راودت المتصوف محيي الدين بن عربي ، فعبر عن ذلك شعرا أعمق معنى ، واعم فكرا :

اتحسب انــك جرم صغــير وفيــك انطوى العالم الاكبــر

وأيا كانت الامور ، فان فكرة الابر الصينية قد نشأت عن قصة قديمة تذكر أن جنديا صينيا كان يعيش هناك منذ ثلاثة الاف عام ، ثم أصيب بسهم استقر في جسده ، فلاحظ ان دخول السهم في منطقة ، قد أحدث ما يشبه التخدير او فقدان الحس في منطقة أخرى !

وبعد سنين طويلة يجيء احد الحكماء ، ويستمع الى هذه القصة الغريبة ، ويحاول أن يأخذها مأخذ التجربة ، فيجربها بالابر لا بالسهام ، ويقال أن الفكرة اشتغلت ، ثم تطورت وأصبحت وسيلة من وسائل « العلاج » التي انتقلت عبر اجيال طويلة ، حتى وصلت الينا بتلك الصورة التي اثارت جدلا كبيرا بين العلماء ، خاصة وان نظرة القدماء الى الجسم البشري تختلف جذريا عن نظرتنا الحديثة

له ، فهم ينظرون اليه نظرة اسطورية ، وانه يتكون من عنصرين : سالب وموجب ، وان الامراض تنشأ من اختلال التوازن بين السالب والموجب .. الى اخر هذه الامور التي لم يستطع أحد أن يدلل على صحتها ، ولا أطباء الصين انفسهم .. كما أن تلك الابر تغرس في مواضع قد لا يكون لها شأن بالشبكة العصبية الناقلة للآلام ، ومع ذلك فهي تشتغل بطريقة « سحرية » ، لكن ليس مع كل الناس ، فلقد قام بعض العلماء الامريكيين من جامعة اوهايو بغرس الابر في المواقع التي حددتها الطريقة الصينية ، ومن خلال الابر انطلق تيار كهربي ضعيف ليؤثر على بعض الخلايا العصبية ، ويشوش على نبضات الالم قبل أن تصب في المخ ، واظهرت التجارب التي أجريت على عدد كبير من الناس أن النتائج ليست حاسمة ، اذ قرر حوالي نصف الذين أجريت عليهم عمليات غرس الابر أن آلامهم قد بقيت دون تحسن يذكر ، في حين ذكر النصف الاخر انهم احسوا ببعض الراحة ، وهنا لا يستطيع أحد أن يصل الى القول الفصل في ذلك .

ما نريد أن نصل اليه ان ما يتردد بين الناس عن معجزات الابر الصينية وسحرها ، ثم قولهم بعجز العلماء عن فهم هذا اللغز وتقييمه ، ليس له ما يبرره .. فحقيقة هذه الابر انها لا تستخدم على الاطلاق كطريقة من طرق العلاج ، بل هي تنفع في تخفيف بعض الآلام عند بعض الناس ، وقد يتأتى ذلك عن الاعتقاد في جدواها ، أو بالايحاء وما شابه ذلك .

خذ لذلك مثلا .. هناك حالات من الالم الوهمي ، وفيه يطلب المريض دواء معينا يعتقد انه الوحيد الذي يريحه من آلامه ، ويحقن بالدواء ، ويؤكد المريض ان آلامه قد اختفت ، لكنه في الحقيقة لم يأخذ الا دواء وهميا ، لان ما اخذه كان حقنة بها محلول معقم من سكر أو ملح لا يضر ولا ينفع ، وهذا ينبئك بطبيعة النفس البشرية ، وما تجبل عليه أحيانا من أوهام خادعة !

ان العلم دائما يحترم نفسه ، كما أن العلماء لا يقفزون الى الاستنتاجات قفزا ، ومن هنا ظهرت أصالة ما يقدمونه للبشرية من خدمات .. فهم يتعاملون كثيرا مع ما خلق الله ، او هم يرون اعجازه ودقته في نظم الكون والحياة ، فيدرسون مثلا اسباب الالم ، والميكانيكية البيولوجية الكامنة وراء الالم ، ويقيسون نبضاته ، ويحددون مواقعه ، ومن هنا يستطيعون التغلب عليه بوسائل شتى مؤسسة على البحوث والنتائج التي حصلوا عليها .. فهناك مثلا عمليات جراحية دقيقة تزيل مسببات الالم ، ومنها قطع العصب الناقل لاشارات الالم بين الجزء المصاب ، وبين مركز الالم في المخ العظيم ، (والحق ان الكي عند العرب قديم ، وهو لا يخرج في مجمله عن قطع العصب الناقل للالم) ، وهناك مئات الادوية المسكنة والمخدرة التي تتداخل مع بيولوجية الجهاز العصبي ، وتغير أو تحور في معنى نبضات الالم ، وهناك الاجهزة الاليكترونية الحديثة التي تشوش على الحزم او « الكابلات » العصبية الحية الناقلة للالم قبل صبه في المخ ، وهناك مؤثرات كثيرة تشتغل على مراكز محددة في المخ ذاته .. هذه المؤثرات قد تكون كهربية أو كيميائية أو عن طريق الايحاء والتنويم ... الخ .

وكل هذه الامور مقننة ومعروفة وتعطي نفس النتائج مع نفس الناس ، لكن الامر ليس كذلك مع تلك الابر ، فاثرها يختلف بين الناس !

ثم لماذا يجرى الناس وراء شيء مشكوك في أمره حتى الان ، وامامهم وسائل العلم الحديث للقضاء على الآلام ؟ ..

ان الخطأ الكبير الذي تقع فيه أجهزة الاعلام عندما تتحدث عن الابر الصينية على أنها وسيلة للعلاج من بعض الامراض هو تضليل حقيقي ، ومن هنا وجب التصحيح والترشيد .. فالابر ليست

الا طريقة للتغلب على بعض الآلام عند بعض الناس ، وهي قطعا ليست للعلاج .. كما أن نسبة استخدامها للتخدير في الصين نفسها لا يزيد عن ٥٪ ، اذ يلجأ الاطباء هناك الى الاستعانة بالوسائل الغربية المعروفة .

ثم أن هذه الابر قد دخلت أيضا عصر الخرافات الحديثة ، فعن طريقها يزعمون أن طاقة المعالجين الروحيين تنساب من خلالها ، ليحدث الشفاء ، وهذا وهم سبق ان اوضحناه ، وسوف يتضح اكثر عندما نتعرض للتصوير الروحي لهذه الطاقات .



ترشيد واجب

بقيت لنا كلمة اخيرة في نهاية موضوعنا عن بعض الخرافات الطبية التي التصقت بأذهان الناس ، وكانت لاجهزة الاعلام والثقافة النصيب الاكبر في نشرها والدعاية المضللة التي صاحبتها .. فكل ما كتب في هذا الموضوع من اوهام لم يكتبه عالم أو طبيب فاحص مدقق ، درس طبيعة الجسم البشري ، وعرف الكثير من أسراره وخباياه ، انما يجيء ذلك عن طريق مشاهدة يلعب فيها التمويه والخداع النصيب الاكبر ويجوز ذلك على كل من لا يعرف من أساسيات العلم والطب شيئا يذكر ، ثم يكتب ويتفلسف فيما لا يعرف !

والمعالجون الروحيون في كل أنحاء الدنيا ـ بما في ذلك اللمسات والبركات التي تنساب من بعض شيوخ الطرق الصوفية أو كل من له مكانة دينية خاصة بين الناس ـ يدعون أن القدرة على العلاج تأتيهم من مصادر شتى يعطونها تعريفات تختلف باختلاف بيئاتهم

وعقائدهم ، والاطباء يعالجون ايضا كثيرا من الناس ، ولكنهم لا يقحمون هذه القوى الخفية في مجالاتهم الطبية ، والا كان أمرهم كأمر المشعوذين .. ذلك ان الطبيب او الجراح يظل طوال عمره يدرس اسرار الجسم البشري .. جزيئاته وخلاياه وانسجته واعضاءه ، ويبحث جادا عن اسباب الخلل النفسي او العضوي او الوظيفي او البيوكيميائي او الوراثي .. الخ ، التي حلت بالجسد ، فيجري جراحة لها اصول ، ويصف دواء قام على اساس من بحث وتجربة وادراك ، ويعطي مضادا حيويا يناسب الميكروب الذي غزا الجسم ، ويجبر عظمة مكسورة ، ويساعد الجسم على التئام جروحه ، وهو في كل هذا لا يدعي انه اتى بمعجزة ، ولا قام بامر خارق ، ولا تدخلت قوى خفية ، ولا هي انسابت من بين اصابعه ، بل ان المعجزات والقوى الخفية تكمن في الخلق المبدع ، والنظام المتقن الذي وضعه الخالق في خلقه من قديم الازل ، ليسري كل شيء الى قدره المعلوم .. ولهذا فان العالمين ببواطن الامور يدركون تماما ان المعجزة الحقيقية في داخلنا نحن .. ((**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق**)) .. ((**الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى**)) .. قدرها وهداها جزيئات متفاعلة ، وخلايا مترابطة ، وانسجة متآلفة ، واعضاء متكاملة لتخدم بعضها بعضا ، وفوق كل هذا تمتلك الوسيلة او الوسائل التي تصلح بها ما عطب ، وترمم ما تهتك !

على اننا لو اردنا ان نوفي هذا النظام البديع حقه ، لاحتاج ذلك الى مجلدات ومجلدات ، لكن يكفي ان نشير فقط الى بعض العموميات ، ففيها فصل الخطاب .

فلو ان طبيبا قد تقبل حالة اصيبت بجرح غائر ، وقام بما تمليه عليه مهنته ، والتأم الجرح في سلام ، فانه لا يدعي لنفسه

الفضل في ذلك ، بل ان الجسم حقيقة هو الذي قام بالعملية من اولها الى آخرها ، وكل عمل الطبيب هنا ان يساعد فقط على عدم تلوث الجرح بالميكروبات ، ويحد من نزيف الدم بوسائل شتى . الخ، اما التئام الجرح ذاته ، فقد كان من ورائه جيوش من خمائر وبروتينات وكرات دماء وتفاعلات واستعدادات ضخمة لتبني « سدا » جديدا يفصل بين عالم الجسم الداخلي وعالمه الخارجي ، فاذا بكل شيء يعود الى مجراه .. ولقد كان بودنا ان نقدم شيئا عن ابداع هذه الميكانيكية البيولوجية الفذة ، ليتبين لنا بوضوح معنى ما قدمنا فاوجزنا ، لكن المجال بها يضيق ، او ليس هذا مجالها .

وما يجري على الجروح ، يجري على العظام المكسورة ، فالكشف بالاشعة يوضح للطبيب طبيعة الكسر وموقعه ، فيقوم بتسوية العظام المكسورة ، واعادتها الى وضعها المناسب ، ثم يلفها بجبيرة حتى يضمن بقاءها في وضعها ، ويترك للجسم الباقي ، لان الجسم هو الذي يقوم بعد ذلك بعملية اللحام بين العظام ، وهي ايضا عملية طويلة ومعقدة .. اذن فالمعجزة ليست للطبيب ، بل ترجع اساسا للاستحكامات الدقيقة التي لا تظهر الا اذا حدث الخلل .

والميكروبات التي تحاول غزو اجسامنا ليل نهار ، لها في داخل اجسامنا خطوط دفاعية على قدر هائل من الكفاءة والتعقيد ، وطالما كانت هذه الخطوط متيقظة ، فان الميكروب لا يقوى على الهجوم * ، فهي ترصده وتعرفه وتشله وتضربه « بصواريخ » بروتينية دقيقة (تعرف باسم الاجسام او البروتينات المضادة) حتى تنظف الميدان

لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع المهم ، يرجى الرجوع الى كتابينا : **الميكروبات والحياة ، معارك وخطوط دفاعية في جسمك** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٨ .

تماما من شروره .. لكن اذا اصيب انسان بميكروب ، وحل بـه المرض ، وذهب الى الطبيب، واعطاه العلاج (غالبا مضادات حيوية)، وشفي من علته ، فان ذلك لا يعني ان المعجزة ترجع الى الطبيب ، بل يرجع له الفضل فقط في تشخيص الداء ، وتقديم ما يتناسب من الدواء ، لكي يساعد الجسم في محنته التي حلت به نتيجة لسوء تغذية ، او طعام ملوث ، او هواء غير متجدد .. فميكروب السل مثلا لا يستطيع ان يغزو انسانا يتمتع بصحة وقوة جسدية لهـا وزنها ، وحتى لو غزاه ، فان الخطوط الدفاعية المتيقظة في جسمه تشل هذا الغزو من البداية .. اي ان الامور لم تخلق هكذا عبثا ، ولا هي تسري حسب اهواء الناس وخرافاتهم ، بل ان كل شيء في اجسامنا قد قدر تقديرا « انا كل شيء خلقناه بقدر » !

والواقع ان الانسان والحيوان قد عاشا من قديم الازل على هذا الكوكب ، وكان الفضل في صمودها ضد الميكروبات التي تحوم حولهما ليل نهار يرجع اساسا الى خطوطهما الدفاعية المحكمة ، ولولاها لما بقي انسان ولا حيوان .

ثم ان الميكروبات الضارية (كالطاعون والكوليرا والتيفـوس والجدري .... الخ) قد وضعها العلم تحت سيطرته ، فما عدنا نسمع عن الاوبئة الرهيبة التي كانت تكتسح العالم قديما ، وتقضي على الملايين من سكانه ، ولولا العلم الذي يقوم على اساس ، لحلت تلك الاوبئة الخطيرة بعالمنا المزدحم الان ، والذي يتحرك وينتقل ويختلط بسبل المواصلات السريعة ، وطبيعي ان القوى الخفية ، او البركات والصلوات والدعوات لا تستطيع ان توقف الميكروب وتقتله ، لكن الناموس الطبيعـي ان ندرس هـذا الميكروب اولا ، ونعرف طبيعته ، ثم نساعد الجسم ـ من خلال العقاقير ـ علـى تخطي ازمته في حالات ضعفه .

ومعظم الناس لا يعرفون مثلا ان لكل منا جهازين عصبيين : احدهما ارادي ، والاخر لا ارادي .. فحركة الاصبع او القدم او الذراع أو اللسان او الشفاه .. الخ ، تخضـع للجهـاز العصبي

الارادي ، وهو الذي يتكون من الالياف العصبية التي تنتشر في الجسم على هيئة شبكة رائعة ، وتصب في النهاية في المخ بعد ان تتجمع في الحبل العصبي الذي تحميه فقرات السلسلة الظهرية .. هذا ولكل منطقة في الجسم مركز محدد في المخ ، وقد يصاب هذا المركز المحدد بضـــرر او تهتك او ميكـــروب ، وعندئذ لا يستطيع الانسان ان يحرك العضلة او العضلات التي تتقبل اوامرها من هذا المركز المدمر ، وقد يؤدي ذلك الى شلل موضعي .

لكن الامر يختلف مع الجهاز اللاارادي ، فهو الذي يوجه العمليات الداخلية التي لا ارادة لنا فيها .. فبؤبؤ العين او انسانها (النني) يتسع في الظلام ، ويضيق في الضوء ، وهي ميكانيكية حيوية لا دخل لنا فيها بارادتنا ، انما الـــذي يحركها جـــزء من الجهـــاز اللاارادي الذي يضبط الضوء الداخل مئات المرات في اليوم الواحد، ولتتقبل الشبكية كل شيء بحساب ومقدار .

وارتفاع نبض القلب بالمجهودات المتوسطة والعنيفة ، وكذلك سرعة التنفس ، وتمدد الاوعيـــة الدموية او انقباضهـــا ، وافراز العرق ، وانضباط الحرارة ، وامتقاع لون الوجه عند الفزع .. كل هذا وغيره يتم دون وعي منا او ارادة ، بل ان التوجيه ينصب على الجهاز العصبي اللاارادي .

والذي لا يعرفه معظم الناس ايضا ان هذا الجهاز العصبي اللاارادي قد يتسبب في كثير من الاعراض غير المريحة ، او الامراض المعروفة .. فالربو وقرح الاثنى عشر والتهاب القولون والامساك واضطرابات الدورة الشهرية والطفح الجلدي والعنة (العجـــز الجنسي) وارتفاع ضغط الدم والصداع وعدم انتظام نبضـــات القلب ... الخ ، انما قد ترجع الى خلل في هذا الجهاز ، فاذا امكن علاج الخلل ، زالت تلك الاعراض .

ومثال واحد يكفي لتوضيح ذلك .. فقرح « الاثنى عشر » ــ وهي التي تكون حوالي ٩٠٪ من القـــرح المعروفة باســـم قرح

المعدة ـ تنتج من افرازات زائدة من حامض الايدروكلوريك الذي تفرزه المعدة ليساعد في هضم الطعام .. فعندما نأكل ، يبدأ العصب الحائر (وسمي كذلك لانه حير الاطباء حقا) التابع للجهاز العصبي اللا ارادي ، في توجيه خلايا المعدة لزيادة افرازها من هذا الحامض ، لكن قد يصيب هذا العصب المتحكم بعض الاضطراب او الخلل ، فيؤدي ذلك الى زيادة في افرازات الحامض التي تنساب بعد ذلك الى الاثني عشر ، فيتأثر جداره بالتركيز الزائد ، وقد يؤدي ذلك الى تهتك بعض الخلايا ، وبمزيد من التهتك تتكون قرحة ، وقد تؤدي الى نزيف من احد الاوعية الدموية التي تتخلل موضع القرحة ..

وطبيعي اننا لا نستطيع ان نأمر العصب الحائر ليقتصد في أوامره ، فتقتصد المعدة في افرازاتها ، فهذا العصب لا يقع تحت ارادتنا ، ومن أجل هذا يلجأ الاطباء الى معادلة الحامض الزائد بمواد قلوية ، أو اقراص لتؤثر على الخلايا الحامضية وتخفض افرازاتها ، أو مهدئات ومسكنات تجعل الانسان أقل عصبية ، فيؤثر ذلك على العصب الحائر ، واذا لم تنفع كل هذه الامور ، يزال جزء من المعدة ، حتى يكون افرازها في الحدود المعقولة ، أو قد يقطع العصب الحائر نفسه ..

لكن من الممكن التحكم في الجهاز العصبي اللاارادي في حدود ، وهذا لا يتأتى لكل الناس ، لان ذلك يحتاج لتدريبات قد تطول ، فمذهب اليوجا مثلا يعتمد على الايحاء الذاتي ، وبه يستطيع اليوجي ان يتحكم في ضربات قلبه ، أو درجة حرارته ، أو معدلات ضغط دمه .. الخ ، وبعبارة أوضح : انه يوجه جهازه العصبي اللاارادي ، فيستجيب الجهاز لهذا التوجيه ، ومن ثم فقد تختفي بعض الاضطرابات الناشئة من خلل الجهاز اللاارادي .

أو قد يأتي الايحاء من طبيب ، أو من معالج روحي ، أو من صفاء الذات (شكل ٥) (وهو ما يطلق عليه مذهب التأمل أو التركيز العقلي على شيء محدد Meditation) . المهم ان المريض هنا يجب عليه أن يعتقد في معالجه ، ويتقبل منه ايحاءاته

وتوجيهاته ، ويثق فيها ، ويؤمن بجدواها .. والعلم والطب لا ينكران جدوى ذلك في علاج بعض الاضطرابات ..

ما نود أن نصل اليه من كل ذلك ان المعجزات التي يرجعونها الى القوى الخفية التي تنطلق من المعالجين الروحيين أو غيرهم لا وجود لها على الاطلاق ، انما المعجزة تكمن في داخلنا ، فمهمة هؤلاء أن يوحوا الى النفس البشرية بأمور ، فاذا تقبلتها قبولا حسنا ، فان الفضل في اصلاح الخلل قد يرجع اساسا الى توجيه الجهاز العصبي اللاارادي الوجهة السليمة ، فاذا استجاب ، حل الشفاء من بعض الامراض ، وليست كلها .

ثم ان لجوء بعض الناس الى المشعوذين قد يكون له ما يبرره ، اذ يجدون عندهم السلوى والراحة والطمأنينة والامل والعقيدة التي تقربهم من الله (قراءات من القرآن والانجيل والتوراة) وهذا ما قد لا يعطيه لهم الطبيب .. فالطبيب الناجح حقا هو الذي يبعث دائما الامل ، ويؤكد للمريض ــ في أغلب الاحوال ــ أن الشفاء قادم لا محالة باذن الله .

أضف الى ذلك أن الشفاء من بعض الامراض قد يأتي نتيجة لقدرة الجسم ذاته على التغلب على بعض الخلل الذي أصابه .. فنوبات البرد والانفلونزا والصداع واضطراب الدورة الشهرية ... الخ ، قد تزول دون تدخل الطبيب أو المعالج الروحي ، وغالبا ما يذهب الفضل الى هؤلاء ، وننكر ذلك على أجسامنا ، ونكون ظالمين لانفسنا دون أن ندري ، أو ندري .. لست أدري .

لكن الذي ندريه أيضا ان عدم دراية الناس بالتنظيم البديع في أجسامهم يجعلهم يتوهمون أشياء غريبة ، ولو ادركوا ما توهموا .. ولقد قدمنا القول الفصل في كل ما يثار ويقال من اوهام ، وبه نصحح بعض المفاهيم الخاطئة التي تنشر على الناس ، فمن هذه الاخطاء ما جاء في كتاب القوى الخفية **لانيس منصور** ، اذ يذكر بالحرف الواحد « ان عددا من المعالجين الروحيين من الفلبين قد اذهلوا العالم كله ، ففي بلاد الفلبين تتوقف الطائرات الذاهبة الى

امريكا والعائدة منها لترى رجلا اسمر نحيفا قد عصب عينيه ، والناس يمرون امامه ، فيضع يده على المعدة او على القلب أو على الظهر او على المفاصل بسرعة غريبة ، وبعد لحظات يشفى كل انسان من مرضه ... ان هذا أيضا يجرى عمليات جراحية بأصابعه .. يفتح البطن .. وينزل منه الدم .. ثم يحرك أصابعه داخل البطن ثم يمر بأصابعه على البطن ويعيده الى ما كان عليه » .

ويستطرد قائلا « يحدث هذا الان في أندونيسيا .. والمجلات الطبية الامريكية تصف ذلك بالتفصيل ، والاطباء والعلماء أكثر دهشة من المرضى ، وقد صوروا الرجل وأصابعه ، لا شيء غير عادي .. أصابعه عادية ، ولكن الشيء غير العادي : كيف يفتح البطن بأصابعه ، ثم كيف يعيده كما كان .. وكيف يمشي الناس على ارجلهم بعد ذلك دون أن يصاب أحد بتلوث أو تسمم أو دون ان يموت الناس .. ان هذا المعالج الروحي الفلبيني لا يستخدم الادوات المعقمة ولا غرف الانعاش . ان هذا يتم يوميا أمام الناس بعدساتهم وعيونهم المشكلة » .. الخ .. الخ .

ولا تعليق لنا على هذا الكلام ، الا أن نترك القارىء ليستخلص ما يشاء ، خاصة بعد أن قدمنا ما قدمنا .. « اللهم انى قد بلغت ، اللهم فاشهد » !





الفصل الرابع

قوى خفية تنطلق من الكائنات الحية

في اوائل شهر مايو عام ١٩٧٦ ، وقف دكتور اليك فوريس الطبيب الاستشاري وعضو جمعية الاطباء الملكية بلندن ، ليقول في ندوة مطولة عقدت بكلية الملك (كينجز كوليج King's College) التابعة لجامعة لندن ، وأشرف عليها ونظمتها جماعة من البريطانيين والامريكيين التي تطلق على نفسها شعار « الصحة من أجل عصر افضل » ــ وقف ليعلن أنه « منذ عشر سنوات مضت لم أكن لأجرؤ واقف لاتحدث اليكم مثلما اتحدث الان » !

ولقد كان معظم الحاضرين في هذه الندوة من ذلك الطراز من الناس الذين يعتقدون أو يتحمسون لفكرة وجود قوة أو طاقة خفية لا يعرف الاطباء العاديون عنها شيئا ، أو لا يعتقدون في وجودها ، رغم أن تلك القوى الخفية تعلن عن نفسها من خلال تغيرات تحدثها في العقل والبدن ، وليس من نافلة القول اذن أن يبحث الحاضرون عن وسائل فعالة لتوجيه هذه القوى غير المنظورة حتى يمكن الاستفادة منها في شفاء الامراض بواسطة مجموعة خاصة من البشر يعرفها العالم أجمع باسم « المعالجين الروحيين » .

ولو كنت انت طبيبا او عالما او عقلانيا ، واستمعت الى بعض ما دار في هذه الندوة ، لحكمت على هؤلاء الناس انهم مــن ذلك النوع الذي تسيطر على عقله الاوهام والخزعبلات ، أو انهم جماعة من « المهاويس » .. ورغم أن دكتور اليك فوريس طبيب ممتاز ، وانه يطبق أصول مهنة الطب التي تعلمها التطبيق الامثل ، الا انه يعتقد في بعض ما يعتقد فيه هؤلاء الناس ، وظل يكتم هذا الاعتقاد في نفسه طيلة عشر سنوات ، خوفا من تهكم زملائه عليه ، او ربما يؤدى ذلك الى شكوك وظنون قد تؤثر على مستقبله كطبيب ، لكنه

اخيرا اعلن رأيه أمام هذه المجموعة التي دعته الى تلك الندوة ، فهو ــ دون أدنى شك ــ سوف يلقى منهم ترحيبا وتشجيعا ، ومن اجل هذا قال انه لم يكن ليجرؤ على التحدث اليهم منذ عشر سنوات بمثل ما يتحدث به الان ، والا اعتبروه مختل العقل ، وطبيعي ان هذا الطبيب ما كان ليجرؤ ويعلن ما يعلنه عن اعتقاده في القوى الروحية وظواهرها المحيرة ــ على هيئة علمية أو طبية ، والا لكان مصيره السخرية والازدراء ، وربما تم طرده من زمـرة الاطبـاء !

ولقد دعي الى هذه الندوة علماء واطبـاء لهم وزنهم ، لكن عددهم لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة ، ومن أبرز هؤلاء يقفز اسم البروفيسور جون تيلور .. صحيح أنه لا يعتقد فيما يعتقد فيه هؤلاء الناس (رغم انه وقع في مصيدتهم قبل ذلك ثم هرب) ، ولكنه جاء ليستمع ويناقش ويفند ويوجه ، فاذا كانت هناك قوى خفية قادرة على الشفاء حقا . فما هي طبيعة هذه القوى ؟ .. وكيف يمكن التدليل عليها ؟.. ثم ما هي الوسائل الكفيلة بالسيطرة عليها وتطويعها لخدمة العلم والطب ؟ .. الخ .

وتقفز الاجابات قفزا من أفواه الناس .. ان هذه القوى الخفية تظهر اكثر ما تظهر في المعالجين الروحانيين .. بل ان كل انسان تكمن فيه هذه القوى ، ولكن بدرجات لا تكاد تظهر أو تبين ، فلماذا ــ اذن ــ لا يحاول العلماء والاطباء دراسة هذه الظاهرة دراسة مقننة وافية ، فربما وضعوا أيديهم على سرها .

ويعلق البروفيسور تيلور على ذلك تعليقا هادئـا رزينـا ، ويتساءل : اذا كانت هناك طاقة أو قوة شافية ، فلن تخرج عن كونها كهرومغناطيسية ، فالعلم لا يعرف اي نوع اخر من الطاقة يمكن ان يروضها للعلاج .

لقد كان البروفيسور يقصد من ذلك أن الكون الذي نعيش فيه انما يتجلى لنا على هيئة مادة وطاقة ، وان احداهما تؤدي الى الاخرى ، أو تؤثر فيها ، فالجسم مثلا مادة تتكون من أعضاء ..

الاعضاء من انسجة .. الانسجة من خلايا .. الخلايا من جزيئات.. الجزيئات من ذرات .. الذرات من جسيمات ، والجسيمات في النهاية تبدو لنا بوجهين : وجه مادي ، ووجه كهرومغناطيسي .. اي موجات تنطلق على هيئة اشعاعات ، وللاشعاعات هنا شأن يذكر .

فجميع التفاعلات الحيوية في اجسامنا تحدث بين جزيئات أو أيونات (الايون ذرة أو مجموعة ذرية تحمل شحنة كهربية سالبة أو موجبة) ، وان الاصل في اتحادها أو انفصالها يعتمد على الاليكترونات التي تدور حول كل ذرة في مدارات ، ومن هذه العملية (وهي معقدة جدا بطبيعة الحال) تنطلق في داخلنا طاقات .. حركية وكهربية واشعاعية (كهرومغناطيسية) وافرازية وعصبية ... الخ ، وبدون انطلاق هذه الطاقات ، فلن تكون هناك حياة .

فاذا كان المشاركون في هذه الندوة يقصدون بالطاقة أو القوة الخفية هذا النوع من الاشعاع (اي الكهرومغناطيسي) ، فان العلم قد يمد يده ليدرسه ، ويعرف كيف ينطلق من المعالجين الروحانيين بتركيزات مناسبة بحيث تؤدى الى التغيير المطلوب في وحدات المادة الحية ، وبحيث تصلح الخطأ الذي يسبب المرض داخل خلايانا وانسجتنا ، وعندئذ سيكون من الميسور ــ في تلك الحالة ــ استخدام الاجهزة العلمية الحساسة لقياس هذه القوى التي تنطلق من المعالجين ، ومعرفة ترددها وقوتها وطول موجاتها .. الخ .

وطبيعي أن الاستاذ تيلور كان يستدرج معظم المشاركين في هذه الندوة الى المصيدة ، فهو يعرف تماما نوعية التفكير التي يمارسونها، اذ لا يمكن ان تنطلق من المعالج الروحي طاقة كهرومغناطيسية قوية الا اذا كان هذا المعالج المزعوم قد تحول الى مولد كهربي تكفي طاقته لتشغيل جهاز تليفزيون مثلا !

والواقع ان العلماء قد توصلوا الى تصنيع جهاز طبي يطلق موجات كهرومغناطيسية ذات تردد عال قريب من تردد الموجات

التي يشتغل بها التليفزيون، ومن هذا الجهاز تنطلق نبضات اشعاعية بمعدل ٨٠ ـ ٦٠٠ نبضة في الثانية الواحدة ، وعند تسليطها على الجروح أو المفاصل الملتهبة أو المتورمة أو العضلات المتقلصة أو الحروق .. الخ ، فانها تساعد على التئامها او شفائها ، والواقع أن احدا لم يستطع أن يقدم دليلا مقنعا على الكيفية التي تشتغل بها هذه الطاقة الكهرومغناطيسية على خلايانا وانسجتنا ، فتساعدها على تنظيم عملياتها ، وكل ما قيل في هذا المجال ليس الا ضربا من النظريات والاجتهادات .

لكن ذلك قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف أن طريق العلم واضح ، وانه يقوم على القياس والتجريب ، وتسجيل النتائج ، ولا شك أن الذي يعشش في عقول هؤلاء الناس أو غيرهم من خيالات وأوهام لا يجد العلماء فيه الا نوعا من الخداع او الهوس بشيء غير موجود الا في تصوراتهم الغريبة والرديئة !

هل القوى الخفية موجودة فينا حقا ؟

لكن هؤلاء الناس يزعمون أن العلم قاصر عن ادراك الحقيقة ، وهو لا يريد أن يعترف أو يبارك هذه القوى الخفية التي تنطلق من المعالجين الروحانيين الى المرضى ، فتؤثر فيهم وتشفيهم ، ليس ذلك فحسب ، بل ان هناك استاذا جامعيا امريكيا قد ذهب الى ابعد من ذلك ، وادعى أن المعالج الروحي لا بد وان يكون قناة او وسيلة لتنبثق منها قوة ما غير معروفة على وجه التحديد ، وانه بالامكان التدليل عليها ، واظهارها بين جمهرة الحاضرين .

ويطلب الاستاذ ـ وهو دكتور روبرت ميللر استاذ الهندسة الكيميائية في احدى الجامعات الامريكية ـ من الحاضرين ان يضع كل واحد منهم راحة يده في راحة يد من يجاوره او تجاوره ، وفعلا فعلوا ، وبعد برهة قصيرة سألهم ان كانوا يشعرون بشيء غير عادي في اكفهم ، فاجاب عدد غير قليل منهم بأنهم يشعرون حقا بشيء غير

عادي ، وطبيعي أن العامل النفسي ، والتعصب لما وقر في أدمغتهم قد جعلهم يتسرعون برد لم يكن له ما يبرره !

وعاد دكتور ميللر ليطلب من الناس أن يأخذوا انفاسا عميقة ، وان يداوموا عليها دقائق عدة ، بينما أكفهم متشابكة ، ثم سألهم بعد التدريب ان كانوا يشعرون حقا بشيء غير عادي ، وفي هذه المرة اجابوا جميعا وبدون استثناء ، وبشعور حقيقي : نعم .. نعم .. نحس بنبضات غريبة في أصابعنا ، وكأنما هي تأكلنا ، أو كأنما تنطلق فيها كائنات جد صغيرة !

لكن .. ماذا يعني ذلك حقا ؟.. وهل ادت التجربة ما هو مطلوب منها ؟

نعم .. فهي من وجهة نظر دكتور ميللر ، ومن وجهة نظر المعتقدين في وجود قوى خفية في داخلنا ، قد شعروا فعلا بظهور هذه « القوى » في أطراف اصابعهم ، ولقد ظهرت السعادة على وجه الرجل ، وعلى وجه الناس ، عدا قلة قليلة مطت شفاهها سخرية وازدراء لهذه الخدعة التي جازت عليهم .

صحيح ان شيئا غير عادي قد حل بأصابعهم ، لكن ذلك لا يعني دليلا أو برهانا على قوة خفية يزعمونها ، بل أن ما حدث أمر طبيعي ، فالتنفس العميق « يغسل » الدم أو يخلصه من غاز ثاني أوكسيد الكربون بكفاءة أعلى ، وهذا من شأنه أن يغير التوازن الايوني الكائن في الدم أو السوائل التي تنساب بين الخلايا ، فيؤدي الى تغير في كفاءة التنبه أو النشاط العصبي ، وينتج عن ذلك شعور بوخز خفيف في النهايات العصبية لاطراف اصابعنا ، وكأنما هناك شيء غامض يسري في أنسجتها .

اي كأنما دكتور ميللر يقلب الحقيقة العلمية التي كان يجب عليه أن يعرفها ، الى نوع من الوهم الذي يسيطر به على عقول العامة ، ويوحي به اليهم ان هناك بالفعل قوة خفية ، وان هذه القوة تظهر بدرجات كبيرة عند بعض الناس ، فتنطلق منهم لمعالجة بعض المرضى !

وطبيعي ان الكتاب غير العلميين مع عامة الناس يثقون ثقة عمياء فيما يقوله احد رجال العلم عن عمد أو جهل بظاهرة يعرفها العلماء والاطباء حق المعرفة ، ثم نرى الكتاب الذين يكتبون عن هذه الظواهر يرجعون ذلك الى العلم ، مع أن العلم بريء مما يدعون !

ويذهب دكتور ميللر الى ابعد من ذلك ، ويدعى أن زميلته دكتور أولجا وورول ـ وهي حاصلة فعلا على درجة الدكتوراه ، لكنها ممثلة من الدرجة الاولى في هذا المضمار ، ويعتبرها منظمو الندوة انها أشهر المعالجات الروحانيات ـ قد امتلكت هذه القدرة الفذة ، وانها اذا صلت ودعت للنباتات ـ حتى ولو كانت تبعد عنها مئات الاميال ـ فان نموها يزيد بمقدار ٨٤٪ .. ثم شرح للحاضرين كيف يتأثر نمو البذور عندما تروى بماء تتسلط عليه قوى مغناطيسية من مغناطيس قوي ، أو عندما ترسل اولجا قوتها الخفية خلال هذا الماء من يديها ، وعندما سأله أحد الحاضرين سؤالا محرجا ، طالبا منه أن يقدم الدليل على ذلك ، تراجع دكتور ميللر وقال : ان نتائجه في هذا المضمار ليست واضحة احصائيا ، وتحتاج الى مراجعة لتثبت صحتها !

وكانت هذه الاجابة غير المقنعة دليلا كافيا على بطلان ما يدعون .

ظاهرة كيرليان والطاقات الخفية

والواقع ان الذين يتعلقون بالخرافات ، لا تخونهم الوسيلة العلمية لربطها بما وقر في نفوسهم من تصورات ، ومن هذه الوسائل تبرز ظاهرة التصوير الكيرلياني (نسبة الى الروسي سيمون دافيد وفيتش كيرليان) التي اتخذها أدعياء العلم اداة ليبرهنوا بها على وجود قوى خفية تكمن في الكائنات الحية ، وان هذا النوع من التصوير يمكن أن يبرزها بوضوح على أفلام حساسة .

ولقد قيل عن التصوير الكيرلياني ، وربطه بالطاقات الخفية ، أو الهالات النورانية ، الشيء الكثير ، ولعب الخيال فيه دورا

عظيما ، ففي « **ارواح واشباح** » لانيس منصور ، والمنقول عن مؤلفات غير علمية ، تجد مادة غزيرة عن هذه الظاهرة .. فتراه مثلا يذكر في احدى الفقرات « وفي سنة ١٩٦٥ نشرت المجلات العلمية في امريكا وفي روسيا أيضا صورا فوتوغرافية للنباتات ، وحول هذه النباتات هالات من الضوء .. ولكن بعض العلماء نشر صورا لنباتات قد قطعت أوراقها ، ولوحظ أن هناك « نزيفا من النور » يخرج من الاماكن التي نزعت منها الاوراق .. ونشرت صور لنباتات في حالة « خوف » ، أو عندما تقترب منها الفراشات التي تحمل حبات اللقاح ، ومن الغريب أن « الهالة » التي تحيط بهذه النباتات تختلف في شدتها ... الخ » .

وفي فقرة اخرى يذكر « هذا الذي اراه بركانا من الدم .. سيولا من النار .. السنة من اللهب .. مع أن الذي فعلته ليس أكثر من أنني مررت بسكين على هذه الاشياء الصغيرة » .. وهذه العبارة ينسبها لكيرليان .. « أما الذي رآه فهو مجموعة من أوراق الشجر وأوراق الزهر قد مزقها بيديه ، ثم سجل بالكاميرا هذا الذي فعله .. ان الاوراق تنزف الوانا حمراء .. والورود تسيل دما قانيا ـ الوانها هكذا .. وذهب علماء لا يصدقون كريليان (وصحتها كيرليان) واستدعوه الى كليات متعددة ، وعزلوه تماما عن كل الناس ، وطلبوا اليه أن يصور أجسام البشر .. فما الذي رأوه ؟ .. لقد رأوا أن الجسم الانساني تخرج منه السنة من الالوان المتداخلة .. الاحمر والازرق والاخضر والدموي .. واغرب من ذلك أن هذه الالوان لها شكل واحد .. انه شكل الجسم الانساني .. وهذا الشكل يحيط بالجسم الانساني وقريب منه .. وقد دلت الصور التي أخذت لبعض الموتى بعد الوفاة بساعات : أن هناك شكلا ضوئيا ملاصقا للجسم وقريبا منه ، ويظل هذا الشكل الضوئي ، أو هذا الغشاء المضيء موجودا بعض الوقت .. ثم يختفي تماما » .

وفي كتاب « القوى الخفية » يذكر أيضا أن كيرليان وزوجته استطاعا أن يطورا أدوات التصوير ، ويصوران بها النباتات ، فيجدان هالة حول كل نبات .. « واذا قطع غصنا من شجرة ، ثم صوره ، فانه يجد مكان الغصن ينزف نورا .. كأنه جريح أو كأنه ذبيح أو كأنه يبكي ... » ثم يقول « وفي الاحاديث أيضا أن النخيل تبكي ، والعلم الحديث والتصوير الحديث يؤكدان هذا المعنى تماما » ... الخ .. الخ .

والواقع أن العـلم الحديث قد ادحض كل هذه الافتراءات والتصورات الغريبة ، لكن مما يجذب الانتباه أن اقحام العلم والعلماء في هذا المجال هو نوع من التمويه والخداع ، ونرى ذلك بوضوح أيضا في كتابات **عبد الرزاق نوفل** ، ففي كتابه « **من أسرار الروح** » يتعرض لمسألة طبية معروفة ، وهي تتلخص في أن بعض الاشخاص الذين بترت لهم ساق أو ذراع قد يحسون بوجود ألم في الجـزء المبتور ، رغم أن هذا الجزء غير موجود .

ولكي ندرك سر هذه الظاهرة الغريبة ــ والتي لها ارتباط وثيق بموضوعنا ــ كان لزاما علينا أن نقدم فقرة أو فقرتين « من أسرار الروح » ، فيذكر عبد الرزاق نوفل « لقد أكدت الابحاث العلمية والمعملية في عصرنا الحاضر ، بل وفي أيامنا هذه وجود الجســد الاثيري .. وخصوصا بعد موت الجسم الترابي .. فمنذ عشرات السنين والاطباء والعلماء في حيرة مما لاحظوه على من بترت بعض أعضائهم .. انهم بعد بترها أو فقدها يحسون بوجودها احساسا لطيفا هادئا ، ولكنه قوي واضح ، واعتبر الاطباء أن هذا الاحساس انما هو من الافتعالات النفسية ، ومن الاحساسات العصبية ، وانه من ضمن تأثير العضو على الانسان قبل فقده وانه يظل لفترة وهو تحت سيطرة هذا الاحساس .. الا ان الاطباء وقد وضعوا هذه الملاحظات تحت التجريب المعملي ، وتحت المشاهدة والمتابعة ، وجدوا ان هذا الاحساس لا يزول ولا يخبو ، بل يظل معهم طول حياتهم ، والى أن تنتهي أعمارهم .. ولما تعددت هذه الملاحظات ،

واثبتها الاطباء من مختلف جهات العالم ، ووضعت المستشفيات التقارير العلمية لهذه النتائج ، وكانت هذه احد الدوافع التي أدت بالعلماء في الاتحاد السوفييتي لدراسة اثر البتر الجزئي على المادة الكاملة ، فتوصل العالم البيولوجي السوفييتي كيرليان الى استحداث جهاز ضوئي بدأ الدراسة به على النبات ، فعرض ورقة نبات كاملة على الجهاز وصورها ، ثم قطع ما يوازي ثلث مساحة الورقة ، واخذ لها عدة صور ضوئية .. فظهرت الصورة كاملة من الناحية الضوئية .. بها الاجزاء الموجودة في الورقة ، وبها الجزء المقطوع في مكانه ، وانما تختلف صورة هذا الجزء غير الموجود عن باقي ورقة النبات ... وقد واصل كيرليان أبحاثه مع مساعديه ، وبعد تطوير أجهزته لمدة خمسة وعشرين عاما ، وصل بعدها الى حقيقة تقول : بالنسبة للاجسام الحية نتمكن من رؤية الحالة الداخلية للتركيب العضوي منعكسة على لمعان وعتمة ، والوان هذه الالتماعات ان النشاط الداخلي للكائن الحي مسجل على هذه الاضواء الهيروغليفية (هكذا !) .. ولقد توصلت حتى الان الى ابتكار جهاز يسجل هذه اللغة الضوئية ، لكننا نحتاج الى عون الاخرين حتى نستطيع قراءة هذه اللغة » !

هذا ما ذكره المؤلف في كتابه ، ثم يستطرد فيقول « هذا ما جاءت به الانباء العلمية التي نشرت مؤخرا .. لقد اظهرت الاجهزة المادية (!!) التي تعلن الحقائق بالصور ان للانسان جسمه الاخر ومن مادة أمكن تصويرها حيث استجابت لاشعة خاصة اظهرتها مضيئة .. هذا هو الجسد الاثيري الذي أمكن لعلماء الروح اثبات وجوده بأدلتهم العقلية والمنطقية وعن طريق اتصالاتهم بالوسطاء ... وبأرواح الموتى .. أن جسد الروح أثيري .. اما هي فمن نور .. ولقد تابع كثير من علماء البيولوجي في أنحاء مختلفة من العالم أبحاث العالم كيرليان ، وربطوا بينها وبين ما سبق أن قرره الدكتور والتر كلنر بمستشفى سانت توماس بلندن من صحة ما يتردد على الالسنة من وجود هالة تحيط بالجسم الانساني ... اذن لقد ثبت

ان السحابة الضبابية أو الهالة التي كان يرسمها الانسان في العهود القديمة حول الاشخاص المقدسين والتي تحيط بهم ، ثم اكتفى برسم هالة تحيط برؤوسهم من أعلاها في العهود الحديثة انما هي حقيقة علمية .. اثبتها واكدها .. وصورها العلم الحديث .. ان العلماء العلميين يقررون أن هناك ثورة في علم الاحياء وعلم النفس.. فكل هذه الدراسات ، وكل هذه البحوث انما تؤكد وجود طاقة من نور .. واصل من ضوء .. ليس مصدره بالقطع الجسم الترابي ، ولكنه الروح .. اذن لقد اثبتت الابحاث المعملية والخاصة بفروع البيولوجي والكهرباء » .. الى اخر هذه الشطحات التي تستحق كتابا كاملا لدحض ما جاء بها من افتراءات على العلم والعلماء .

والى هنا نكون قد وصلنا مع عبد الرزاق نوفل الى ما وصل اليه انيس منصور عن وجود هالات تحيط بالاجسام ، وانها تظهر بالتصوير الكيرلياني ، وان العلماء قد أكدوا هذه الحقائق واثبتوها .. الخ ! .

لكن الغريب حقا أن الكتاب غير العلميين يحاولون بشتى الوسائل أن يربطوا بين خرافات قديمة ، وبين نظريات العلم المختلفة ، ليوهموا القراء بأن هذه الخرافات قد حققها العلم ، واظهر انها ليست خرافة ، بل حقيقة علمية لها وزنها .

مزاعم مدحوضة من الاساس

على انه من الاوفق هنا أن نفند بعض هذه الخرافات في نقاط نمر عليها سريعا ، ليتبين لنا الغث من السمين .

* فالعالم البيولوجي السوفييتي كيرليان ــ الذي سبق ذكره بتلك الصفات ــ ليس عالما ولا بيولوجيا .. بل هو فني لاصلاح الاجهزة الكهربية ، ولقد دعي في أحد أيام عام ١٩٣٩ لاصلاح جهاز في معهد طبي محلي في مدينة كراسنودار الواقعة قرب البحر الاسود ، وتصادف ان شاهد ومضة ضوئية صغيرة تقفز بين الجهاز وبين

المريض ، ومن هذه الملاحظة بدأ في فهم الفكرة ، ثم حورها في تصوير أشياء كثيرة على أفلام حساسة ، فأعطته صورا غريبة .

* لا يوجد في مجال العلوم ما يسمى بالاضواء الهيروغليفية ، ونخشى أن يكون قد خلط بينها وبين التصوير الهولوغرافي Holography الذي يستخدم أشعة الليزر .. وحقيقة الامر أن العلماء يتعاملون مع الاضواء على أنها موجات كهرومغناطيسية لها ترددات مختلفة ، واطوال تقاس بوحدات القياس المعروفة ، ولا ندري هنا ما هو المقصود حقا بالضوء الهيروغليفي !

* في فقرة أخرى يجيء « لقد أظهرت الاجهزة المادية » ـ ولا ندري ما هو المراد بأجهزة مادية الا أن يكون المؤلف يريد أن يدخل في روعنا أن هناك أجهزة غير مادية أو روحانية أو اثيرية .. فالاجهزة شيء ملموس على اية حال ، ولا يحتاج الى هذه الصفة الغريبة .

* لا يوجد في مجال العلم الان شيء اسمه الاجسام الاثيرية ، ولا الاثير نفسه ، ذلك أن هذه الكلمة كانت افتراضا قديما لشرح نظرية الضوء ، لكن البرت اينشتاين دحض هذه المزاعم من خلال نظرية النسبية الشهيرة .

* الوصف الذي نقل عن كتاب اجانب غير علميين محرفا او نصا في الكتب التي صدرت عندنا عن ظاهرة التصوير الكيرلياني لا يمكن أن نجده في المراجع العلمية الجادة ، بل هو من ذلك النوع الاسطوري الذي يوحي للعامة بوجود ظواهر غير عادية ، فيثير ذلك خيالهم ، ويشحذ أفكارهم ، ويعود بهم الى ظنون خرافية قديمة مثل الهالات والاشباح والارواح وما شابه ذلك .. فالمرجع العلمي مثلا لا ينشر وصفا يقول « هذا الذي أراه بركانا من الدم .. سيول من نار .. ألسنة من اللهب » ... الخ فهذه لغة انشائية لا علميـة !

* ليست هناك علاقة بين الاحساس بوجود الاجزاء المبتورة من الجسم وبين التصوير الكيرلياني وظهور الهالات في الاماكن المقطوعة من النبات أو الحيوان ، والذين حاولوا ربط هذا بذاك ، انما يريدون التوصل الى ما وقر في العقول من أساطير ليس لها في مجال العلوم مكان ، أو هم لا يدركون حقيقة ما يكتبون ، أو قد يدركونها ، ولكنهم يلفقون ويضللون باسم العلم ، لنشر مزيد من الخرافات على حساب العلم المفترى عليه !

فحقيقة شعور الانسان الذي بترت ساقه أو ذراعه ، تتجلى لنا في هذه الواقعة التي ذكرها لنا فيتوس دروشر في كتابه القيم « سحر الحواس » .. وهو كتاب يتناول أهم الاكتشافات الحديثة في المدركات الحسية للانسان والحيوان ، فيقول أن شابا يبلغ من العمر ٢٧ عاما ويدعى جون موليجان كان دائم الشكوى والبكاء وهو يرقد في المستشفى الجامعي بشيكاغو ، وسبب بكائه هو الشعور بآلام قاتلة في بطن رجله وأصابعه ، وظل أياما وهو يستعطف الجراحين بضرورة بترها عله يتخلص من آلامه التي لا تفيد فيها العقاقير ولا المسكنات .. لكن الشيء المثير والغريب حقا أن قدم الشاب التي تعذبه لم تكن في الحقيقة موجودة . فلقد بترت منذ سنين عدة !

اذن .. كيف نفسر هذه الظاهرة ؟.. هل « روح » قدمه قد عادت لتظهر على هيئة « هالة » حول الجزء المبتور ، فتشعره بوجودها أو آلامها ؟.. أو هل تجسدت القدم المبتورة ، وعادت الى صاحبها من الدار الآخرة ؟ !

الواقع أن هذه الظاهرة أحيانا ما تتكرر مع من بترت بعض أطرافهم ، والعلماء والاطباء يعرفونها تمام المعرفة ، والقول بأن الاطباء قد لجأوا الى كيرليان للبحث عن سرها انما هو — من ناحية — تضليل ، ومن ناحية أخرى سبة للاطباء ، وقذف في حقهم .. فهذا الالم الناشيء ، والذي يعرف بالالم الكاذب أو « الالم الشبح » — كما يسميه دروشر في كتابه ، له في الواقع ما يبرره .. فمع ان القدم

مبتورة من زمن ، الا أن عملية البتر قد تركت ندبة أو ندبا في نهاية الساق ، وأن الاعصاب الحسية التي كانت تغذي القدم لا زالت موجودة في الندبة أو النسيج الجديد المتكون حول الجزء الذي حدث عنده البتر (يعرف بالجدعة) ، وأحيانا ما يتقلص نسيج الجدعة ببطء ، وعندئذ يحدث تهيجا في النهايات العصبية الموجودة فيها ، فترسل هذه نبضات عصبية الى المخ ، والمخ بدوره لا يستطيع أن يميز بين هذه النبضات الواصلة من الجدعة ، وبين النبضات التي كان يتلقاها قبل ذلك من القدم قبل عملية البتر .. فالنبضة العصبية هي نبضة على أية حال ، سواء جاءت من الم في الجدعة ، أو الم في القدم المصابة !

لكن للقصة بقية .. فتهيج النهايات العصبية في الجدعة قد يكون ضئيلا للغاية ، ومع ذلك فالمخ يشعر بها ، ويفسرها على حسب الحالات النفسية التي تختلف من شخص الى اخر ، والتفسير دائما ينعكس على الشعور بوجود الم ، وفي حوالي ٣٠٪ من الحالات التي بترت فيها ساق أو ذراع أو قدم ... الخ ، قد يكون الالم شديدا ، وفي ٥٪ منها قد ينذر بالخطر ، لكن كل الدلائل تشير الى أن أصل الالم ينشأ من تشويش أو ارتباك في الارسال العصبي نتيجة للصدمة النفسية أو العصبية التي صاحبت العملية .. بمعنى أن الحالة النفسية هنا قد تأخذ مبدأ المبادرة ، وتؤثر على الحالة الجسدية ، فتجسد الآلام الخفيفة ، وتجعلها كبيرة ، أو تذهب الى أبعد من ذلك ، وتعطي الاحساس بأن الآلام واردة من الجزء المصاب ، رغم ان هذا الجزء مبتور ! .

لكن مما لا شك فيه أن العلم دائما يحاول أن يستكشف ويدرك ، ثم يطبق التطبيق السليم الذي قد يريح البشرية من آلامها ومعاناتها ، ففي حالة جون موليجان مبتور القدم ، أمكن لجراح المخ الشهير لاس ايجلتون أن يثقب ثقبا ضئيلا في جمجمة الشاب ، ومن خلال هذا الثقب أرسل موجات فوق صوتية لتدمر جزءا محددا وصغيرا يقع فيما يسمى بمنطقة مهاد المخ ، وبعد سبع جلسات من

هذا العلاج ، اختفى الالم تماما ، ويرجع ذلك الى أن تلك المنطقة الخاصة ـ في المهاد ـ والمكلفة باستقبال الاشارات العصبية من القدم أو من الجدعة (اثر العملية) قد دمرت ، فلا يصبح للاشارات العصبية معنى ، فيلغى هذا الشعور المؤلم تبعا لذلك .. أو قد تزرع سلوك جد رفيعة في الاعصاب الواصلة بين الجزء الذي يبعث باشارات الالم ، وبين المخ ، وبواسطة نبضات كهربية خارجية وضعيفة ، يمكن التشويش على الاشارات العصبية ، فلا يستطيع المخ لها ترجمة ولا ادراكا ، وهنا يختفي الشعور بالالم .

والموضوع بعد ذلك متشعب وطويل ، لكن فيما قدمنا فأوجزنا الكفاية ، وليتبين لنا التفسير العلمي السليم ، ثم التطبيق الصحيح، ثم لندرك كيف يضلل الكتاب غير العلميين ـ في الداخل والخارج ـ عامة الناس ، ويشوهون الحقائق العلمية لتتمشى مع ما وقر في العقول من خرافات قديمة وحديثة .

الهالات النورانية .. ظاهرة طبيعية * !

ولا بد أن نأتي بعد ذلك الى تفسير نقطة مهمة اتخذها محبو الخرافات والاساطير دليلا على انماط أفكارهم الخاطئة .. وعلينا أن نسترجع ما ذكرناه في الصفحات السابقة ، اذ ارتبطت فكرة الهالة التي تحيط بالاجسام بفكرة التصوير الكيرلياني ، بفكرة الروح ، بفكرة القداسات والكرامات .. وكل هذه الافكار أخطاء لا بد من تصحيحها ، ثم الرجوع فيها الى الاصول العلمية ، وربط الاسباب بالمسببات ، بدلا من هذا الخلط الذي ليس له أساس .

فظهور الهالات على رؤوس القديسين وأصحاب الكرامات تختلف عن الهالات التي تظهر في التصوير الكيرلياني .. أضف الى ذلك أن الفكرة السائدة عن ظهور هالة من نور حول راس انسان ،

---

* سبق أن نشرنا جزءا من هذا الموضوع في **مجلة العربي** ـ ٢٢٤ ، ١٩٧٧ ، ٢٣٠ ، ١٩٧٨ ، ونحن نكتبه هنا بشيء من التصرف والتحوير ليناسب موضوع هذا الكتاب .

ليست دليلا على صلاح أو تقوى ، ولا هي معجزة أو كرامة ، ولا هي دليلنا الى الروح التي يقحمونها في البحوث العلمية بدون وجه حق .

ان الهالات التي رسمها الرسامون حول رؤوس القديسين منذ أمد طويل قد لا تكون من وحي الخيال ، اذ أن هذه الهالات قد تظهر على رؤوس بعض الناس تحت حالات خاصة ، ولما راى الاخرون ظهورها ، ظنوها معجزة وكرامة !

لكن هذه الظاهرة المحيرة لا شأن لها بقديسين ، ولا ولايات وكرامات ومعجزات ، لانها قد تظهر أيضا فوق رؤوس الحيوانات ، وهامات النباتات ، أو صواري السفن ، أو القباب العالية .. الخ ، ولقد استطاع العلم تعليلها ، بعد أن عرف الاسباب الكامنة وراءها ، ولهذا انتفت معجزتها .

اذن .. ما هي طبيعة هذه الهالات النورانية ؟.. وكيف تظهر وتتجلى ؟

دعنا نبدأ القصة من أولها ، لنعرف ما خفى من أمرها .

يقص علينا ن. كولويكوف في كتابه « محيطنا الفضائي » ان مجموعة من متسلقي الجبال الروس كانوا في طريقهم الى احدى قمم جبال تيين شان ، ثم بدأ الجو يكفهر ، والغيوم تتراكم ، وضوء الشمس يحجب ، والبرق يبرق ، والرعد يزمجر ، وعندئذ صاح احدهم محذرا رفيقه : احترس .. ان « النار » فوق راسك !

وكان في ذلك على حق ، لكنها لم تكن نارا بمعنى الكلمة ، ولا هي بحارقة ، بقدر ما كانت ومضات من ضوء تقفز من ثنايا شعره ، وفي اللحظة ذاتها بدأت الرؤوس الاخرى تحاط بالظاهرة نفسها ، وكأنما كل رأس قد لبست هالة من ضوء ، لكن الاغرب من ذلك أن شيئا يشبه الشرر كان يقفز من أصابعهم ، وكأنما هي تكاد تضيء ، ولو لم تمسسها نار !

وفي يوم ٦ يوليو عام ١٩٥٠ ، وبينما كانت جماعة أخرى من متسلقي الجبال على ارتفاع ٣٨٠٠ متر من سطح البحر ، لاحظوا أن قمم الصخور كأنما تلبس هالات من نور ، وعندما وصلت الجماعة الى نقطة معينة ، لاحظت قائدها ف. راتسيك وقد ظهرت حول راسه هالة مثيرة ، ثم انتشرت هذه الظاهرة على رؤوسهم جميعا ، وبدات شعورهم تقف وتتباعد وتتنافر ، وبدات فروة رؤوسهم تضايقهم ، وكأنما هناك شيء يشد الشعر من جذوره ، وعندما عادوا من مهمتهم بسلام ، أطلقوا على قمم تلك الجبال اسم « اليكترو » ـ اي قمم الكهرب .

وطبيعي أن معظم متسلقي الجبال في وقتنا الحاضر يعرفون سبب هذه الظاهرة ، ويطلقون عليها تعريفا قديما ، وهذا التعريف تراه موجودا في كل المراجع العلمية التي تتناول الظواهر الجوية ، ويسمى « نار القديس ايلمو » St. Elmo's Fire .. فما هي قصة ذلك القديس وناره أو نوره ؟ .

في عام ١٥٢٠ كان احد البحارة الايطاليين يدون مذكراته عند ما انضم الى بعثة ماجيلان الشهيرة في المحيط الهادي ، اذ يجيء في مذكراته هذه الفقرة التي ننقلها نصا « لقد ظهر لنا القديس ايلمو مرات عديدة ، فذات ليلة حالكة الظلام ، ظهر لنا على هيئة نار موقدة في اعلى الصاري الاساسي للسفينة ، فاطمانت قلوبنا لذلك كثيرا ، بعد ان كنا نبكي بحرقة انتظارا لمصيرنا المحتوم من جراء عاصفة هوجاء .. اذ عندما يظهر هذا النور على اية سفينة ، فان ذلك يبشر بنجاتها من الغرق » !

وللقديس ايلمو كنيسة مشهورة باسمه في ايطاليا ، وقد عاش هناك حوالي ٢٠٠ م ، وأحيانا ما كانت هذه الهالة تظهر على قمة الكنيسة كلما تهيات الظروف الجوية لذلك ، ولما راى البحارة الظاهرة ذاتها على قمم صواري سفنهم منذ مئات السنين ، كانوا يتباركون بها ويستبشرون ، فهي دليل على ان « روح » القديس قد حضرت ، وان الرحلة ستكون مباركة ، ولهذا اعتبره القدامى « حارس كل بحارة البحر الابيض ومنجيهم من الاخطار » !

لكن الظاهرة كانت اقدم من ذلك بكثير ، فالرهبان والمتصوفون الذين كانوا يعتزلون الناس ، ويلجأون الى صوامعهم فوق الجبال والتلال ، كانوا عرضة لهذه الظاهرة الغريبة كلما تهيات الظروف الجوية لذلك ، ولما راى الناس هذه الهالات المضيئة ، ولم يستطيعوا لها تعليلا ، بدأوا في اختلاق المعجزات والاساطير الدالة على كراماتهم .

واحيانا ما كانت الهالة ذاتها تظهر على شجرة ، فتتوهج وكأنما هي تكاد تحترق ، ولهذا يذهب علماء الظواهر الجوية والطبيعية الى القول بان ما جاء في العهد القديم والجديد من رؤية موسى لشجرة على الجبل ، وهي تكاد تحترق او تضيء ، ربما كان ايضا ناشئا من هذه الظاهرة !

وظاهرة نار او نور القديس ايلمو لا زالت موجودة حتى الان ، وكثيرا ما خدعت بعض الطيارين ، فابلغوا عن وجود حرائق وهمية تكاد تمسك بهامات الاشجار في الغابات ، ثم تبين فيما بعد أن ما ظنه الطيارون نارا أو حريقا ، لم يكن ــ في الحقيقة ــ الا نار القديس المذكور ، رغم انه بريء مما يدعون ، لان الظاهرة لا ترجع اليه بقدر ما هي ظاهرة طبيعية .

التفسير العلمي للهالة الطبيعية

ان الهالة التي تتجلى على أي شيء قائم او بارز أو مرتفع ، انما ترجع الى الكهرباء الجوية ، فكما ان هذه الكهرباء تتخذ صورة البرق بعد عملية تفريغ مفاجئة بين الشحنات المختلفة الكامنة في أجزاء متفرقة من السحب ، فان هذه الكهرباء قد تتخذ صورة أخرى على هيئة كهرباء استاتيكية أو مستقرة ، اي انها لا تسرى كما يسرى التيار الكهربي المعروف لنا جميعا ، وهذا النوع من الكهرباء المستقرة ليس بضار في أغلب الاحيان ، فكل انسان يستطيع أن يكتشف هذه الكهربية في قميص من الالياف الصناعية (النيلون والرايون وما شابه ذلك) ، فاذا نزع القميص من على الجسد ،

فان حركة نسيجه تعطى « طرقعات » خفيفة ومسموعة ، وهذه تعني تفريغ الشحنات الكهربية التي اكتسبتها الياف النسيج من الجسم الحي ، واحيانا ما ينجذب القميص الى الجسم العارى اذا كانت المسافة بينهما بضعة سنتيمترات ، كما يمكن مشاهدة شرر دقيق ينطلق من القميص في الظلام الحالك ، وتكون العين قد تهيأت لفترة للرؤية في الظلام .

ثم ان مثل هذه الهالات التي ظهرت وتظهر على رؤوس القديسين ، أو قمم الاشجار والمآذن والكنائس ، ويعتبرها الناس معجزة ، مثل هذه الامور يمكن اظهارها أو تكرارها في المعامل ، فصورة الفتاة المنشورة هنا (شكل ٦) ، والتي يظهر فيها شعرها متباعداً ومنفوشا وكأنما هو يضيء ، انما كان بفعل كهرباء استاتيكية . . كل ما هنالك أنها تقف بمعزل عن الارض ، ثم تضع يدها على مولد قوي للكهرباء الاستاتيكية ، فاذ بجسمها يشحن بما يزيد على المليون فولت ، ومع ذلك لا تشعر الا بوخز خفيف (أو تنميلة بسيطة على حد تعبير العامة) ، وما دامت الشحنة الكهربية واحدة ، فان كل شعرة تكتسب نفس الشحنة ، ولهذا تتنافر الشعرة مع الشعرة (لان الشحنات المتشابهة تتنافر) فتبدو الفتاة بمثل هذا الشعر الغريب !

ويمكن توضح ذلك ايضا بلعبة معملية طريفة ، فهناك مثلا جهاز صغير لتوليد شحنة كهربية ، ثم توصيلها الى كرة معدنية معزولة ، ثم اذا اتيت ـ بعد ذلك ـ بعدد من كور تنس الطاولة (البنج بونج) ، وعلقتها ـ كل في خيط مستقل ـ ثم قربتها من الكرة المشحونة لتلمسها ، فانها تكتسب الشحنة ذاتها ، وتحتفظ بها على هيئة كهربية ساكنة ، ومن ثم يحدث تنافر بين الكرة المعدنية وبين الكور المعلقة ، ثم يظهر تنافر اخر بين كل كرة واخرى لها نفس الشحنة ـ كما هو موضح بالصورة المنشورة (شكل ٧) .

لكن البحوث المعملية تنتقل عادة الى حيز التطبيق ، فالطائرة التي تراها في الصورة (شكل ٨) وكأنما النار قد اشتعلت في

محركاتها وجناحيها وذيلها وراسها ، ليست ـ في الواقع ـ نارا حقيقية ، بل هي توضح لنا ظاهرة القديس ايلمو ، أو بمعنى أدق : توضح ظاهرة من ظواهر الكهرباء الاستاتيكية أو الساكنة . . صحيح ان هذه الطائرة ليست محلقة في الجو ، ولا هي طائرة حقيقية ، انما هي نموذج مصغر لطائرة مشحونة بكهرباء مستقرة ، فظهر عليها هذا الوهج أو الهالة المثيرة ، لكن العلماء هنا لا يتسلون ، ولا يريدون اثبات ان ظاهرة القديس ايلمو ليست الا نوعا من الكهرباء الساكنة ، انما هم يقومون بهذه التجارب لان بعض الطيارين قد قرروا انهم ـ تحت ظروف جوية خاصة ـ شاهدوا هذه الهالات العجيبة وهي تحيط بطائراتهم اثناء تحليقها في الجو ، وان هذه الكهربية كانت تحدث تداخلا في أجهزة الاتصال ، كما أنها قد تصبح هدفا مباشرا لعملية تفريغ مفاجيء من شحنة مضادة ، وقد يؤدي ذلك الى احتراق الطائرة ، ومن هنا انبثقت بحوث العلماء علهم يتجنبون هذا المصير .

فهناك مثلا حادثة مشهورة وقعت للمنطاد « هندنبيرج » الذي عبر المحيط الاطلنطي بنجاح في مايو عام ١٩٣٧ ، وعندما توقف بسلام في مطار « ليكهيرست » بأمريكا ، اشتعلت فيـه النيران بسبب تسرب غاز الايدروجين ، واختلاطه بالاوكسيجين ، ثم حدوث شرارة من الكهرباء الساكنة على المنطاد ، فأدى ذلك الى اشتعاله وتدميره ، ولهذا احتاط العلماء للامر مع حاملات البترول الضخمة ، فزودوا خزاناتها بوسائل خاصة ، لتفرغ الكهرباء المتجمعة عليها ، حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه .

والواقع ان هذه الظواهر نادرة الحدوث ، وهي تتطلب ظروفا جوية خاصة تساعد على توليد الكهرباء ، لتشحن بها جزيئات الهواء ، وقد تلامس تلك الجزئيات انسانا معزولا عن الارض ، كأن يكون واقفا أو جالسا على مقعد خشبي ، أو مرتديا لحذاء عازل ، فتتجمع هذه الشحنات فيه ، ولا يزال يستقبلها حتى يصل الى

الدرجة التي يظهر فيها وكأنما النار تشع منه ، أو كأنما هناك هالة نورانية تجذب اهتمام الانسان ، وتثير خياله ، فينسج لها الاساطير !

ذكرنا ما ذكرنا ليتبين لنا كيف يحدث الخلط بين ظواهر مدروسة ومعروفة علميا ، وبين ما لا يزال عالقا في الاذهان من أوهام تنسب الى العلم ، ويقال أنه حققها وعاينها واعترف بها ليسلم الناس بهذه الخرافات تسليما .

عودة الى التصوير الكيرلياني

ان أخطر الامور التي يواجهها العلم ، هي الاستعانة بأدواته وتكنيكه لاستخدامها في مجالات التدليس والشعوذة ، ومن هذه الادوات يبرز التصوير الكيرلياني الذي يعطينا صورا غريبة ، والتي وصفها كيرليان بنفسه فيقول « تظهر على هيئة قنوات تفرغ فيها الشحنات ، فتتخذ اشكالا شتى على هيئة نقط أو هالات او توهجات ضوئية ذات تجمعات ساطعة ، وتبدو على هيئة الوان مختلفة مثل الازرق والارجواني والاصفر ، وقد تكون هذه الالوان واضحة أو شاحبة .. وعلى بعض قطاعات من الجلد تتوهج نقط بألوان زرقاء أو بلون الذهب ، كما أن بعض هذه التجمعات التوهجية قد تقفز من نقطة على الجلد الى نقطة أخرى ، حيث تمتص فيها .. » الخ .

ولا شك انك قد لاحظت ان هذا الوصف الذي جاء على لسان الرجل اكثر واقعية من الوصف الذي قدمناه على لسان بعض الكتاب ، وقلنا عنه انه لا يرقى الى النشر في المجلات العلمية المتخصصة ، لان أدعياء العلم قد التقطوا هذا الخيط ، وبدأوا في تحويره بما يتلاءم وأنماط تفكيرهم .. فالهالة او الاضواء ذات الالوان المختلفة التي تظهر أثناء التصوير ليست من القوى الخفية التي يزعمونها ، ولا هي هالة روحانية ، بل يرجع ذلك الى أمور كثيرة سوف نتناولها فيما بعد .

اذكر انني حضرت محاضرة في هذا المجال دعت اليها هيئة جامعية لها قدسيتها ووزنها ، وكان المحاضر ايضا أستاذا جامعيا ــ هو **الدكتور رؤوف عبيد** صاحب المؤلفات الكثيرة جدا في مسألة الروح ، والمنقولة أصلا عن كتب غير علمية ــ وكان أهم ما عرضه علينا صورا لارواح زعم انهم صوروها بآلات تصوير خاصة ، ومنها ــ بطبيعة الحال ــ التصوير الكيرلياني ، وثارت مناقشات ومجادلات كثيرة ، وقد اثارني ذلك اثارة فكرية شديدة ، فعدت لاقلب في كل مراجعي وفي دوائر المعارف العلمية والتكنولوجية ، علني اعثر فيها على شيء ذي أهمية ، فلم أجد مجرد اشارة لهذه البحوث الغريبة التي يزعمون أن لها أقساما ومعاهد ملحقة بأعظم الجامعات وارقاها .. كل ما هنالك انني وجدت بحوثا كثيرة عن علم النفس بشقيه : النظري والتجريبي ، وعلم الطب النفسي ، ولا نحسب أن ذلك مما يدخل في الروحية التي يدعون انها علم أصيل .

ان صورة الرجل « النوراني » المنشورة هنا (شكل ٩) من الصور النادرة التي وزعها ويوزعها أدعياء البحوث الروحية على انها لروح مجسدة تشع من « اكتوبلازمها » هالات من نور ، والاكتوبلازم ــ كما يزعمون ــ هي مادة الروح ، وليست الروح مادة على أية حال ، لكن الصورة توحي بذلك ، فماذا تعنى تلك الهالة ــ من وجهة نظر العامة الا انها لروح قد حضرت وتجسدت ؟ .

لكن الصورة ــ في حقيقة الامر ــ لرجل يدعى دكتور استرونج .. رجل حي بلحمه ودمه ، لكن هذه الهالة قد جاءت نتيجة لوقوف الرجل في مجال كهرومغناطيسي يبلغ تردده مليون سيكل ، أو فرق جهده قدره نصف مليون فولت ، ولقد التقطت هذه الصورة منذ اكثر من ستين عاما ، وهي نتيجة للكهرباء الاستاتيكية التي سبق الاشارة اليها ، ثم وقوع المادة تحت تأثير قوى كهرومغناطيسية أو موجات من الاشعاع ، فتؤثر فيها وتثيرها ، لتنطلق منها موجات ، وعندما تصطدم هذه الموجات بفيلم حساس من نوع خاص ، فانها تؤثر في الفيلم ، ويبدو الشيء وكأنما هو يشع بهالات

« نورانية » يكون لها في الاوساط غير العلمية تأويلات خاطئة ، كأن يرجعوها الى بعض البشر الذين أوتوا شفافية خاصة ، أو أولئك الذين تهيأوا للوساطة الروحية ، أو الذين يعالجون روحيا عن طريق القوى الخفية الكامنة في أجسامهم ، والتي قد تنطلق عن طريق أصابعهم الى المرضى .. الى اخر هذه الامور التي جعلت العلماء التجريبيين يبتعدون عن هذا المجال ، حتى لا يتهموا بما ليس فيهم ، تماما كما حدث في مجال التنويم ، فالتنويم ظاهرة معترف بها علميا ، وأحيانا ما تستخدم في المجالات الطبية والنفسية ، لكنها ــ مع ذلك ــ لا تلاقي ترحيبا في الاوساط العلمية ، لان هذا المجال قد انتقل من دائرة البحث العلمي الى المسارح ، وشاع في أوساط الدجالين والمشعوذين ، وهو ما اسموه بالتنويم المغناطيسي، مع انه لا ينتمي للمغناطيسية من قريب أو بعيد ، بل جاءت التسمية هكذا نتيجة لزعم خرافي خاطىء ، بل ان التنويم نوع من الايحاء والسيطرة على الوعي الانساني تحت ظروف خاصة ، لكن البعض اتخذه وسيلة لقراءة الغيب ، وشفاء الامراض ، والكشف عن المسروقات .. الى اخر هذه الادعاءات التي لا تجوز الا على أصحاب العقول الضعيفة !

والواقع ان هذا النوع من التصوير الكيرلياني ، كان من الممكن أن يتطور ويستخدم في المجالات العلمية المختلفة كوسيلة من الوسائل التي توضح حالات المادة ــ حية أو جامدة ــ وهي واقعة تحت تأثيرات طاقات ذات درجات متباينة ، وكان من الممكن أيضا أن يؤدي الى تقدم في العلوم البيولوجية والطبيعية .. الخ ، لكن العلماء هجروه عشرات السنوات ، وتركوا المجال لادعياء العلم يصولون فيه ويجولون ، ويؤكدون أنه من الممكن تصوير الارواح تحت حالات خاصة ، أو استخدام بعض ذوي القدرات أو الطاقات الخفية لعلاج المرضى ، وتصوير هذه الحالات أثناء العلاج ، وكان العلم في هذا المجال سلبيا ، لكنه عاد منذ سنوات قليلة ، وأراد أن يصحح هذه المفاهيم الخاطئة ، ويضع لنا النقط فوق الحروف .

بعض الصور المنشورة هنا تشير الى أن الظاهرة روحية ، او هكذا ادعى الذين التقطوا هذه الصور ليعرضوها في كتبهم التي البسوها ثوب العلم ، ومع ذلك ، فكل مادة تقع تحت جهد كهربي محدد ، تفرغ شحناتها على أفلام حساسة ، فتظهر على الافلام توهجات ذات أنماط مختلفة ، فاذا تغيرت طبيعة الشيء الذي يراد تصويره ، أو تغير نوع الفيلم الحساس ، أو اختلفت شدة المجال الكهربي ، تغيرت الظاهرة الكيرليانية تبعا لذلك .

هناك مثلا من جاءوا بصليب وصوروه بهذه الوسيلة ، فظهرت للصليب صورة وكأنما هو نوراني الصفات .. المسيحي العادي يعتبر ذلك معجزة ، لكن رجل العلم التجريبي الذي يدرك مغـزى هذه اللعبة ، لا يعترف كثيراً بمسألة المعجزات .. فالهلال أو الصليب أو النجمة أو الانسان أو أي كائن حي اخر ، أو أي شيء له بين الناس قداسة خاصة ، يمكن بخدعة ذكية (أو حتى غير ذكية تماما) أن يبدو أمام الناس بظاهرة غير عادية ، كان يضيىء مثلا في الظلام ، أو يبدو متوهجا ، أو تلتقط له صور في ظلمة تامة ، دون أن يستخدم في ذلك أي مصدر ضوئي كما هو الحال في التصوير العادي ، فاذ بالصور تبدو مضيئة أو كأنما هي تشع نافورات من اضواء ذات الوان شتى (شكل ١٠ أ ، ب ، ج ، د ، هـ) ولكل حالة من تلك الحالات تعليل ينبع من طبائع الاشياء .. لا من أهواء الناس !

فالصور التي التقطت لاوراق النبات (أو أي جزء اخر) وهي موضوعة تحت مجالات خاصة ، قد جاءت بهالات عجيبة على الافلام الحساسة .. ولقد اختلفت ألوانها ، وتعددت توهجاتها باختلاف الفيلم الحساس ، والفترة ألتي تعرض فيها لتفريغ الشحنات ، وشدة الشحنة المفرغة ... الخ .

هناك مثلا ثلاث وسائل للتصوير الكيرلياني نذكر منها واحدة فقط لصلة ذلك بالتقاط صور لاصابع الانسان ، مع أنها لا تختلف في المضمون عن الطريقتين الاخريين ، اذ يكفي أن يوضع طرف اصبع أي انسان على فيلم حساس ، وبحيث يكون سطحه الحساس

ملاصقا للاصبع أو قريبا جدا منه (ما بين ١٠ر٠ــ١ ملليمتر) ، أما السطح الاخر للفيلم فيرتكز على لوح عازل للكهرباء ، والعازل بدوره يتصل بقطب كهربي ذي فولت عال يتراوح ما بين عشرة آلاف الى مائة الف فولت (شكل ١١) .

وتؤخذ الصور دون اية مصادر ضوئية ، اذ تكفى الشحنة أو الشحنات التي تفرغ من الاصبع أو أي جزء من جسم الانسان أو النبات أو الحيوان ، في التأثير على الفيلم الحساس ، والانتشار فيه ، فتعطى صورا شتى .

والان يبرز امامنا سؤال مهم : هل هناك صلة بين هذه الهالات وعالم الروح أو الطاقات والقوى الخفية وبين التصوير الكيرلياني ؟.. وما هي طبيعة هذه الهالات التي تحيط بالصور المنشورة هنا ؟ .. وهل هي تنزف نورا او نارا ؟ .. ثم اذا قطعنا غصنا أو جزءا من ورقة نبات ، فهل يتجسد الجزء المقطوع ، ويظهر بدوره وكأنما هو ينزف دما ــ على حد ما جاء في الفقرات التي سبق أن قدمناها نقلا عن كتب غير علمية ؟

الواقع أن هذه الهالات لا تظهر الا من خلال تفريغ الشحنات الكهربية على الفيلم الحساس .. أي أن الهالة ليست نابعة من طبيعة الاشياء ، بل هي نتيجة حتمية لوضع الشيء في مجال كهربي ، فتقفز منه الاليكترونيات بموجاتها المصاحبة لها وتؤثر في الفيلم ، وهذا يعني أن هناك تفاعلا بين الشحنة التي قفزت وبين المواد التي تدخل في حساسية الافلام ، فاذا كان الفيلم ملونا ، نتج عن التفاعل الوان شتى ، يحسبها الناس نزيفا من الدم أو اية تصورات اخرى رديئــة !

بمعنى اخر نقول : انه لا علاقة على الاطلاق بين مسألة الروح وهذه الهالات ، كما أن الاجسام لا تنزف ضوءا ولا دما ، بل ان « النزيف » لشحنات جهزناها لهذا الغرض ، وهي الاساس فيما ظهر في الصور .

على انه من الممكن ايضا أن نظهر هذه الهالات عن طريق الحرارة التي تشع من الاجسام ، فالحرارة نوع من الاشعاع الذي لا تراه عيوننا ، وهذا الاشعاع نسميه الاشعة تحت الحمراء ، وهي تقع مباشرة فيما وراء حدود اللون الضوئي الاحمر الذي نراه في الوان الطيف ، فعيوننا مهيأة فقط لترى في حدود لا تتعداها ، اي انها تتأثر بموجات كهرومغناطيسية تتـراوح أطوالهـا مـا بـين ٠,٠٠٠٤ ــ ٠,٠٠٠٧ من المليمتر (وهذه هي حدود الضوء المنظور الذي ينعكس الى عيوننا فنرى به الاشياء ، فاذا زادت أطوال الموجات عن ذلك قليلا (اي تصبح اشعة تحت حمراء ونحس بها فقط كحرارة) ، أو نقصت قليلا (أشعة فوق بنفسجية) فاننا لا نرى هذه أو تلك ، بل يمكن رؤيتها بوسائل تصوير خاصة ، تستخدم فيها افلام خاصة .

لو اننا اتينا الى انسان نائم في ظلام حالك ، ووجهنا اليه آلة تصوير بالاشعة الحرارية أو تحت الحمراء ، فانها ترصد الحرارة المنبعثة من جسمه ، وتنقلها الى الفيلم الحساس ، فيتأثر بها ، وعند تحميضه تظهر حوله هالة غريبة ، تتركز حول جسمه ، ثم تخف شيئا فشيئا كلما ابتعدت عن الجسم (شكل ١٢) .. وهذا النوع من التصوير له تطبيقات شتى ، منها مثلا الكشف عن الثروات المدفونة ، أو أسراب الاسماك بطريقة الاستشعار عن بعد !

لكن هذه الظاهرة قد تحولت الى خرافة ، ونسبت زورا الى الارواح ، والدليل على ذلك هو ما جاء في كتاب « ارواح وأشباح » ، ففيه تجد تلك العبارة التي نعيد تسجيلها هنا « وقد دلت الصور التي أخذت لبعض الموتى بعد الوفاة بساعات ، ان هناك شكلا ضوئيا ملاصقا للجسم وقريبا منه ، ويظل هذا الشكل الضوئي ، أو هذا الغشاء المضيء موجودا بعض الوقت ثم يختفي تماما » !

ولا يخفى على لبيب ما تحمله هذه العبارة من مغزى خرافي ، فبعض الموتى قد تظهر لهم هذه الظاهرة اذا كانت أجسامهم اعلى حرارة من الجو البارد الذي يحيط بهم ، وعندئذ تشع منهم الحرارة

شيئا فشيئا ، الى أن تبرد اجسامهم ، وهذا الاشعاع هو الذي ينتقل الى الفيلم الحساس ويؤثر فيه ، فيظهر حول الجسد المسجى تلك الهالة ، لكنها لا تظهر في بعض الموتى اذا كانت أجسادهم أبرد من الجو المحيط بهم ، لان الاشعاع الحراري لا ينتقل ـ بطبيعة الحال ـ من الوسط البارد الى الوسط الساخن ، بل العكس هو الصحيح تماما !

اي أن لكل ظاهرة سبب ، ولكل أمر تعليل يتبع نواميس الكون والحياة ، لا ان نربطها بخزعبلات وقرت في العقول منذ زمن طويل ، ولا تزال .

ثم ان الذين يربطون بين احساس بعض من بترت ساقهم أو ذراعهم بوجود هذه الساق أو الذراع ، وبين صور أخذت لاوراق بترت منها أجزاء ، ثم اظهر التصوير الكيرلياني هذه الاجزاء المبتورة (شكل ١٣) ، ثم راحوا يؤكدون ان ذلك دليل على حضور « الروح » في الجزء المبتور ، او برهان على حقيقة الجسم الاثيري ، أو انفتاح على قوى خفية غير معروفة ، كل هذا وغيره ليس صحيحا بالمرة .. هذا ولقد سبق أن أوضحنا موقف العلم من احساس بعض من بترت سيقانهم بألم في الساق ، رغم ان الساق غير موجودة ، لكن .. ما هو التفسير الذي يوضح لنا سر ظهور جزء مبتور من الورقة رغم أنه غير موجود ؟ .

الواقع أن هذه الظاهرة ـ أو كما يطلقون عليها اسم « أثر الورقة الشبح » Phantom leaf effect لم يتوصل احد الى تحقيقها ، فعندما اعيدت هذه التجربة في الولايات المتحدة على نفس المنوال الذي اجريت به في روسيا ، لم يظهر أي اثر للجزء المبتور ، ومن هنا حامت حول حقيقتها الشكوك والشبهات ، وما دام الامر كذلك ، فان العلم لا يستطيع أن يقدم تفسيرا لشيء لم يتحقق ، وربما كانت الصورة الوحيدة التي ظهرت للورقة المبتورة بالتصوير الكيرلياني تنطوي على خدعة لشيء وقر في نفس من صورها ، أو قد يكون هناك آثار لجزيئات عضوية ، من الورقة قد تركت على الفيلم

الحساس ، وربما كانت هذه الجزيئات وسطا لانطلاق الشحنات الكهربية من خلالها ، فأدت الى هذه الظاهرة المشكوك في صحتها حتى الان .

ومثل هذه الصور الخادعة ـ التي لم يمكن تكرارها ـ كثيرة جدا ، ومجالها يتركز فيما يطلقون عليه اسم التصوير الروحي ، فعندما حاول بعض العلماء التدخل في هذا الامر بالوسائل العلمية المشروعة ، فشلت كل المحاولات ، بدعوى أن القادر على ذلك وحده هو المصور الروحي ، اذ أنه مهيأ دون غيره للوساطة الروحية ، أو على حد ما جاء في كتاب « القوى الخفية » بالحرف الواحد « ان الفرق بين المصور العادي ، والمصور الروحي ، كالفرق بين ماء الحنفية ، والماء الذي توضع فيه الصور لتظهر ملامحها ، فالماء العادي ليست فيه المادة القادرة على ابراز معالم الصور ، وكذلك المصور العادي والمصور الروحي » !

وفي هذا القول أو التعليل خلط وتضليل ، فهو يوحي الى القارىء العادي أن المصور الروحي قد امتلك قدرة خاصة ، أو اكتسب تكوينا جسديا وذهنيا فريدا يختلف عن تكوين أجسامنا ، اي انه من طينة غير طينة البشر ، والفرق بيننا وبينه كالفرق بين ماء عادي وماء به المواد التي تظهر الصور عند طبعها وتحميضها ، وهذا أمر لم تثبت صحته على الاطلاق ، فكلنا من آدم ، وآدم من تراب .

ثم ما الذي يمنع اي انسان من تصوير الاشباح والارواح ما دامت هذه الظاهرة صحيحة ومتكررة ، خاصة واننا نستخدم لذلك أدوات العلم ووسائله ، وهي نفس الوسائل التي يستخدمها هؤلاء المضللون لايهام الناس بوجود شيء غير موجود أصلا ؟

واذا كان تحضير الارواح ممكنا ، وله أيضا طرقه ووسائله ، فلماذا لا تتكرر هذه الظاهرة على مسمع ومشهد من العلماء الساعين الى تحقيقها بمساعدة هؤلاء الادعياء انفسهم ؟

الواقع أنه كلما حضر العلم للتحقيق ، اختفت هذه الخفافيش المحلقة في ظلمات الدجل والشعوذة والاباطيل ، فليس لهم من سلطة أو سلطان على الروح ، ولا هم يدركون مغزاها ، ولا يستطيعون لها تجسيدا ، لان الروح لا تظهر على الافلام الحساسة الا اذا كانت متجسدة ، فتعكس موجات الضوء ، أو تشعها من خلال المادةالكامنة فيها .. اذ لا شيء يأتي من لا شيء ولا اشعاع بدون مشع ، وعندما يتقبل الفيلم الحساس هذا الاشعاع يتأثر به ويسجله ، فهل يمتلك البشر هذه القدرة الفذة العظيمة في السيطرة على الارواح التي يدعونها ، ويحيلونها الى أجسام تتكلم وتأكل وترقص وتؤلف الاشعار ؟

لو أن ذلك قد حدث ــ وهو ما لم يحدث قطعا ــ لشاركوا الخالق في قدراته التي ليست لها حدود ، وهذا ما لا يمكن أن يتأتى لبشر ، والقول الفصل في ذلك « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .. وهذا القول أيضا يتمشى مع المنطق العلمي ، ولذلك لم ترد الروح أبدا في أي مرجع علمي ، ولا هي مادة من بحوثه التي تقوم على أساس .

وفي هذا الكفاية لقوم يدركون فيفقهون !

القول الفصل في مزاعم خاطئة

بعد أن تعرضنا لبعض جوانب هذا الموضوع الكبير ، نعود لنؤكد أن ما ظنه الناس انبثاقات أو طاقات أو قوى خفية تنطلق من الاجسام الحية ليس واردا في التفكير العلمي على الاطلاق .

فالخرافات الكثيرة التي يحشو بها الكتاب غير العلميين كتبهم، ويخدعون بها غيرهم ويوهمونهم بأن « بعض الناس عندهم طاقة كامنة .. هذه الطاقة في استطاعتهم أن يتحكموا فيها ويوجهوها الى الاخرين بصورة نافعة أو ضارة .. وفي كل كتب التاريخ : كتب الدين والسحر في كل العصور ــ اناسا لهم القدرة على شفاء الاخرين بمجرد الاقتراب منهم ، أو بمجرد أن يلمسوهم » !

اغرب من ذلك أن الكاتب الذي كتب الفقرة السابقة في احدى كتبه ، يتهم العلماء بأن نظرياتهم جامدة ، وعليهم أن يعاودوا النظر فيها .. أي عليهم أن يؤمنوا بالخرافات التي يدعيها المشعوذون والدجالون .. عليهم مثلا أن يصدقوا أن ضابطا روسيا متقاعدا كان يعالج آلام الروماتيزم وأوجاع الظهر .. ويقول المرضى الذين عالجهم هذا الضابط « انهم كانوا يشعرون بلهب من النار يخرج من يديه ، مع ان الذي يلمس يديه يجد أنهما باردتان ترتجفان .. وبعض المرضى كان يقول ان النار كانت تلسع أماكن الالم في الظهر أو المفاصل أو في العنق .. » الخ .

أو أن هذه القوى الخفية تنبعث من بعض الاصابع لتحفظ اللحم من التعفن أياما طويلة ، وربما كانت هذه القوى المزعومة من نوع الاشعة فوق البنفسجية التي تقتل الميكروبات في اللحم ، فلا تجعله يتعفن ، ولم يتوصل العلم حتى الان ـ ولن يتوصل بعد الان ـ الى اكتشاف أن بعض الاصابع تطلق اشعة قاتلة !

ومن الامور التي يجب على العلماء تصديقها حتى لا يتهموا بالجمود ، أن بعض الاشخاص « كانوا يضعون البذور في أيديهم بعض الوقت ، ثم يضعونها في التربة ، وقد اكدت التجارب ان البذور التي وضعوها في أيديهم تنمو أسرع وأقوى من البذور الاخرى التي لمسوها » !

وخرافات اخرى كثيرة جدا ينسبونها الى العلم والعلماء ، ويؤكدون صحتها ، ومع ذلك لا تجد لها اثرا واحدا في المراجع العلمية ، ولو صحت هذه الخرافات ، لسارع العلماء بتبنيها وصقلها وتطويرها ثم نشرها على الملأ .

لكن التضليل يبلغ منتهاه عندما يحاول الكتاب أن يربطوا بين هذه القوى الخرافية الخارقة ، وبين ظاهرة التصوير الكيرلياني ، اذ يرجعون ذلك الى طاقات خفية تخرج من أصابعهم ، وتتجلى للعيان على الافلام الحساسة « كبراكين من الدم .. او سيول من النور .. أو السنة من اللهب » ! .. وان هذه الطاقات التي يمتلكها

بعض البشر قادرة على أن تعطل نواميس الكون ، وتخرق شرائع الحياة ، وتتلاعب بالقوانين الصامدة التي لا يأتيها الباطل أبدا « ولن تجد لسنة الله تحويلا » !

فواقع الامر أن ما يظنه هؤلاء الكتاب الخياليون قوى تنطلق من الاصابع ليس لها من وجود على الاطلاق ، انما هي راجعة أساسا الى الشحنات الكهربية التي تقفز من الاشياء الحية والجامدة عند تعريضها لمجالات كهربية ذات جهد عال ، فتفرغ ما شحنت به على الافلام الحساسة .. أي ان الطاقة المفرغة هنا ليست نابعة من طبيعة البشر ولا الحيوان أو النبات أو الجماد .. بل أن ظهور الهالة حول صور للاصبع أو راحة اليد ، أو الورقة والصرصور ، أو اية عملة معدنية (شكل ١٤ ، ١٥) انما هي ظاهرة كهربية يعرف العلم تعليلها تماما ، وهي راجعة أساسا الى وضع أي شيء في مجال كهربي تحت جهد عال سبق الاشارة اليه ، ولو لم توضع هذه الاشياء ، تحت تلك الظروف ، ما ظهرت فيها تلك الظاهرة المثيرة !

ومن هنا وجب تصحيح المفاهيم الخاطئة التي يتردى فيها من يكتبون عن ظواهر لا يعلمون عن طبيعتها شيئا ، ولا يستطيعون أن يرجعوا الاسباب الى مسبباتها !

لكن علينا أن نعود ــ بعد هذا التصحيح ــ الى بعض البحوث القليلة التي تمت بواسطة التصوير الكيرلياني ، والتي قيل عنها أنها قد تنفع البحوث الفيزيائية والبيولوجية ، وأنها قد توضح لنا حالات الجسم الانساني في الصحة والمرض بشقيه : العضوي والنفسي .

فالبحوث القليلة التي تمت في الاتحاد السوفيتي مثلا لم تجد تطبيقا سليما بقدر ما انبثقت عن ذلك في عام ١٩٦٨ نظرية غريبة قدمها لنا ستة علماء سوفييت وعلى رأسهم العالم البيولوجي دكتور فلاديمير اينيوشين ، اذ يذهبون الى القول بأن هذا التصوير الكيرلياني يوضح لنا أن الكائنات الحية لا تتكون فقط من ذرات وجزيئات وخلايا مادية ، بل يكمن فيها ما أطلقوا عليه « الجسم

البلازمي الحيوي » ، وان هذه البلازما الحيوية Bioplasma يمكن تشبيهها بالهالة أو الجسم الاثيري أو الجسم الكوني (أو النجمي) Astral body الذي ورد في الفكر اليوجي أو الهندي القديم ، لكن العلماء الستة لم يقدموا لنا الا نظرية لم يقم على صحتها أي دليل علمي حتى الان ، ولهذا يعتبرهـا العلماء « فرقعة » في المحيط العلمي ، ولن يستفيد من ذلك ـ بطبيعة الحال ـ الا الذين يؤمنون بالاساطير القديمة ، أو الذين يدعون القدرة على تجسيد الارواح .

والواقع أن ظاهرة التصوير الكيرلياني لم يمارسها علماء الغرب الا في الستينيات من هذا القرن ، وكان الهدف من ذلك أن تستخدم هذه الظاهرة في الكشف عن تأثير الخمور والادوية المختلفة، والامراض العضوية والنفسية وما شابه ذلك ، ولقد كانت ثيلما موس من جامعة كاليفورنيا سباقة في هذا المجال ، وذكرت أنها وجدت اختلافات كثيرة في الصور الناتجة ، وانها توصلت الى بعض علاقات بين لون الصور التي تحدثه الطاقة الكهربية المفرغة من الاصابع ، وبين بعض الحالات المرضية والذهنية ، وان لون الصور كان يختلف من الابيض الى الازرق والاحمر والبرتقالي والاصفر ، لكن هذه البحوث قد خيم عليها الشك والريبة عندما أعلنت ثيلما موس أن هناك تغيرا واضحا في الصور التي التقطتها لورقة نبات أصابها بعض التدمير ، ثم الاثر الطيب الذي تركه أحد « المعالجين الروحانيين » عندما وضع الورقة بين راحة يديه ، وكأنما نحن نعود الى تلك الحلقة المفرغة التي تعطينا انطباعا بأن هذا التغيير في طبيعة الصور يرجع الى القوى الخفية الكامنة في أيدي بعض من يدعون القدرة على تغيير طبائع الاشياء من خلال ما امتلكوه من قدرات خارقة .

وهناك ـ بعد ذلك ـ تجارب كثيرة لجمعيات خاصة غير علمية ، أو لافراد يهتمون بما أسموه « البحوث الروحية » ، ولهذا أرجعوها الى ظواهر خرافية للعلم فيها رأي حاسم وقويم ، لكن علينا أن نعود لنسأل انفسنا سؤالا محددا : ماذا تعني حقـا هذه الاختلافات التي نراها واضحة في بعض الصـور المنشـورة هنـا (شكل ١٦) ؟ .

الواقع أنها لا تعني شيئا رغم غرابتها .. صحيح أنها تدفع المتحيزين للمسائل الروحية ، أو المعتقدين في الطاقات الخفية الى مزيد من التحيز لعقيدة وقرت في نفوسهم دون اعتبار لاي شيء اخر ، خاصة وأن احدا من العلماء لم يستطع أن يفسر لهم السر في اختلاف الصور أو الوانها الناتجة من اصبع انسان تحت حالات نفسية وعاطفية ومرضية مختلفة .

لكن القول الفصل في تفسير هذه الاختلافات يرجع ـ في المقام الاول ـ الى دكتور ويليام تيللر ـ استاذ علم المواد بجامعة ستانفورد الامريكية ، اذ نشر بحثا باحدى المجلات العلمية (نيوساينتيست البريطانية New Scientist) يذكر فيه أن الصور الناتجة لم تلتزم حقا بالدقة العلمية ، فلكي تقفز شحنة كهربية من الاصبع أو اي شيء اخر لتضرب الفيلم الحساس بموجات من الاشعة المنظورة أو غير المنظورة ، فان أثرها لا بد أن يختلف ، والاختلاف يرجع الى عوامل عدة ، والباحثون ـ سواء في داخل المعامل الجامعية أو خارجها ـ لم يضعوا هذه العوامل في الحسبان .

دعنا نوضح ذلك بمثال ملموس من واقع عالمنا ، فالشحنة الكهربية الجوية المفرغة بين الجو والارض (أي البرق) تختلف في شكلها وتفرعها وشدتها عن أية شحنة أخرى ، ولهذا لا يتشابه مسار انطلاق هذه الشحنات بين « السماء » و « الارض » تشابها تامـا .

وكل الصور المنشورة هنا لظاهرة كيرليان ليست ـ في الواقع ـ الا عملية تفريغ لشحنات كشحنات البرق ، مع الاختلاف طبعا بين ضآلة شحنة ، وضخامة اخرى .. أضف الى ذلك ان قوة هذا التفريغ بين الاصبع وبين الفيلم الحساس تتوقف علـى عوامـل نذكر منها : المسافة بين الاصبع وبين الفيلم الحساس ، ونوع الفيلم ، وفرق الجهد الكهربي ، وعدد مرات التفريغ ، والزمـن اللازم لهذا التفريغ ، وسطح الاصبع (أو اي شيء اخر) وما علق به من بخار أو مواد غريبة .. الخ .

ثم اننا لو كررنا التجربة ذاتها ، تحت الظروف ذاتها ، فانها للاسف لا تعطي النتائج ذاتها ، ولو حاولنا معرفة أسباب هذا الاختلاف ، لكان ذلك في مقدور أي باحث مدقق غير متحيز .. فضغط الاصبع ذاته على اللوح الحساس ، أو المسافات الصغيرة التي تفصل بينهما لا يمكن تقديرهما بحاسة اللمس أو النظر المجرد ، وهذا من شأنه أن يؤدي الى اختلاف واضح في طبيعة الصور .. أضف الى ذلك أن نظافة الاصبع ، أو تلوثه بالغبار أو أية مادة حتى ولو كانت افرازا عرقيا ، فان ذلك أيضا كفيل باظهار اختلاف في توزيع الشحنة ونوع الصور الناتجة .

والذين درسوا هذه الظاهرة دراسة علمية مقننة ودقيقة ، استطاعوا — على سبيل المثال — أن يعرفوا السر في اختلاف الالوان ، فتكرار اطلاق الشحنات في زمن جد قصير ، يؤدي الى ترسيب بعض المواد العضوية وبخار الماء على القطب الكهربي الشفاف ، وهذا من شأنه أن يعطيك نتائج خادعة من أصفر وبرتقالي وأحمر وكل الوان الطيف الاخرى ، فاذا نظفنا هذا القطب مما يكون قد علق به ، فان الصور الناتجة لن تكون الا مزيجا من اللونين الابيض والازرق ، وهما اللونان المتوقع ظهورهما بالفعل ، وسبب ظهور هذين اللونين بالذات يرجع الى التركيب الكيميائي للفيلم ، والى نوعية الموجات المنطلقة من الشحنات .

والموضوع بعد ذلك قد يتفرع ويطول ، ولقد الفوا فيه كتبا كثيرة ، لكن الكتب التي ظهرت ران عليها التحيز الواضح لافكار خاطئة راودت بعض العقول ، ومنها قلة قليلة من العلماء ، والعلماء بشر اولا واخيرا ، فمنهم من يميل الى الغيبيات ويتحيز لها ، وذلك بحكم نشأته وتربيته في بيئة تؤمن بهذه الامور ، فرجل العلم الهندي مثلا يتعامل دائما مع قوانين العلم الراسخة ، لكنه قد ينظر الى تقديس الابقار بنفس نظرة العوام ، وفي مصر وفي معظم

البلاد العربية قد تصطدم بأساتذة يشغلون أرقى الرتب ، او يحملون أعلى الشهادات ، ومع ذلك يعتقدون كثيرا فيما يعتقد فيه العوام ! .

الاهم من ذلك أن الصور التي كانت لب هذه المؤلفات كانت صورا خادعة ، ولا يمكن ـ والحال كذلك ـ أن يبنى العلم على الخداع ، لان الذين التقطوا هذه الصور ، لم يضعوا في اعتبارهم كل الاحتياطات الواجب اتخاذها في هذا المجال ، فعلى هذه الصور يتوقف تفسير النتائج ، ثم انها ـ أي الصور ـ هي الشيء الوحيد المنظور أو المرئي في غابة متشعبة من عوالم غير مرئية ، ونقصد بهذه العوالم الشحنات والايونات والموجات والذرات والجزيئات والتفاعلات الكيميائية المتغيرة التي تتم بينها .. الخ .

والواقع أن النفس البشرية تنفتح عادة على النتائج الايجابية ، لكنها لا ترتاح للنتائج السلبية ، رغم أن النتيجة السلبية ـ اي التي لم تحقق فكرة وقرت في العقول ـ تصبح في نظر العلم نتيجة مهمة على أية حال ، لانها استطاعت ان تحسم مسألة خاصة ، فتوجه أنماط الفكر الى البحث عن شيء بديل .

ومع ذلك فنحن لا نريد ان نغلق الباب ، او أن نشيح بوجهنا عن هذه الاجتهادات ، فربما بشيء من الصقل والاتقان والتقنين ، ووضع كل صغيرة وكبيرة في الحسبان ـ ربما يؤدي ذلك الى اكتشاف علاقات بين الانفعالات النفسية ، أو التغيرات الجسدية ، أو التفاعلات الكيميائية التي تتم في أجسام الاحياء ، وبين هذه الصور واختلافاتها .. وعندئذ يمكن تفسيرها علميا ، فلو أن الاختلاف قد حدث نتيجة لتغير في كيمياء البشرة ، أو في كفاءة التوصيل الكهربي للجلد ، او في الجهد الكهربي بين نقطتين عليه ، او في الانبثاق الاليكتروني الثانوي للجلد ، او في المقاومة الكهربية الشاملة للنظام الحي ككل ، وتبع ذلك تغير في طبيعة التفريغ الكهربي على الفيلم ،

مما قد يؤدي الى اختلاف في الصور ثم ثبات هذا الاختلاف أو تكراره على نفس النمط ، وتحت نفس الظروف ، فان ذلك قد يؤدي الى اكتشافات علمية جديدة ومثيرة .

ولكي يتم ذلك حقا ـ وعلى حسب ما يذكر دكتور تيللر في بحثه ـ كان من الضروري ان نستنبط وسائل تصوير فوتوغرافي ذات جهد عال ، وفيها وبها يتم ضبط الفولت المستخدم ، أو تغييره حسب مقياس محدد ، ثم تحديد زمن التردد او النبض الكهربي ، وسرعة تكرار هذا النبض ، والموجات المنبعثة نتيجة لهذا النبض ، والمسافات الدقيقة الكائنة بين الاقطاب الكهربية وبين الاشياء التي يراد دراستها ، وكيمياء الغازات التي تتخلل هذه العملية اثناء التصوير ... الخ ، وفي الوقت ذاته لابد من تقنين العمليات الكيميائية التي تتم في جلودنا ، وسرعة اندفاع الدماء فيها ، ودرجات حرارتها ... الخ ... الخ ، فكل اختلاف في هذه النظم جميعا ، سيؤدي الى اختلاف في الصور ، ولهذا لا بد من تثبيت كل العوامل الداخلة في تلك الظاهرة ، ثم تغيير عامل واحد منها ، للحصول على نتائج يكون لها مغزى .

اما أن يقفز البعض الى الاستنتاجات قفزا ، فهذا أمر لا يرحب به العلم ابدا ، ومن هنا كان صموده العظيم ، وانجازاته التطبيقية التي لا نكاد نحصيها عدا .





الفصل الخامس

قوى روحية خارقة تثني المعادن

ظل ادعياء الروحية سنين عدة وهم يتشدقون بتلك القوى الخارقة التي امتلكها شاب اسرائيلي يدعى يوري جيللر ، اذ يزعمون ان يديه أو عينيه تطلق طاقــات خفية اخرست العلــم والعلماء ، ووضعتهم في مازق كبير ، ثم هو ــ بهذه الطاقة الروحية المكنونة ــ يستطيع أن يثني الشوك والملاعق والسكاكين ، ويحطم الساعات ، ويفلق قطع النيازك الصلبة التي هبطت على الارض من الفضاء !

وفي امثلتنا الشعبية نقول : ان العين قد فلقت الحجر ، لكن احدا لم يشهد ذلك ، ولا يستطيع أن يقدم دليلا مقنعا على امكان حدوث ذلك ، لكن كسر المعادن ، وثني الصلب ، وتحطيم الصخور بمجرد تسليط « الفكر الروحي » عليها ، او مجرد النظر اليها ، لمن الظواهر المحيرة التي درسها بعض العلماء ، ورأوها رؤية العين ، فسلموا بصحتها تسليما ، لكنهم لم يستطيعوا لها تعليلا ، فتركوا ذلك لعقيدة الانسان في المقام الاول ، وقبعوا في معاملهم لا يلوون على شيء .. هذا بعض ما يدعيه الذين يعتقدون في وجود تلك القوى الخارقة .

ولقد ذهب يوري الى ابعد من ذلك ، وظهر في اكثر من برنامج تلفزيوني وهو يقوم باظهار طاقاته الخارقة أمام الملايين ، فزادهم ذلك عقيدة بوجود ظواهر فيما وراء حدود العقل البشري ، وانها تمنح موهبتها لمن تشاء من العباد .. ومن هؤلاء يبرز يوري جيللر ، ليحتل في القلوب مكانا مرموقا !

في العام الماضي فقط كنا نتحدث عن المعجزات مع مجموعة لا بأس بها من المثقفين واحتدم النقاش ، وزادت حدة الجدل ، وراح مثقف من هؤلاء (من انصار الروحية الحديثة وقد الف فيها كتبا)

يعرض علينا براهين قاطعة عن وجود قوى روحية خارقة ، وان العلم قد درسها ، وتحقق من وجودها ، وان المجلات العلمية قد نشرت اخبارها .... الخ ... الخ ، وفي الاسبوع التالي احضر معه عددا من « أخبار الروحية » (العدد ٢١٨١ الصادر بلندن في ٢٣ مارس ١٩٧٤) .. وقد خصصت الصحيفة الصفحة الاولى بكاملها ليوري جيللر ، وكتبت في صدرها بالبنط العريض « طاقات يوري جيللر قادمة من عالم اخر ــ هكذا يقول عالم مشهور » ؟

والعالم المشهور هو بالفعل دكتور اندريجا هنري بوهاريش الحاصل على درجة الدكتوراه في الطب ، وله ٥٦ اختراعا مسجلا في الاجهزة الاليكترونية التي تستخدم في دراسة الكائنات الحية ، واهم هذه الاختراعات الاختراع رقم ٢٩٦٥٦٣٣ في قائمة براءات الاختراع الامريكية ، وهو يختص بغرس جهاز استقبال اليكتروني دقيق يتصل باحد اعصاب ضرس من الضروس ، فيحول موجات الصوت الى موجات راديو ، لتنتقل عبر اعصاب الوجه الى مراكز السمع ، فتجعل الاصم يسمع ، ولقد درت عليه هذه الاختراعات ثروة طائلة ، وفي الوقت ذاته كان مديرا للبحوث في شركة امريكية متخصصة في انتاج الاجهزة الاليكترونية والطبية ، وظل يشغل هذا المنصب عشر سنوات ، لكن اهتماماته التي شغلت حياته كانت في مجال البحوث الروحية (ان صح هذا التعبير) ، وكان دائم البحث عن الناس الذين يدعون امتلاك قوى روحية خارقة ، واخيرا عثر على الشاب الاسرائيلي جيللر اثناء زيارته لاسرائيل ، اذ وجد فيه ضالته ، فاخذه معه وسافر الى الولايات المتحدة الامريكية ، وهناك قدم جيللر من المعجزات ما يعجز العقل عن التفكير فيه .

وهناك ظواهر غريبة استطاع جيللر ان يؤديها اداء حسنا ، ولقد وضع بوهاريش كل هذه الانجازات في كتاب الفه حديثا واسماه « يوري » ، من ذلك مثلا انه وضع لجيللر حلقة من الحديد ــ مميزة بعلامات خاصة ــ داخل صندوق محكم الغلق ، وعندما وضع جيللر

يده على الصندوق لمدة دقيقتين ، اسر لبوهاريش انه ظن ان الحلقة الحديدية قد اختفت ، وعندما فتح الصندوق ، ظهر ان الحلقة غير موجودة !

ويتدخل في الامر اسرائيلي آخر يدعى ايتزاك بنتوف ، وهو زميل لبوهاريش في دراسة ظواهر جيللر المثيرة ، وقال أنه اذا كان باستطاعة جيللر ان يعيد الحلقة ذاتها الى الصندوق وهو مغلق ، فان ذلك يعني انهم يتعاملون مع قوى كونية ذكية !

وقبل جيللر التحدي ، ووضع يده على الصندوق لمدة ربع ساعة ، دون ان يحقق نجاحا ، وعندئذ طلب من بوهاريش ان يضع اصبعا من اصابعه على جانب الصندوق الذي يواجه الشمال ، وفي اللحظة التي تم فيها ذلك ، انطلق صوت شيء معدني وكأنما هو يستقر في قاع الصندوق ، وعندما فتحوه ، وجدوا الحلقة التي اختفت لست ساعات طوال ، دون ان يعرف احد اين كانت قبل ذلك ، وكان هذا تشجيعا للمجموعة على اجراء مزيد من البحوث للتدليل على هذه الطاقة الخفية !

ويذكر بوهاريش انه كان ينوم جيللر بالايحاء ، ويتحدث اليه وهو منوم ، فيلحظ ان صوتا اخر غريبا جاء ليتكلم عنه بالنيابة ، ويدعي انه قادم من حضارات اخرى متقدمة في الكون ، ويؤكد ان جيللر مزود ببرامج ذات طاقات فوق طاقات البشر ، وهي موضوعة فيه بواسطة وسطاء كونيين فائقي الذكاء ، ولهذا فان جيللر كائن غير عادي بمقاييس اهل الارض ، ولقد تم تسجيل هذا الحديث على شريط استغرق ساعة ، واعيد سماعه ، لكن بوهاريش اكتشف بعد ذلك ان الشريط اصبح خاليا من كل كلمة ذكرت في هذه التجربة ، وتعليل هذا بسيط ، فالصوت الكوني لم يشأ ان يطلع احدا من اهل الارض على ذلك التسجيل السري ، ومن ثم قام بمسحه بطريقة لا يدري البشر عنها شيئا !

وكلام من هذا النوع كثير ومثير ، وهو بلا شك يشحذ الفكر ، ويحير العقل ، ويطلق للخيال العنان ، والانسان بطبعه يحب التحليق

في عوالم خيالية ، بدلا من ربطه في واقعه الضيق الذي يعيش فيه ، وقد يسعد به او يشقى .. لكن هل هذه الظواهر تحمل شيئا من الصحة ؟. . دعنا نرى ..

جيللر يدخل تجارب في جامعة ستانفورد

لقد اخترنا حالة جيللر من ضمن حالات كثيرة لاسباب .. فهو بارع حقا في اظهار قدرته على الاتيان باشياء محيرة للعقل ، وهو قد اظهر براعته تلك امام الملايين ، وجذب اهتمام بعض العلماء ، ومن ثم فقد قبلوا ان يضعوه تحت الاختبار والتجربة ليروا بانفسهم ما يمكن ان تتمخض عنه هذه الظواهر الغريبة . ولم يحظ احد بمثل ما حظي به يوري جيللر ، ومن هنا كانت اهميته في الدراسة التي نقدمها هنا ، لنرى القول الفصل من وجهة نظر العلم في مثل تلك الامور .

لقد اظهر جيللر براعته المثيرة في تجارب قام بها في معامل « بل » للبحوث بنيوجيرسي ، وفي مركز جودارد للفضاء بكاليفورنيا ، وفي بيربيك كوليج بلندن ، وغير ذلك من مراكز البحوث .. ثم ظهر في برنامج تليفزيوني بلندن عام ١٩٧٣ ، وامام سمع الناس وابصارهم استطاع ان يعيد رسم شكل محدد داخل مظروف مغلق على ورقة امامه ، فظهر الشكلان متقاربين الى حد ما ، كما امكنه ثني شوكة بمجرد وضع يده عليها ، وفي قول اخر : بمجرد تركيز بصره عليها ، وبدأ في التحكم ظاهريا في حركة ساعة يد كانت معطلة ، فتحركت عقاربها ، ولقد ظهر معه في البرنامج كل من البروفيسور جون تيلور ، ودكتور ليال واطسون ، وهما من المعتقدين في امكان حدوث هذه الظواهر بفعل قوى غير معروفة ، الا أن البروفيسور تيلور ــ الذي قدمناه قبل ذلك في فصل سابق ــ اخذ جانب الحذر والحيطة بعد عدة سنوات ، وذلك بعد ان درس هذه الظواهر اكثر ، ووضع لها شروطا ادق ، وسنتناول هذه القضية فيما بعد .

وتحدث جيللر في التليفزيون البريطاني في ذات الندوة ، واكد انه اربك العلماء وحيرهم ، بل انه قد اقحمهم بادلة لا تقبل الشك في قدراته الخارقة التي تنبع منه ، وتنساب من عينيه ، فيرى ما لا عين رات ، وتتركز في يديه ، فتتبخر الاشياء ، او تعود من حيث لا يعلم احد .. وهو لا يدري سر هذه الطاقة ، وعلى العلماء تحقيقها وتعريفها ... الخ .

والواقع ان شخصية جيللر وظهوره كشاب خجول وبريء وطيب ، مع ادعائه بالخوف من فشله في اظهار قدراته ، ثم تكراره ذلك بطريقة تمثيلية تجعل المشاهدين يتعاطفون معه الى ابعد الحدود ، بل وتدفعهم الى تصديق ما يجري امامهم من افعال حتى ولو كانت غير صحيحة ... يضاف الى هذا ان جيللر كان قبل ذلك عارض ازياء (موديل رجالي) ، ثم اشتغل بعد ذلك بالتمثيل في اسرائيل قبل ان ينتقل الى الولايات المتحدة ، ولهذا فهو ممثل بارع ، وبتمثيله يستطيع ان ينفذ الى قلوب الناس ، وفوق كل هذا ، فهو دائم الحركة والنشاط ، ولا يستقر على حال ، حتى في اثناء قيامه بظواهره الخفية !

ومما يذكر هنا ايضا ان دكتور ادجار ميتشيل ـ رائد الفضاء الذي سبق ذكره ، كان يعتقد في قوى جيللر الروحية ، وكان من اشد انصاره ومؤيديه ، وهو الذي قدم جزءا من المال اللازم للصرف على البحوث التي اجريت على جيللر في معهد ستانفورد للبحوث ، (وقدم الجزء الاخر مؤسسة « ناسا » للبحوث الفضائية) ثم اختلف معه بعد ذلك بسبب المال ، ومع ذلك فان ميتشيل يعتقد ان جيللر هو أهم ظاهرة روحية ظهرت في عصرنا الحديث !

وتبدأ تجارب معهد ستانفورد للبحوث بوضع جيللر في حجرة مغلقة من الصلب المزدوج ، ويعزل فيها عن اية مصادر او اتصالات خارجية ، وتجلس هيئة الاختبار في حجرة مجاورة او في مكتب يبعد عن جيللر بحوالي ٤٥٠ مترا ، وعن طريق هذا المكتب البعيد تمت تجارب التخاطر Telepathy ـ او نقل الافكار ، ولقد اشرف على

التجارب اوراسيل تارج والدكتور هال بوت هوف ، وكلاهما عالمان فيزيائيان متخصصان في اشعة الليزر ، ومع ذلك فهما يعتقدان في البحوث الروحية ، ويساندانها .. وهذا امر قد يثير بعض الشكوك عند غير المعتقدين في تلك الظواهر ، اذ قد يتعاطف هذان العالمان مع جيللر بطريقة او باخرى .

ولقد اجريت ١٣ محاولة او اختبار لقدرات جيللر ، وقسمت المحاولات الى اربعة بنود ، البند الاول منها يحتوي على اربعة صور يتم اختيارها من قاموس ، ولقد تعرف جيللر على صورتين ، وفشل في الاخريين ، وفي البند الثاني تم اختيار الصور بواسطة مجموعة غير معروفة لجيللر ، وكان عددها ثلاثة ، ولم يتعرف فيها على اية صورة ، (لاحظ هذه النتيجة جيدا) ، وفي البند الثالث ثلاث صور متفق عليها مقدما قبل بدء التجربة ، وتعرف فيها على صورتين ، اما الثالثة فقد رسم جزءا منها ، ولم يكملها ، وفي بند الرابع ثلاث صور ، اولاها عرضت على شاشة باشعة اكس ، وتعرف عليها ، وثاني الصور خزنت في عقل اليكتروني ، وفشل في تعريفها ، والثالثة رسم كاريكاتيري عرض على شاشة لفترة قصيرة ، ثم اختفى ، ولم يتعرف عليه الا جزئيا .

ومما اكسب هذا البحث اهمية خاصة انه نشر في مجلة نيتشر البريطانية (الطبيعة المجلد ٢٥١ صفحة ٦٠٢ عام ١٩٧٤) ، وهي مجلة دورية علمية واسعة الانتشار في محيط العلماء ، وربما كانت هذه اول مرة تقبل نشر مثل هذه البحوث ، وقد يرجع ذلك الى الثقة في العالمين الفيزيائيين اللذين اشرفا على البحث واجرياه في واحد من اهم معاهد البحث العلمي واكثرها شهرة ، ومع ذلك فقد حامت حول جديته ومغزاه الكثير من الشبهات .

والواقع ان هذه الاختبارات لم تتعرض لثني ملاعق او سكاكين ، او توضح قدرة جيللر على التحكم في تحريك الاشياء او ايقافها عندما يركز طاقته عليها ، ولو كتب بحث بهذه الصورة ، لما

قبلته اية مجلة علمية تحترم نفسها ، وسوف نعود لنوضح ماذا نعني بذلك ، لان ما خفي كان أعظم .

ان الغرض من هذه الاختبارات يرجع الى قدرة بعض الناس على ما يسمونه بالاستبصار Clair Voyance ، اي القدرة على رؤية كل ما هو واقع وراء نطاق البصر ، ولقد حدث في هذه الظاهرة لغط كثير ، خاصة في داخل نطاق البحث العلمي ، اذ ان الذين يدعون امتلاك هذه القدرة ـ وملأوا بها الدنيا ضجيجا ، وكتبت اجهزة الاعلام ونشرت عنهم الشيء الكثير ـ قد افتقدوها بمجرد ان وضعهم العلماء الجادون تحت رقابة صارمة ، وبحيث تجرى التجارب بشروطهم ، وتقدم مادتها باشرافهم المباشر .

وانت تستطيع ان تعرف ـ دون ادنى عناء ـ معنى ذلك اذا عدت الى تحليل النتائج التي اشرنا اليها قبل ذلك ، ففي البند الثاني لم يتعرف جيللر على صورة واحدة ، لان اختيارها قد تم بمعرفة مجموعة محايدة لا يعرف جيللر عنها شيئا ، وهذا مما يدعو الى الشك في جدية الاختبارات الاخرى ... فهل يعني ذلك حقا ان الذين قاموا بهذا البحث قد تعاطفوا مع جيللر ، وسهلوا له الامر ؟

دعنا نرى ذلك .

تصحيح واجب

لقد ذكر العالمان الفيزيائيان في بحثهما المنشور في مجلة نيتشر : « لقد ركزنا اهتمامنا على كل شيء في التجربة بحيث نعتبر مسئولين بالدرجة الاولى عما جاء فيها ، وذلك بغرض التوصل في هذا الموضوع الى اثبات او دحض تلك الظاهرة التي تشير الى امكان وجود ادراك بغير الحواس المعروفة (ادراك خارق او معجز Paranormal Perception عن طريق شروط لا لبس فيها ولا غموض » . ثم يستطردان فيقولان « وفي كل المرات أخذنا على عاتقنا الاجراءات الكفيلة التي تحول دون تسرب المعلومات (الى جيللر) ، او حدوث تضليل او خداع » !

والى هنا تساءل بعض العلماء : هل كان تارج وبوتهوف (اللذان قاما بالبحث) حذرين بدرجة كافية ، ولم يلتبس عليهما الامر في قليل او كثير ؟

في احدى المجلات العلمية البريطانية « نيوساينتيست New Scientist (رجل العلم العصري) يظهر موضوع متكامل عن القصة من اولها الى آخرها ، وقام بتحقيقها دكتور جوزيف هانلون من هيئة تحرير المجلة ، وفي هذه الدراسة (العدد ٩١٩ ، المجلد ٦٤ الصادر بتاريخ ١٧ اكتوبر ١٩٧٤) يذكر هانلون ان الذين قاموا بهذه التجارب يعترفون انهم كانوا مدركين لاحتمال خداعهم ، ويقول ان تارج قد اسر اليه قائلا « انني واثق ان جيللر كان سيخدعنا لو اننا اتحنا له الفرصة لذلك » .. ويعترف تارج ايضا انه يتشكك كثيرا في قدرة جيللر على ثني المعادن او تفتيتها ، ولقد وضعوه بالفعل تحت هذه الاختبارات ، لكنهم لم ينشروها ، بعد ان ثبت ان جيللر يأتي بحركات سريعة ، كأن يثني جسمه ويموه به دون داع لذلك ، ويتصرف كالاطفال الذين تقع بين ايديهم ادوات للعب ، اذ كان يتناول الاشياء ويلقيها ، وكثيرا ما كان يمر باصابعه خلال شعره المسترسل الطويل ، وفي خلال الاختبارات يقفز وينطلق في الحجرة على غير هدى ، ويتوقف تماما عن الاستمرار في الاختبارات ، لكنه قد يعود فجاة ويظهر استعداده للاستمرار فيها ، او قد يطلب من الحاضرين معه في الحجرة اشياء خارج الحجرة ، مثل قصاصات مما كتبته عنه الصحافة او قضبانا معدنية صغيرة ، او عملات من النقود ... الخ ، فهذه على حد زعمه تعيد اليه الثقة في نفسه ، وتمنحه الطاقة الخفية التي يعمل بها ! .... الخ ... الخ

لقد قدمنا جزءا من سلوك جيللر لتتبين امامنا بعض المعالم ، ففي هذه الحركات السريعة يمكن خداع الناس بسهولة ، فهو يشد انتباههم لشيء ، ويصرفهم عن النظر اليه ولو للحظة خاطفة ، وفيها يكون قد اتم خدعته بسرعة فائقة ، ثم يدعي انه فعلها من خلال طاقته غير المدركة حسيا !

ان العلماء يعتقدون أن مثل هذه الامور تنطوي على حركات اشبه بحركات الحواة المتضلعين في هذا الفن ، وهم يعيبوا على مجموعة معهد ستانفورد للبحوث عدم اشراك حاو محترف ليراقب الامر مراقبة الحاذق الذكي ، اذ لا يفل الحديد الا الحديد ، وكذلك لا يفل الساحر الا ساحر مثله !

يضاف الى ذلك ان تارج وبوتهوف لم يشركا معهما في هذه التجارب أحدا من أساتذة المعهد المحايدين ، صحيح أنهما اشركا معهما اثنين من الحواة الهاوين لا المحترفين ، هذا بالاضافة الى ان تارج نفسه حاو هاو ، وكان يجري بعض الالعاب معزملائه وأصدقائه ويحصل منهم على بعض المال اذا لم يستطيعوا التوصل الى حل ما يقوم به امامهم ، والمراقب الوحيد الذي جاء من الخارج ليقيم هذه التجارب كان مبعوثا من الحكومة الامريكية ، لانها امدت مجموعة البحث ببعض المال الذي يحتاجون اليه ، ويهم الحكومة ان تعرف جدية ما تصرف عليه ، وهذا شيء جميل ، لكن مبعوث الحكومة كان هو الاخر من المهتمين بالظواهر الروحية ، ولا شك ان لديه شوقا ليتحقق من ذلك ، وربما يقوده ذلك الى تعاطفه مع مجموعة البحث ، وهو باعترافه انه لم يتح له اختيار او تعديل في مواد الاختبار ، بل انه تقبل ما أملاه عليه كل من تارج وبوتهوف ، وعندما كان يتدخل في الامر ويطلب ان تكون الاجراءات اكثر انضباطا ، كان تارج يحتج على ذلك ، ويمزح معه بلفظ سوقي Bullshit ـ أي « يا براز العجل » !! .. ولقد اعترف ممثل الحكومة بالحرف الواحد قائلا « ان الرقابة على جيللر كانت مرنة وغير كافية » !

لكن .. هل يمكن ان يغش العلماء في نتائجهم ؟

للاسف ان ذلك قد يحدث في حالات قليلة ، ففي كل فئة يوجد بعض الشواذ ، وهناك دراسة عن هذا الموضوع في مجال العلوم التطبيقية كتبها دكتور ايان سان جيمس روبرت من جامعة لندن في نيوسيانتيست البريطانية بعنوان : هل الباحثون موثوق

بهم ؟ (العدد ١٠١٦ ـ المجلد ٧١ ـ ٢ سبتمبر ١٩٧٦) ،وفي هذه الدراسة ذكر حالات ـ والحمد لله قليلة ، وليس مجالها هنا ، ثم ان هناك دراسة اخرى مطولة منشورة في مجلة « عالم الفكر » الكويتية بعنوان « ماذا يحدث في علوم الانسان والمجتمع » للاستاذ الدكتور احمد ابو زيد (العدد الاول ـ المجلد الثامن ـ ١٩٧٧) ، وفيها يذكر أن عالم النفس البريطاني الشهير سيريل بيرت (المتوفى عام ١٩٧١) « تحوم الان حوله فضيحة » .. وانه قد « ظهر من العلماء ـ وبخاصة العلماء الامريكيين ـ من يشكك في تلك الاختبارات ، ويتهم بيرت بانه كان يزيف النتائج ويزورها .. » الخ

المهم ان هذا الغش يعتبر دنسا في مجال العلوم التطبيقية ، وما اسرع ما يكتشف ذلك الدنس ، وعندئذ يلفظ تلقائيا من العلم ، كما يلفظ الجسم عضوا غريبا مزروعا فيه !

نعود الان للبحث المنشور عن ظاهرة الادراك الخفي الذي يدعيه جيللر ، ويسانده العالمان الامريكيان ، فنقول ان « رائحته » الرديئة بدات تزكم انوف العلماء ، خاصة وان مكتشف جيللر ـ أي دكتور بوهاريش ـ واحد من المتضلعين في علم الاليكترونيات ، ولقد سبق ان اوضحنا كيف انه اخترع جهازا دقيقا يمكن ان يوضع داخل الفم في حشو ضرس لا اكثر ولا اقل ، ومن هنا حامت الشبهات حول جيللر وبوهاريش ، اذ ليس من المستبعد ان يحمل جيللر جهازا صغيرا بين شعره ، أو اسنانه او داخل اذنه الخارجية (بعلم أو بدون علم بوهاريش) وعن طريق هذا الجهاز السري يتم التدليس والخداع ، فكل شيء جائز ، خاصة في مثل هذه الظواهر !

ومما يعطي هذه الشكوك ارضا صلبة ، ان بوهاريش قد ذكر يوما أن جيللر ليس لديه مانع من فحصه حتى يثبت براءته مما قد يخفيه من أدوات أو اجهزة دقيقة تساعده في اختباراته ، لكن بوهاريش يعود ليقول « لكنني اعرف ان يوري جيللر لن يسمح بفحص دقيق قد تستخدم فيه الاشعة السينية مثلا » .. وقد يعني

ذلك امرا ، اذ يخشى يوري ان تكتشف الاشعة السينية اية اجهزة صغيرة من ذلك النوع الذي يصنعه بوهاريش ويزرعه في اماكن لا يمكن للفحص العادي اظهارها .

ويقال انه لهذا السبب قد وضعوا جيللر في حجرة ذات جدران مزدوجة من الصلب حتى يفسدوا عليه عمل اية اجهزة دقيقة قد تكون مخبأة في داخله ، لكن دكتور جوزيف هانلون قد رجع في هذا الامر الى دكتور روبرت كنج ـ الاستاذ بالكلية الامبراطورية بجامعة لندن ـ الذي افتى بحزم قائلا « انني استطيع ان احصل على اية معلومات في اية حجرة معزولة ، حتى ولو كانت من الصلب المزدوج» وعلته في ذلك ان الحجرات المعزولة ليست مصممة ضد اية محاولات للحصول على معلومات سرية ، ويدخل روبرت كنج بعد ذلك في متاهات تكنولوجية عن طبيعة الموجات وتردداتها وكيفية نفاذها في المواد ، ودرجة هذا النفاذ والامتصاص ... الخ ... ، لكن يكفي ان نذكر هنا ان ارسال المعلومات خلال حجرة الصلب المعزولة ليس مستحيلا .. بل ممكنا .

اننا نقدم هنا بعض التفاصيل القليلة ، ليتبين لنا ان العلماء حريصون كل الحرص على فحص كل كبيرة وصغيرة قبل ان يصلوا الى نتيجة .. وهذا هو المنهج العلمي الاصيل الذي يسير العلماء على هديه في معاملهم وبحوثهم .

والنتيجة : انه كلما وضعت شروط ادق وادق ، وكانت الاختبارات تحت مراقبة اعظم واشد ، فان الفشل في اظهار تلك القوى الخارقة يصبح القاسم المشترك الاعظم ، ويعني هذا ان الامر قد ينطوي على خداع وذكاء قد يفوق حرص رجال العلم وقوة ملاحظاتهم .. ولهذا يجيء على لسان جيللر اعتراف له مغزاه ، اذ يقول « عندما اقوم باجراء تجارب كافية في حضور العلماء ، فعليهم ان يتخلوا عن الانكار لقدراتي » .. اي عليهم ان يعتقدوا في كل ما يقوم به من خوارق ، وان يتركوا له الحبل على الغارب ، ليصول في الميدان ويجول على حسب هواه !

لقد كنت متتبعا لقضية يوري جيللر على مدى ست سنوات ، اذ دعته الهيئة العلمية لتحرير مجلة نيوساينتيست البريطانية في في عام ١٩٧٣ لكي يحضر ندوة خاصة يظهر فيها قدراته ، فقبلها اثناء وجوده بانجلترا بدعوة من التليفزيون البريطاني ، وحدد الموعد، وارسلت له المجلة اسماء الهيئة التي ستضع وتشهد مواد الاختبار ، وكان من بينها دينيس بارسون من جمعية البحث الروحي ، ودكتور كريستوفر ايفانز من المعمل القومي للفيزياء (وهو احد علماء علم النفس) ، وكل من دكتور برنارد ديكسون (بيولوجي) ودكتور جوزيف هانلون (فيزيائي) نيابة عن هيئة تحرير المجلة العلمية صاحبة الدعوة ، والبروفيسور د. ج. فيني عالم التحليل الاحصائي بجامعة ادنبره ، وديفيد بيرجلاس الساحر العالمي المحترف ، ودكتور يوليوس جرانت من الطب الشرعي ، وآلان برين الكاتب العلمي لصحيفة صنداي تايمز البريطانية ، ووافق جيللر على تشكيل الهيئة ، لكنه ترك بريطانيا الى الولايات المتحدة ، وتم الاتصال به عن طريق احد اصدقائه الموجودين في انجلترا ، وحدد موعدا لحضوره في ٨ فبراير ١٩٧٤ ، وعندما وصل الى انجلترا قبل الموعد المحدد بايام ، الغى جيللر هذا الموعد زاعما انه تلقى تهديدا بالنسف بقنبلة (هكذا !) ، مع انه اجرى بعد ذلك بعض عروضه في اماكن اخرى خالية من العلماء والمراقبين ، واعتذرت المجلة العلمية لقرائها عن ذلك ، وحددت موعدا ثالثا ، وتلكأ جيللر في الرد ، وواصلوا الاتصال به ، واخيرا يجيئهم على التليفون من امريكا ليقول « لقد غيرت رأيي .. والان فقط لا اريد ان اتعاون معكم » !

لقد تنصل جيللر من وعوده اكثر من مرة ، اذ هو لا يريد ان يقع في المصيدة ، خاصة وان الهيئة العلمية البريطانية كانت ستضع شروطا صعبة ، وقد تكشف حقيقته امام الناس ، ثم هو يعلم ان البريطانيين جادون ، وقد لا يتعاطفون معه كما تعاطف معه الامريكيون في معهد ستانفورد للبحوث .. ثم انه — اي جيللر — في غنى عن هذه الاختبارات خاصة وان مجموعة معهد ستانفورد قد نشرت البحث في مجلة « نيتشر » ، ويكفيه هذا دليلا وفخرا على

صحة ما يدعيه ، لكن المجلة بنشرها للبحث لا تأخذ ما جاء فيه قضية مسلمة ، وقد عاب عليها بعض العلماء هذا النشر ، لكن النشر قد حقق هدفا ، ووضع أمام العلماء أجمعين قضية جديرة بالبحث الجاد ، والمناقشة الذكية ، ومزيدا من التفاصيل التي توضح الامر ، وتضع حدا للبلبلة الفكرية التي يعيش فيها الناس !

والنتيجة مرة اخرى ان جيللر تحاشى اختبارات العلماء حتى يومنا هذا ، فلم يعد يذكر لا في « نيتشر » ولا غيرها ، وكل انشطته تتركز على اجهزة الاعلام والجمعيات الروحية التي يهمها ان تحصل على الاخبار المثيرة دون شروط او تدقيق !

جيللر .. مخادع وساحر رعديد !

ان « التحريات » العلمية الكثيرة التي جمعها نفر من العلماء الاوفياء لعلمهم اثبتت ان قدرات يوري جيللر تنطوي على خداع عظيم ، وخفة يد لا تجارى ، وتصرف جد سريع ، وهو لا يستخدم هذه القدرات اذا شعر باحكام الرقابة عليه ، ولهذا يعتذر عن الاستمرار ، أو يدعي انه ليس على ما يرام ، أو انه سيفشل ، وكان يكرر ذلك كثيرا ، اما اذا كانت المجموعة التي يعمل امامها لا تهتم في كثير او قليل بوضع شروط لقدراته ، عندئذ يصول ويجول ، ويأتي « بالمعجزات » ـ رغم ان العجز الحقيقي يكمن في العيون التي تراقبه ، والعقول التي تصدقه !

والامثلة على الخدع التي يقدمها كثيرة ، كما أن الشك في قدراته ينبع من عدم اتفاق اثنين على راي واحد في ظاهرة محددة اجراها ، اذ ترى هذا يصفها لك بطريقة ، في حين ان ذاك يصفها بطريقة اخرى .. والواقع ان الظاهرة الصحيحة دائمة التكرار على نفس المنوال .. فظواهر البرق والرعد لا يختلف عليها اثنان ، ووقوع الاشياء على الارض تحكمه الجاذبية ، ولم نسمع مثلا ان حجرا قفز تلقائيا الى أعلى ضد الجاذبية .. الخ ، فاذا كان جيللر قد امتلك حقا قوة خفية ، فلا بد ان تظهر على الملأ دون لف او دوران .. ان

في ذراع الانسان مثلا قوة ، وبهذه القوة يرفع الاشياء كلما شاء ، ولا احد يستطيع ان يقول : ان القوة التي في ذراعه قد تبخرت الان ، وسوف تعود بعد ساعة او يوم او اسبوع (ولا يدخل في ذلك المرض بطبيعة الحال) .. اما القول بأن هذه القوة تأتيه من مكان ما في الكون ، وانها هي التي تتحكم فيه ، فهذا امر لا ينطلي الا على اصحاب العقول الساذجة للغاية ، وليقل السذج ما يقولون ، فلن يؤخر ذلك ولا يقدم في القوانين التي تحكم الوجود !

خذ مثلا هذه الواقعة .. ففي معهد ستانفورد للبحوث جاءوا بقطعة من النحاس تشبه الشريط ، وعلى سطحيها طلاء خاص يعطي اشارة تختلف شدتها باختلاف الثني او الاجهاد الذي يتعرض له هذا الشريط ، ثم ثبت من احد طرفيه في ماسك ، وطلبوا من جيللر أن يثنيه دون لمسه ، والى هنا تختلف الروايات .. فواحد مثل جون هوايت (مساعد رائد الفضاء ادجار ميتشيل في معهد علوم العقل الذي اسسه ، وهو يبحث في مثل هذه الظواهر الخفية) يقول : لقد اختفت قطعة من شريط النحاس من طرفه تدريجيا وظهرت في مستوى منخفض عن الشريط ، وهذا يعني ان جيللر استطاع ان يفتت الشريط الى ذرات وجزيئات ، ثم يجمعها مرة اخرى في مكان اخر ـ على حسب ما يعتقد جون هوايت .. لكن واحدا مثل دكتور هال بوتهوف (سبق ذكره في بحث مجلة نيتشر) الذي صمم هذه التجربة واشرف عليها يقول قولا اخر : فحقيقة الامر ان جيللر قد اخفق في ثني الشريط في اليوم الاول ، وعندما عاد في اليوم الثاني ليحاول من جديد ، وقبل أن يدخل التجربة رسميا ، ظهرت قطعة من الشريط المعدني ملقاة على المنضدة ، ودون أن تنطلق الاشارة التي توضح أن الشريط قد انثنى أو مسه أحد في هذا الوقت بالذات !

ان الاحتمال الوحيد أن جيللر او غيره قد استطاع أن يتسلل خلسة الى المعمل ، وان يفصل قطعة المعدن من الشريط دون ان يكون هناك رقيب .. والدليل غير المقنع الذي قدموه هو فيلم مصور

عن هذه الحادثة ، ولم تظهر مثلا قطعة المعدن وهي تنفصل من الشريط لتستقر على المنضدة ، بل ظهرت فجأة في الفيلم وكأنما هي كانت هناك قبل ان يبدأ تصوير التجربة ، كما ان احدا لم يكلف خاطره لقياس الشريط قبل بدء التجربة في اليوم التالي ، حتى نتأكد ان الانفصال قد تم بالفعل امام اعين المشاهدين ، وطبيعي ان الفيلم لا يستطيع ان يحدد ذلك بالدرجة المطلوبة .

اذن فالامر ينطلي على خدعة ،، اذ لو ثبت ان جيللر لديه القدرة على تفتيت المعادن ونقلها الى مكان اخر ، فلماذا لم يعيدوا هذه التجربة تحت ظروف اكثر دقة ، واعظم حرصا ؟

ان احدا لم يكلف خاطره بالتأكد من ذلك ، لكن هذه الواقعة المشكوك فيها ، والتي كان شهودها من المعتقدين او المؤيدين لوجود تلك القوى الخارقة عند جيللر ـ في هذه الواقعة اطنبت الصحف ، وانتشرت الاخبار ، وصدق الناس ، وابتهج الروحيون ، واستبشر المعتقدون في ذوي الكرامات ، ومحققي المعجزات !

تشديد الرقابة يؤدي الى العجز

نعود لنقول ان للعلم منهجا واضحا ، وهو دائما يتعامل مع قوانين هذا الكون وشرائعه ، وهي قوانين جادة ومتناسقة ، ولا حيود فيها ولا شذوذ ، فاذا ظهر الشذوذ ، فان ذلك ليس عيبا في القانون الكوني ، لكن العيب قد يكون فينا ، او في انماط تفكيرنا ، لكن انماط التفكير قد تكون قويمة ، وقد تكون شاذة ، والعلم لا يعطي ظهره للشواذ ، بل يحاول ان يدرس الظواهر الشاذة دراسة دقيقة ، عله يتوصل الى سر اعوجاجها ، وهو في ذلك حريص اشد الحرص على الا تفلت منه صغيرة ولا كبيرة ، خاصة اذا ظهر في محيطه ادعياء يعطلون قوانين الكون ، ويهزلون بشرائعه .. فنحن جميعا ـ في الواقع ـ نسير وفق شرائع الوجود ، لا ان تسير هذه الشرائع وفق اهواء الناس .

فالذين يعتقدون في القوى الخفية التي يمتلكها بعض البشر من امثال جيللر ، وكاترين كولمان ، ونوربو تشن ، وجو ميركادو .. الخ ... الخ ، لا يريدون تصديع ادمغتهم بالبحث عن الحقيقة التي قد تضنيهم كثيرا ، ولا هم يملكون وسائلها ، لكن العلماء يسلكون طريقا اخر مختلفا تماما ، ولهذا تراهم ينظرون الى هذه المزاعم وكأنها تلوث فكري في المحيط العلمي ، ومع ذلك يقبلون عليها احيانا لدراستها من قبيل الترشيد الفكري ، والتقويم العقلي لما اعوج في هذا وذاك .

ان الدعايات الضخمة التي احاطت بجيللر ومعجزاته انما نشأت من « استغفال » هذا الشاب ـ بحيله البارعة ـ معظم الناس ، وقليلا من العلماء .. فبعد ان قدم لنا دكتور جوزيف هانلون تقريرا مفصلا ومطولا عن اوجه الخداع التي قام بها جيللر ، نراه يعلق على ذلك بقوله « ان الشيء المميز والواضح في كل هذه الامثلة (التي قدمها والتي لم نذكرها ، وقد نذكر بعضها فيما بعد) ان جيللر لا يتوصل الى انجازاته بالطريقة السهلة والسريعة التي تظهر عادة في الاخبار والتقارير ، بل هو ينجزها بعد ان يتلقى مساعدة غير مقصودة من المشاركين ، او بعد ان يستلهم خطوة مبدئية تقوده الى ما بعدها ، على غرار ما يحدث مع الحواة في مثل هذه الامور ، أو بمعنى اخر ، فان جيللر يعمل بطريقة تؤدي الى اعتبار الظاهرة عادية اكثر مما تكون غير عادية » .

ويقصد دكتور هانلون من ذلك انك لو راقبت جيللر مراقبة شديدة لعرفت التعليل الصحيح والذي يتمشى مع العقل والمنطق ، ولو شددت الرقابة بدرجة فائقة ، فانه لا ينجح ، او قد يعتذر عن العمل !

ولكي نوضح اكثر ، دعنا نعود الى ظاهرة من الظواهر التي يعتبرها جيللر والمعتقدون فيه من اهم العلامات الدالة على قوة الاستبصار .. اي نفاذ البصر الى كل ما هو محجوب عن العين العادية .. ففي احد العروض التي قدمها التليفزيون الامريكي

لقدرات يوري جيللر ، ذلك العرض الذي يؤتى فيه بعشرة علب معدنية خفيفة من ذلك النوع الـذي تحفظ فيه افـلام التصوير (٣٥ مم) . وتوضع في واحدة منها قطعة معدنية ، أو بندقة ، أو قطعة شيكولاته .. الخ ثم يؤتى بها جميعا وتوضع على منضدة صغيرة وتوزع اعتباطيا في غياب جيللر ، وعندما يحضر ويركز بصره عليها ، يبدأ اولا في اختيار العلب الفارغة واحدة واحدة ويفتحها ثم يلقيها في سلة بجواره ، ويظل يركز ويركز ، حتى يترك العلبـة العاشرة على المنضدة ، ويشير الى أنها هي العلبة التي تحوي الشيء المقصود ، وبالفعل يكون قد حقق الهدف الذي يعجز الناس عـن تعليله الا بما يسمونه بظاهرة الاستبصار .

لكن قلة قليلة من المراقبين ذكرت انها شاهدت جيللر وهو يقترب من المنضدة الصغيرة ويحدث فيها رجة غير محسوسة ولا مرئية من جمهرة المشاهدين ، لكن هذه الرجة تهز العلب الفارغة بدرجات اعلى قليلا فتؤدي الى تمييزها عن العلبة الثقيلة نسبيـا (والتي تحوى في داخلها كتلة ما) ، وبهذا يستطيع ان يلتقط العلب الفارغة واحدة وراء الاخرى ، وهو في هذه الحركة ـ بلا شك ـ رائع ، لكنه مخادع ، وطبيعي ان كل واحد منا يستطيع الان ان يصل الى ان ما جرى امر طبيعي ، ولا يحتاج لتعليلات غيبية !

ومما يؤكد ذلك أن هذا العرض ذاته قد أجري مرة اخرى في برنامج جوني كارسـون « استعراض الليلـة » ، وفيـه اتخذت الاحتياطات اللازمة بحيث لا يسمح لجيللر أن يقترب من المنضدة او يمسها ، والنتيجة انه فشل فشلا ذريعا !

وفي عرض اقيم في نيويورك بعد ذلك ، اتخذت احتياطات اشد وأكفأ ، اذ تمت التجربة بعلب ثقيلة ، ليكون من الصعب تحريكها فيما لو خدع جيللر الناس ، وهـز المنضدة ، وقبـل بدء العرض بساعة ، واثناء تجهيز هذه التجربة ، كان جيللر يحوم حول المكان ، واقترب من الفتاة التي كانت تجهز العلب ، وتغلقها ، ثم تحكم الغلق بشريط لاصق ، واوعز اليها ان حضوره معها لن يقدم ولن

يؤخر ، لكن الفتاة اتصلت تليفونيا بالساحر العالمي فيلكس جرينفيلد واخبرته بالقصة ، الا ان الساحر حذرها بان جيللر ربما يعرف الهدف من علامة صغيرة قد تظهر في طريقة وضع الشريط اللاصق على العلب المختلفة ، وانه ــ اي جيللر ــ في مثل هذه الامور شديد الملاحظة ، بارع الحيلة ، وطلب منها ان تعيد وضع شرائط جديدة لاصقة في غيابه ، وعرضت التجربة ، واخفق جيللر في تحديد الهدف !

نعود الان الى معهد ستانفورد للبحوث ، حيث أجرى كل من العالمين تارج وبوتهوف تجربة « الجلاء » البصري او الاستبصار ، وفيها احضرا « زهر » طاولة ، ووضعاه داخل علبة ذات غطاء ، وفيها برج الزهر ، ويطلب من جيللر ان يحدد عدد النقط الموجودة على السطح الاعلى للزهر ، ونجح جيللر في ذلك مرات ثمانية ، واخفق في اثنتين ، وهذه بلا شك نتيجة بارعة ، وتخرج عن نطاق الصدفة التي نعرفها .

فاذا كان جيللر يتمتع حقا بظاهرة الاستبصار ، فلماذا فشل مثلا في تحديد العلبة المحشوة من العلب التسعة الفارغة ؟

ان فصل الخطاب يأتينا أيضا من مجموعة معهد ستانفورد للبحوث ، اذ قامت بتجربة جديدة ، وفيها احضروا رساما في المعهد ليرسم مائة صورة للاشياء العادية التي تقابلنا يوميا في حياتنا (سيارة ــ شجرة ــ دراجة .. زهرة ... الخ) ، ووضع كل رسم في مظروف قاتم ، ثم اغلق ، ومن خارج هذا المظروف مظروف اخر قاتم ، واغلق ، ووضعت مائة المظروف في خزينة محكمة الغلق، وفي كل يوم تسحب من المظروفات المائة خمسة مظاريف بطريقة عشوائية ، وتقدم المظاريف لجيللر امام هيئة من المراقبين ، ويركز نظرة عليها لفترات تطول او تقصر ، ثم يبدأ هو في رسم ما هداه اليه جلاؤه البصري ، وظل على هذا الحال اياما ثلاثة ، لكنه اخفق ، وعلى هذه النتيجة جاء تعليق كل من تارج وبوتهوف في البحث المنشور « ان الرسومات » التي جاءت في هذه التجربة لا تختلف في قليل أو كثير عن المتوقع حدوثه بطريق الصدفة » !

وعلى هذه النتائج يعلق احد العلماء « ان ذلك مثير حقـا .. فلقد استطاع جيللر ان يرى الزهر داخل العلبة ، ويحدد الوجـه الصحيح » !.. وهذا يعني تهكما منه على جدية النتائج التي تسجل داخل معاهد البحوث (زهر الطاولة والمظاريف المغلقة) او خارج نطاق هذه المعاهد (في عروض التليفزيون والعروض الخاصة التـي قدمها جيللر للصحفيين ليكتبوا عن معجزاته دون ان يفطنوا لخداعه).

الغريب ايضا ان البحث الذي نشره العالمان الامريكيان في مجلة « نيتشر » البريطانية قد اغفل حادثة لها مغزاها ، اذ حدث بعد ان فشل جيللر في استقراء ما بداخل المظروفات المغلقة والغـاء هذه التجربة كلية ، حدث أن ظهر بعض التسيب في تجربة أجريت بعد ذلك على مظروفات ستة مغلقة ، لكنها تركت على منضدة وقتـا كافيا ، وبحيث يمكن لاي انسان أن يأخذ منها مظروفا دون أن يلحظه احد ، ولقد سمحوا بالتجول هنا وهناك ، وترك الغرفـة وعاد اليها ثلاث مرات ، والله وحده يعلم (وربما بعض الباحثين ايضا) ماذا جرى في هذه الاثناء ، لكن النتيجة ان جيللر قد استطاع ان يعرف ما بداخل احد المظاريف معرفة دقيقة .. وعلى هـذه النتيجة يعلق الباحث الثالث الذي شارك تارج وبوتهوف في هذه التجربة فيقول « انني مقتنع تماما أن جيللر قد غش » !

لو أن هذه الواقعة قد ذكرت بامانة في البحث المنشور ، لكانت كافية لالقاء ظلال كثيفة من الشكوك في كل ما جاء في ذلك البحث من نتائج ، فمن يضمن مثلا ان الرقابة كانت على جيللر شديدة وحازمة في كل الاوقات » ؟ .. انه يفشل اذا شددت الرقابة ، وينجح اذا ضعفت !

والشك اولى علامات اليقين !

ومما يذكر ايضا في هذا الصدد ان « راي هيمان » استاذ علم النفس بجامعة اوريجون (وهو أيضا ضليع في أداء الالعاب السحرية واكتشاف خداعها ومـن المتشككين بشدة في البحـوث الروحيـة وجدواها) كان قد حضر جانبا من تجارب معهد ستانفورد على جيللر،

ولم يعجبه الحال ، فعلق علـى ذلك قائلا « انهـم لا يعرفون كيف يلاحظون ويراقبون .. ان تارج وبوتهوف يسردان الاحداث التي نراها منطقية بطريقة عكسية تماما ، ويصنعان منها معجزات » !

هل يثني الملاعق ، ويعطل الآلات ؟ !

لكن « معجزات » جيللر التـي اعطته شهـرة خاصة ، هي قدراته الخارقة على النظر الى الاشياء ثم ثنيها او تحطيمها دون لمسها ، فنرى مثلا مفكـرا وكاتبا قديرا مثـل انيس منصور يتحدث عن الحسـد ويحاول أن يربط بينه وبين مـا أجراه يوري جيللر ، فبعد أن قدم لنا في كتابه « القوى الخفية » أمثلة عن الحسد « ومعجزاته » ، وكيف أن عيني الحسـود تميت الحياة وتحطم الجماد ... الخ ، نراه يذهب الى ابعد من ذلك فيقول « والعلـم الحديث قد وجد تسمية لهذا الحسد (وهذا بالطبع زعم خاطيء ، فاي باحث في ميدان العلم الحديث لن يجد اثرا لذلك) .. امـا التسمية فهي : تحريك الاشياء عن بعد Telekensis (وصحتها Telekinesis) او التأثير في الاشياء دون لمسها » .

ثم يستطرد قائلا « وقد تحدثت الصحف العالمية في الاعـوام الاخيرة عن شاب اسمه يوري جيللر ... هذا الشاب قد تخصص في تحريك الاشياء عن بعد ، مستخدما قـواه الخفية .. فهـو مثلا يستطيع ان يضع يده على الشوك والسكاكين ، فاذا هي تتحطـم بمجرد لمسها (هكذا !!) واحيانا تنثني بمجرد ان يشير اليها مـن بعيد .. وقد عرض التليفزيون الفرنسي بين عدد من الصحفيين ، واتى لهم بعدد من علماء الفيزياء ، وبحثوه جيدا ، وجعلوه يخلع ملابسه ويستعرض هذه القوة الغريبة (ولا نظن ان علماء الفيزياء يفعلون ذلك !) ولم يجدوا في جسمه شيئا غير عادي ، ولكن الشاب يقوم بعملية تركيز عقلية على هذه الاشياء ويلمسها ، او يشير اليها من بعيد ، فاذا الملاعق والسكاكين تمشي وراء يده مع أن المسافة بين اليد وبين الشوك والسكاكين بضعة امتار ! (هكذا !!) ... الخ (شكل ١٧) » .

ولا معقب لنا على ذلك الا أن نذكر ما ذكره هانلون وهو احد علماء التكنولوجيا وضمن هيئة تحرير المجلة العلمية البريطانية السالفة الذكر ، اذ يقول « ان المشكلة ليست مشكلة الصحفيين والكتاب وحدهم ، بل ان بعض رجال العلم المدربين قابلوا نفس المصير » ـ اي خدعوا كما خدع غيرهم !

او دعنا نسوق فقرة من البحث الذي نشرته مجلة نيتشر لتارج وبوتهوف عن يوري جيللر وقدرة استبصاره ، اذ يجيء فيه بالحرف الواحد « لقد انتشرت روايات كثيرة عن جيللر الذي برهن على قدرته في ثني المعادن بقوى غير معروف طبيعتها ، ومع ذلك فان ملاحظاتنا عن قدرته على ثني المعادن في معملنا ، لم تسفر عن تقديم اي دليل حاسم لكي يساند نظرية الظواهر الخارقة » !

والحق ان علماء معهد ستانفورد للبحوث قضوا اوقاتا طويلة في تحقيق هذه الظاهرة ، مع وضع شروط محكمة لكي يفوتوا على جيللر كل وسيلة للتمويه او الغش والخداع ، ولقد سبق ان قدمنا تجربة شريط النحاس المدهون بمادة تعطي صوتا مسموعا عند ثني الشريط ، وكيف ان جيللر فشل في اليوم الاول ، ولما عادوا في اليوم الثاني تمت « المعجزة » بخدعة ، لان الشروط الموضوعة لم تكن محكمة ، ولا الرقابة صارمة ، ومن هنا نجح ظاهريا فقط ، وشك الجميع في هذا النجاح ، وعرفوا ان الامر ينطوي على غش .

وكما حدث مع شريط النحاس ، حدث ايضا مع ملعقة عليها علامات مميزة ، وفشل جيللر في ثنيها ، لان الرقابة عليه كانت شديدة ، ولكي يضعف هذه الرقابة بدأ يطلب اشياء اخرى من الحاضرين ، لكي يشغلهم عن ملاحظته ولو للحظة خاطفة ، وقدموا له ما اراد دون ان تغفل عيونهم عنه لحظة واحدة ، فقضى اليوم كله دون ان يحقق نجاحا ، وعندئذ انصرف الجميع ، وتركوا الملعقة معلقة في مكانها ، بينما كل الاشياء المعدنية التي طلبها جيللر قد كومت في ركن من المعمل .

ولما عاد جيللر في اليوم التالي ليحاول مع الملعقة من جديد ، بدأ يطلب اشياء اخرى ، او كان يذهب بنفسه الى الكومة المهملة من المعادن التي وضعت في الركن ، وهذه بالطبع لا تدخل ضمن مواد الاختبار ، لكن جيللر احضر من بينها ملقاطا معدنيا لم يكن احـد يعطيه اية اهمية ، لان التركيز كله كان على الملعقة وقضيب اخر من المعدن ، وعندما أحضر الملقاط استطاع أن يكسره وهو ينظر اليه ، والخدعة هنا واضحة ،لان الملقاط كان قـد تعرض للكسر خلسة بيديه لا ببصره ... ثم ان من يكسـر ملقاطا مـن الصلب بنظرة ، الا يستطيع ايضا ان يثني ملعقة في الوقت ذاته ؟

ان مثل هذه التجارب لم تنشر في مجـلة نيتشر ، لان الريبة تحيط بها من كل جانب ، ثم ان مجموعة معهد ستانفورد تعرف ان جيللر بارع في خفة اليد ، وهذا من صفة الحواة .. وعن هذا يقول جيللر في أحد العروض التي قدمها باشراف بوب ماك اليستار في التليفزيون الامريكي في يوم ٣ مايو ١٩٧٤ « ان كل شيء يمكن تكراره (بواسطة الحواة) ، لكن ذلك لا يعني انني أسلك سبيلهم » !

والحواة يؤكدون بدورهم ان جيللر حاو مثلهم ، لكنه اتخذ نغمة القوى الخفية التي اضفاها عليه بعض رجال العلم دون وجه حق (من امثال د. بوهاريش ، د. ادجار ميتشيل .. الخ) ، ولقد كان جيللر يتحاشى دائما القيام بأية محاولات تظهر قدرته أمام اي حاو محترف ، لان هذا يعرف مكامن الخدع والتمويه ربما أكثر من العلماء .. فلقد خدع جيللر بالفعل بعض العلماء ذوي النوايا الطيبة ، واعترفوا بذلك فيما بعد ، ارضاء لضمائرهم !

لكن .. هل سارت الملاعق والسكاكين وراء يد جيللر مع أن المسافة بينهما عدة أمتار ؟ !

اننا نترك ذلك لذكاء الانسان اولا ، ولعقيدته ثانيا ، مـع الاشارة الى أن ذلك لم يرد على الاطلاق في المحيط العلمي ، لا أمام علماء الفيزياء ، ولا علماء الكيمياء .. ولا غيرهم ، أما اذا تمت هذه

« الخوارق » في تصورات الناس ، او على المسارح ، فان العلم لا شأن له بما يجرى في التصورات ولا على المسارح ؛ بل يترك ذلك لتسلية العامة ، وليس في التسلية ضرر على أية حال ؛ انما الضرر واقع على العلم اذا الصقت به هذه الخزعبلات دون مبرر ، اذ لو ثبتت صحتها حقا ، لسارع بنشرها ، ويكون بذلك قد وضعها أمام العلماء لمزيد من البحث والدراسة .

ومع ذلك كان لا بد أن نسوق هذه الواقعة ليتعظ بها كل ذى عقل رزين .. والواقعة يسوقها لنا بوب ماك اليستار الذي اشرنا اليه منذ قليل ، اذ هو يضع أمام اعيننا بعض الاحتياطات التي اتخذها مع جيللر عندما زعم انه يريد أن يفعل شيئا اكبر من ثني الملاعق والسكاكين (وهو في هذا كاذب) .. أنه سيحاول ان يوقف سلما متحركا من ذلك النوع الذي يوجد في المحلات التجارية الكبيرة ، والتي يدور فيه السلم صعودا وهبوطا بين الطوابق ؛ واقترح جيللر ان تكون المحاولة في محلات « بلومنجديلز » .. لكن قسم المعلومات التابع للتليفزيون الذي يعمل فيه ماك اليستار اقترح أن تكون المحاولة في محلات « جمبلز » ، لان قسم المعلومات هذا كان يتعاون مع قسم العلاقات العامة في جمبلز ، لكن جيللر ظهر عليه بعض الضيق ، واختفى مدعيا أن هناك مكالمة تليفونية هامة يريد أن يجريها ، وعندما ذهب ماك اليستار الى محلات جمبلز ، وتحدث مع أحد الحراس هناك عن هذا الموضوع ، اخبره الحارس انه من الممكن ايقاف السلم المتحرك في اي طابق من الطوابق من خلال اي محول كهربي موجود في كل طابق بجوار السلم المتحرك ، ولما عاد ماك اليستار الى جيللر ، واخبره انه يوافق على شروطه ، ويدعه يجرى تجربة ايقاف السلم في محلات بلومنجديلز ، مع أخذ الاحتياطات الكفيلة بعدم تمكين جيللر من لمس اي محول كهربي ، لم ينجح جيللر في ايقاف السلم !

هذا ويزعم بعض الصحفيين الاجانب أن جيللر كان يخبرهم اثناء ركوبه معهم في سياراتهم انه بامكانه أن يركز بصره على السيارة

فتتوقف ، وكانت السيارة تتوقف بعد قليل دون سبب ظاهر ، والسبب لعبة خادعة يعرفها جيللر مقدما * ، لكن اللعبة كانت تنطلي عليهم ، فلا رقيب عليه هنا فيما يفعل !.. وعندئذ تنتشر الاخبار بأن جيللر يتحكم في الآلات بقواه الخارقة التي حيرت البشرية !

ويعلم الغيب !

والذي يتقصى أمر جيللر بعقلية متفتحة سوف يقع على مواطن الخداع والتمويه في حركاته ، فالمفاتيح التي كان يثنيها أمام الصحفيين بنظرته المجردة ، ثبت فيما بعد أنها كانت وهما وخداعا ، وطبيعي أنهم سارعوا بعمل الدعايات اللازمة لشخصه دون التحقق من أفعاله ، والصحافة على أية حال تعيش على الخبر المثير دائما ، أما غير المثير ، فقد لا يكون له أحيانا في مجالها من قبول (شكل ١٨) .

ولقد ادعى جيللر كثيرا أنه يعرف الاحداث قبل وقوعها ، والحكايات التي يرويها الناس كثيرة ، ولا شك أنهم قد بالغوا فيها ، ومن هذه الحكايات ما يقصه علينا البروفيسور راي هيمان الذي أشرنا اليه من قبل ، اذ يقول : بينما كنا جلوسا مع جيللر ، وفي حوالي الساعة الرابعة مساء ، وقف جيللر فجاة ، وادعى أن هناك شيئا خفيا يناديه ، ولا بد أن يذهب في التو واللحظة الى داره ، لكنه عاد الينا مرة اخرى بعد حوالي نصف الساعة ، واشار الى أحد الحاضرين محذرا اياه من السفر بالطائرة (وكان هذا الشخص قد عول على السفر أثناء جلوسهم الى واشنجطون) ، بدعوى أن هاتفا كان قد أوحى اليه أثناء تناولهم الغداء أن هناك طائرة سوف تتحطم ، وهنا اتصل أحد الحاضرين بجريدته ليعلن النبأ مقدما

---

* الواقع ان هذه اللعبة يجريها بعض الصبيان على السيارات التي يغيب عنها اصحابها ، فاذا جاؤها ، وساروا بها عشرات ومئات الامتار ، دون سبب ظاهر ، وهنا يظهر الصبي الميكانيكي لاصلاح خلل يعرفه مقدما ، لانه هو الذي فعل الخلل اثناء غياب صاحب السيارة ، وبهذه الخدعة يتكسب قوته !

حتى يكون لها السبق الصحفي ، وردت عليه الجريدة بأن الطائرة قد تحطمت بالفعل اثناء فترة الغداء في واشنجطون ، وان هذا الخبر كان يذاع بالفعل من دور الاذاعة في الوقت الذي انصرف فيه جيللر من القاعة .

فاذا كان جيللر يطلع على الغيب حقا ، وهذا ما لا يمتلكه الانسان ، فلماذا لم يخبر الصحاب بذلك في تلك الفترة أو قبلها ولو بدقائق ؟! . . لقد أراد جيللر أن يخدع ، ولا شك أن الفكرة قد جاءته بعد أن سمع الخبر ، فعاد ليضلل ، ولولا تلك المكالمة التليفونية ، لكان له شأن اخر ، ولقالوا عنه أنه يوحى اليه بالاحداث مقدما !

ويذكر بروفيسور هيمان كذلك أنه قد دعي الى معهد ستانفورد للبحوث بناء على طلب ممثل الحكومة في هذه التجارب ، وفي واحدة منها طلب جيللر أن يوكل الى اي شخص محايد أن يكتب رقما على « نوتة » ورق موضوعة على مكتب ، وتقدم المدعو جورج ليكتب الرقم ، بينما وضع جيللر يديه على عينيه مدعيا أنه يطمسهما ولا يرى شيئا ، وهنا يقول هيمان « لقد استطعت ان ارى عيني جيللر من الزاوية التي اقف فيها وهي تختلس النظر من بين يديه الى يد جورج وهي تخط الرقم » ! . . ويستطرد هيمان قائلا « ولقد كان بمقدوري أيضا أن أعرف الرقم الذي كتبه جورج من حركة يده على الورق . . لقد عرفت أنه قد كتب الرقم ١٠ » . . ولا ننسى أن هيمان يعرف تماما حركات الحواة والاعيبهم ، ولهذا استطاع أن يكشف الخدعة .

لقد ذكرنا هنا تلك الواقعة بالذات لارتباطها بواقعة اخرى حققناها بأنفسنا ، اذ كانت لي مجموعة اخرى من الاصدقاء (كثيرهم مثقف وقارىء وهاضم) الذين يعيبون علي عدم اعتقادي في المعجزات ، خاصة وان العلم قد درسها واعترف بامكان حدوثها (نفس النغمة المكررة دائما) ، ولكي يبرهنوا لي بالدليل القاطع على ذلك ، راحوا يسردون علي ما يأتي به الدكتور « س.م. » المنوم المغناطيسي من انجازات أشبه بالمعجزات ، ولن اجد لها في علومنا

الحديثة من تفسير الا ان نرجعها الى قوى خفية امتلكها بعض الناس ، وطلبت أن أرى هذا الرجل (وهو ليس بدكتور ، بل هم يضفون عليه هذا اللقب ، أو هو الذي أضفاه على نفسه ، فلا أحد يلومه على ذلك) ، وحددوا معه موعدا ، وطلبت الا يعطوه عني أية معلومات ، وقد كان ، وذهبنا اليه في « عيادته » ، ووجدنا زبائن كثيرين .. منهم من جاء يطلب العلاج ، أو يبحث عن شيء ضائع ، أو لديه مشكلة عاطفية .. الخ .. الخ ، وانتظرنا حتى ينفض المهرجان المخدوع ، ولنجلس مع منومنا جلسة هادئة لا يتدخل فيها زبـون .

باختصار شديد : جاء الرجل بالوسيط ونومه ، ومد يده الى الجيب الداخلي لسترة صديق من أصدقائنا ، واخـرج منها اوراقا ، ومن ضمنها بطاقة عائلية ، وكان هو ينظر الى البطاقة وراح يشجع الوسيط ببعض الكلام ، والوسيط المنوم يعرف مـا فيها .. اسم الصديق ، وتاريخ ميلاده ، ورقم البطاقة ، وما شابه ذلك ، وكان كل شيء صحيحا ، وعندئذ نظر الى الجميع نظرة ذات مغزى ، وكأنما لسان حالهم يقول : كيف تفسر ذلك ؟

وجاء دوري ، ومد الرجل يده الى سترتي ليخرج من الجيب الداخلي ما به من أوراق أو ما شابه ذلك ، لكنني اعترضت قائلا : بشروطي لا بشروطك !

كانت شروطي أن أختار بنفسي مواد الاختبار ، فما دام قادرا على استكشاف الغيب أو المجهول بواسطة وسيطه ، فماذا يمنع من اختياري شيئا من المجهول له ولوسيطه وللحاضرين !

ووافق الرجل على ذلك ، ومددت يدي في جيبي ، ثم أخرجتها مطوية ، وطلبت منه أن يستكشف ما فيها ، فراح يتمتم ويضغط بيده على يدي ، ويسبل جفنيه على عينيه ، وطلب من الوسيط أن يذكر أمام الجميع ما أخفيه ، فقال الوسيط بعد تردد : ان في يدي شيئا معدنيا ، وطلبت منه أن يوضح أكثر ، فذكر مفتاحا أو نقودا ، وعندئذ فتحت يدي ، وعرضتها على الجميع .

لقد اخفق الرجل ووسيطه في أول اختبار .. اذ لم أكن قد اخرجت من جيبي شيئا ، وعرضت يدي ، فاذا هي خاوية !

وسمعت من بعض أصدقائي تعليقا ليس له ما يبرره ، اذ قال لي معاتبا : انك متعسف فيما ذهبت اليه ، وعولت عليه ، وطلب مني المنوم أن اجرب شيئا حقيقيا ، ووضعت يدى مرة اخرى في جيبي ، واخرجتها هذه المرة مطوية على شيء ، وعاد الوسيط فذكر ـ وبناء على ايحاء من منومه ـ ان في يدي عملة فضية او برونزية !

واخفق المنوم ووسيطه للمرة الثانية ، اذ كانت يدي تنطوي على « نوتة » أو مفكرة صغيرة استخدمها في تدوين ارقام التليفونات واسماء الناس وعناوينهم .

وعاد المنوم وطلب الي أن آخذ ورقة واكتب فيها شيئا ، ثم اطويها ، واضمها الى راحة يدي ، وادعى انه يستطيع أن يقرأ ما كتبت .

وقدم الي ورقة وقلما ، وافسح لي مكانا على مكتبه ، الا انني رفضت ان اكتب شيئا في الحجرة التي نجلس فيها جميعا ، واستاذنت ان اكتب في حجرة مجاورة معزولة ، وعدت بما كتبت ، وفشل الرجل في معرفة حرف واحد مما خطته يميني .

ووجم الحاضرون ، واحسست بحرج ، خاصة بعد أن بدا المنوم يتصبب عرقا ، فايقظ وسيطه ، ونوم نفسه ذاتيا (كما يزعم) بعد أن قال انه سيحاول بنفسه قراءة ما كتبت ، وظل يهذى ويتمتم ، وكانما هو يستجمع قوة خفية او ذاتية ، وتقلص وجهه ، وتصبب عرقه ، وبدانا نتعاطف معه ، أو نرثى لحاله ، لست أدري ، وبعد حوالي دقائق خمسة عاد الرجل من غيبوبته المصطنعة ، واعتذر عن عدم تمكنه من احراز نجاح في تلك الليلة لارهاق طويل حل به من جراء مشاكل عائلية .. هذا الذي يزعم انه يحل مشاكل الناس ، ويعرف من الاسرار ما لا يستطيع أحد معرفته ، وهونا عليه الامر ،

وانصرفنا على ان نلتقي في محاولة اخرى ، وسار الاصدقاء بجواري واجمين ، بعد ان اتفقوا على ألا يعودوا الى مثل هذا أبدا ، ويبدو انهم قد اقتنعوا انني كنت على حق . وهم على باطل .

ما نود أن نرمي اليه هنا ان منهج البحث العلمي الذي نمارسه في معاملنا وجامعاتنا يحتم علينا ان نتحرى الدقة في كل ما يقال ، خاصة اذا كان خارجا عن نطاق العقل ، ثم اننا لا ندعي القدرة على كشف كل خداع الحواة ؛ فكثيرا ما يكونون على درجة من حسن التصرف ، او خفة اليد ، او التهرب ـ في حالة الفشل ـ بطريقة تحفظ عليهم ماء وجههم ، وطبيعي ان هذا المنوم أو الحاوي له وسيلته في تلقين وسيطه بما يريد من معلومات حاضرة بين يديه ، كان يحرك شفاهه بطريقة لا يلحظها الحاضرون (لقد كان الرجل يدير لنا ظهره ، ويواجه وسيطه) ، أو ان هناك شفرة او رموزا متفقا عليها بين الاثنين ، او ربما كان هنا خيط رفيع يصل بين هذا وذاك ، وعن طريق شد هذا الخيط بايقاع محدد (كما يحدث مثلا في شفرة ارسال التلغراف) ، يعرف الوسيط ما يريده منومه من ارقام وحروف .. الخ ، والواقع انني لم اتحر الامر لكي أعرف السر ، والا لكنا قد افسدنا الجلسة من اولها .

وكم من مرة اردنا أن نتحرى حقيقة من يدعون تحضير الارواح ، أو الاتيان بأي شيء يطلبه الناس منهم ، أو الذين يقراون الغيب ، او يتعاملون مع الجن .. الخ ، الا ان محاولاتنا معهم قد فشلت ، خاصة عندما نبدا في املاء شروطنا ، أو تحري حقيقة ما يجرى امامنا ، وعندئذ قد يثورون ويعتذرون عن الاستمرار في نشاطهم ، بدعوى انني لست من المعتقدين ؛ ووجودي يفسد العمل (هكذا !!) .

والحكايات التي يرددها الناس عن معجزات الاخرين كثيرة جدا ، لكن أحدا لم يكلف خاطره ولو مرة واحدة بتحري الحقيقة ، ولو فعل بشيء من ذكاء ، لعرف مواطن الخداع !

على أن قصة يوري جيللر قد تهون بجوار ما قدمه أنيس متصور مثلا في كتابه « القوى الخفية » عن ناس طيبين من أمثال الحاج ميرغني ، والشيخ المنياوي ، والشيخ طنطاوي جوهري ، فمنهم من كان يحضر النبيذ والطيور المحمرة من الهواء ، ومنهم من كان يمد يده من نافذة القطار خالية ، فتعود بأرنب ، ومنهم من يقرأ الغيب .. الخ (ورحمهم الله أجمعين فلقد كنت تواقا حقا لمقابلتهم) ، وكل هذه أمور تميت الدين والعقل والعلم ، لكن حسبنا هنا أنها حكايات تتداول بين الناس ، فتسعدهم وتثير خيالهم ، وحمدا لله أن كاتبها لم يذكر أن العلم قد حققها ، واعترف بصحتها ، وعجز عن فهمها ، والا لكان لنا مع تلك الحكايات شأن اخر !

جيللر جديد في فرنسا !

لم يكن يورى جيللر هو الشخص الوحيد الذي ظهر على مسرح أحداث تلك القوى الخفية ، بل ظهر له في فرنسا مثيل ، ويدعى جين بير جيرارد ، ولهذا الفرنسي سند يقف وراء ظهره ، ويمده بالتشجيع المادي والادبي والعلمي (تماما كما كان د. بوهاريش يساند جيللر) ، فيجيء تشارلز كروسارد ليضع كل الامكانيات المتاحة لدراسة ظاهرة القوى الخفية عند جيرارد ، وكروسارد هذا يشغل وظيفة مدير البحوث في واحدة من أكبر الشركات الفرنسية (شركة بيشيني للكيماويات والمعادن ، وهي تحتل المركز الخامس بين الشركات الضخمة هناك) ، كما يرأس أكثر من ثلاثة آلاف عالم وموظف وباحث ينتشرون في معامل بحوث الشركة في طول البلاد وعرضها ، ولقد وافقت الشركة على أن يقوم علماؤها وباحثوها على تحري حقيقة جيرارد ، ووضع كل الامكانات المادية والمعملية تحت تصرفهم ، وأن يشرف على هذا البحث مدير البحوث تشارلز كروسارد .

ولقد تقدم كروسارد ومعاونوه بنتيجة بحوثهم في عام ١٩٧٦ الى مجلة « نيتشر » لنشرها فيها (على غرار ما حدث مع مجموعة معهد ستانفورد للبحوث) ، وفيها تقارير عن ١١٦ حالة ثني معادن بقوة جيرارد الخفية ، وان بعض هذه الحالات الناجحة قد تم تحت رقابة صارمة ، لكن البحث يذكر أيضا « في بعض الحالات قد غم الامر علينا ، وربما قد ينتج عن ذلك خدع لم نتنبه اليها ، لكننا لم نلحظ هذه الخدع » !

وفي هذا البحث (الذي لم ينشر لاسباب سنتناولها فيما بعد) ذكر كروسارد أن من ضمن الاشياء التي نجح جيرارد في ثنيها بقواه الغامضة عدة مفاتيح ، وأن مفتاحين منها قد تقوسا قليلا أثناء وجودهما في يد أحد المساعدين ، وأن صفيحة من الالومونيوم المفرطح قد التوت في موضعين عندما قرعها جيرارد باصبعه أثناء وجودها في كف احد الباحثين ، كما أن بعض القطع المعدنية قد ثنيت ثم استقامت أثناء تحقيق هذه الظاهرة ، هذا بالاضافة الى ٢٥ قضيبا معدنيا مستديرا ظهر عليها اعوجاج ، وفي واحدة منها كان القضيب من الصلب وموضوعا داخل أنبوبة مغلقة ، وأمكن ثنيه ومغنطته ! .. الخ (أي أن جيرارد هذا يمتلك موهبة مغناطيسية شديدة تمغنط الحديد) .

وعندما عرضت ورقة البحث على هيئة النشر ، تخوفوا من نشرها ، فبعض ما جاء فيها قد يثير العديد من النقد والشك ، وقد يضعف ذلك من شأن هذه المجلة العلمية الجادة ، فكان أن اقترح كروسارد أن ترسل المجلة من تراه متشككا في هذا الامر ، لكي يرى بعينيه بعض هذه التجارب ، ووافقت هيئة تحرير المجلة على ذلك (وهذه قد تكون أول مرة ترسل هيئة المجلة من يراقب بحثا في معمل) ، وأرسلت اثنين من هيئتها : دافيد دافيز ، وكريس ايفانز (ولقد كان هذا الاخير من المتشككين ، وهو في الوقت ذاته من المقيمين للبحث الذي نشر قبل ذلك لمجموعة معهد ستانفورد للبحوث) ، واجرى جيرارد أمامهما ـ بحضور اخرين ـ تجارب ثني

المعادن ، كما شهدا بعض الافلام التي صورت احداث التجارب السابقة ، ولكن دافيز وايفانز قد أبديا بعض الملاحظات ، وتشككا في بعض الشروط الموضوعة من قبل ، وانهما غير مقتنعين تماما ــ لا بما جاء في الافلام ، ولا بما رأياه ، وقد ساء هذا النقد كروسارد كثيرا ، لكنه عاد وذكر انه يوافق على النقد الذي أبداه كل من دافيز وايفانز ، ولا بد من وضع شروط أكثر حرصا ، خاصة في مثل هذا المجال .

وعادت مجموعة البحث ودعت الساحر العالمي جيمس راندى، وكانت المجموعة قد قرأت كتابه « سحر يوري جيللر » ، وفيه وضع راندي « بروتوكولا » (طريقة البحث) يمنع من الغش أو الخداع ، واستعانت المجموعة بما فيه من ملاحظات لها وزنها ، وقبل راندي الدعوة ، كما عاد كل من دافيز وايفانز من لندن الى جرينوبل (بفرنسا) ليشهدا التجارب مرة اخرى ، وبشروط أكثر حرصا ، هذا بالاضافة الى وجود الساحر العالمي راندي الذي يستطيع ان يقع على مواطن الغش اكثر مما يقع عليه العلماء ، وبدات التجارب بالفعل ، واستمرت ثلاث ساعات ، وبعدها تخلى جيرارد عـن محاولاته ، واعلن فشله ويرجع هذا الفشل الى أن راندي كان له بالمرصاد ، وعلى هذا يعلق كروسارد « انني أعترف أن البروتوكول الذي اختاره راندي كان عظيما جدا » ! .. رغم انه قبل ذلك كان قد وقع مع راندي في معركة كلامية تبادلا فيها كثيرا من عبارات العنف والتوبيخ ، ويضيف كروسارد أنه « متأكد ان جيرارد سوف ينجح في المحاولات القليلة القادمة » .

ولم ينجح جيرارد ، ولم يقبل البحث للنشر في مجلة فيتشر .

والواقع أن هذا الهذيان قد بلغ أشده في كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، ففي بريطانيا مثلا ادعى عشرات من الصبيان والبنات انهم قادرون على ثني الملاعق والشوك وما شابه ذلك ، ولهذا أطلق بعض العلماء على تلك الظاهرة اسم الهذيـان أو الهوس الجيللرياني (نسبة الى جيللر) ، ولقد تأكد لعامة الناس

ان هؤلاء الصغار قد امتلكوا قوة خفية ، وهنا اعتمدت الحكومة البريطانية مبلغا من المال لدراسة هذه الظاهرة في الصغار .. صحيح أنهم كانوا يخدعون الناس ، ويظهرون أمامهم وكأنما هم بالفعل يقومون بانجاز ما يطلب منهم من تلك « المعجزات » ، لكن الامر اختلف تماما عندما وضعهم بعض العلماء تحت قيود صارمة ، فتبخرت عندهم تلك الملكات الخادعة !

وعن هذا الهوس ظهرت كتب كثيرة ، بعضها يؤيد ذلك الهوس (معظمها لكتاب غير علميين) ، والبعض الاخر يدحضها (كتاب علميون) ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لهذه القضية اكثر من ذلك ، فالكتابة فيها بالتفصيل لا يكفيها مجلد كامل ، لكن يكفي ان نذكر أن الساحر العالمي راندي قد أعلن عن جائزة قدرها عشرة آلاف دولار لمن يستطيع أن ينجح في اية ظاهرة من هذه الظواهر الخارقة .. ولم يحصل احد على الجائزة حتى الان .. وفي هذا الكفاية لقوم يفقهون فيدركون القول الفصل فيما قدمنا فأوجزنا .

لكن من قبيل الصدف الغريبة أننا في الوقت الذي كنا قد وصلنا فيه الى هذه المرحلة من الكتاب ، ظهرت دراسة في مجلة « طبيبك الخاص » القاهرية (عدد أكتوبر ١٩٧٨) ، وفيها ايضا يقدم دكتور وسيم شندي الطبيب الاستشاري بالمستشفيات التعليمية مبلغ الف جنيه لمن يستطيع ان يجري له جراحة روحية بسيطة ، وفي هذه الدراسة القيمة يذكر « طالما سألت نفسي هل هم مخدوعين (صحتها مخدوعون) أم مخادعون » .. ويستطرد قائلا « ويحدثونك عن وليم روي وكيف أنه ابرع وسيط معاصر يجسد الارواح ويستخدم الصوت المباشر للمتوفى ، ولا يذكرون لك كيف ضبط متلبسا سنة ١٩٥٧ بخداعه للجماهير ، ثم نشر وليم روى نفسه سلسلة من المقالات أماط فيها اللثام عن طرق خداعه وكيف كان يستخدم أحدث الاجهزة العلمية في خداعه لهم » .. الخ .. الخ.

فاذا كان راندي قد قدم عشرة آلاف دولار ، واذا كان د. شندي قد قدم الف جنيه لمن يستطيع « اجراء عملية جراحية له في فتق اربي ايمن صغير يحتاج لجراحة صغيرة لا تستغرق اكثر من نصف ساعة » .. فاننا بدورنا نقدم الفي جنيه لمن يستطيع ان يثبت حقيقة بسيطة عن خبايا الهرم الاكبر . .ونحن نتحدى كما تحدى هؤلاء .

لكن .. ما هي قصة الهرم الاكبر او الاصغر ؟

دعنا نفتح لذلك صفحة جديدة ــ في نهاية هذا الكتاب ــ لنرى كيف تكون انماط التفكير العصري الخرافي !





الفصل السادس

هل الشجر أرق احساساً من البشر ؟

سألني احد المزارعين الطيبين سؤالا غريبا مؤداه : هل استطيع حقا أن أزيد محاصيل أرضي زيادة تسعدني اذا اسعدت نباتات حقلي بسماع الالحان الموسيقية ؟.. واي نوع من الموسيقى تستجيب لها النباتات اكثر ، لتعطيني محصولا اوفر ، فتقر به عيني ، ويزيد دخلي ؟ .

عرفت وقتها أن هذا المزارع لا بد وان يكون قد سمع او قرأ شيئا عن هذه الانباء التي تنشرها الصحافة والاذاعة عن حياة النباتات الغامضة ، والتي تظهرها لنا وكأنما هي مخلوقات ذكية ، ذات عواطف قوية .. فهي تفرح وتكتئب ، وتحزن وترتعد ، وتستجيب بسرعة للمديح ، أو قد تستاء من سلوك الانسان « الهمجي » الذي يقتل ويدمر ، فتنفعل وتبكي دما !

اي ان هذه النباتات لا بد وان تكون ارق عاطفة ، واسمى احساسا من الانسان سيد المخلوقات ، فلو انك ذبحت ديكا تحت شجرة ، فان الشجرة تنفعل وتستاء أشد الاستياء ، أو لو انك القيت بسمكة حية على النار ، وكان بجوارك أصيص به زرع ، فان النبات يرتعد ويهتز من هذه الوحشية ، وقد تفقده عقله — على حسب ما جاء في أحد العناوين الكبيرة المثيرة في مجلة المصور القاهرية لكاتب لا يعرف شيئا عن أساسيات العلوم ، ولا حتى عن هوامشها .. اذ تراه يتخذ لدراساته المنقولة عن كتب رديئة عناوين تقول « الحاسة السادسة عند النبات » .. « الام البشر .. تفقد النبات عقلة » .. « النبات كالحيوان .. له جهاز عصبي وجهاز دوري » ... « الطماطم والكرنب والبطاطس تستجيب بسرعة للمديح » .. « زهور نباتية عصبية ذات مزاج متقلب » ..

« النباتات تستجيب للموسيقى وتزيد انتاجها » .. الخ .. الخ ، وربما كان هذا العنوان الاخير هو الذي جذب انتباه مزارعنا ، وسأل مستفسرا عن امكان زيادة محاصيله لو أسمع نباتاته بعض الموسيقى !

والمزارع ــ أو غيره ــ لا شك معذور ، فقد وقر في أذهان الناس أن اجهزة الاعلام لا يمكن أن تضلل الناس أو تخدعهم فيما تنشر ، خاصة اذا كان كاتب هذه المقالات يتمتع بشهرة واسعة .. اضف الى ذلك أن هؤلاء الكتاب يحاولون ــ بشتى الوسائل ــ أن يلبسوا هذه الخرافات ثوب العلم حينا ، وثوب الدين حينا اخر ، وبحيث تظهر أمام الناس وكأنما هي علوم حقيقية ، وما هي بعلوم ، بل هي من ذلك النوع الذي نطلق عليه اشباه العلوم أو العلوم الكاذبة Polygraph .

لكن الشيء الخطير ان هذه البحوث الزائفة ، او العلوم الكاذبة قد استعان بها بعض الكتاب الذين يكتبون عن الدين الاسلامي ، فترى أحدهم مثلا يسترشد بهذه الخزعبلات ليدلل بها على بعض احداث حدثت للنبي محمد عليه الصلاة والسلام .

فلقد وقع بين يدي كتاب حديث في سلسلة كتاب اليوم التي تصدرها اخبار اليوم القاهرية لكاتب اسلامي معروف ، والكتاب بعنوان « صنع الله » .. ولقد حسبنا أن الكاتب سوف يعرض علينا بعض ما كشفه العلماء حديثا من بديع صنع الله في كل ما خلق فقدر فسوى ، الا اننا قد فوجئنا ان الكتاب محشو بكثير من التضليل العلمي والديني .. صحيح أن الكتاب ــ من وجهة نظر القارىء العادي ــ مثير وجذاب ، وان ظاهرة علم مطعم بدين ، أو دين مطعم بعلم ، الا أن باطنه خيالات وأوهام وخرافات وتصورات غريبة تميت الدين والعقل والعلم جميعا !

وأنا رجل علم في المقام الاول ، وبحكم صلتي وعملي في حقل العلوم التجريبية ــ خاصة في علم النبات والكائنات الدقيقة

وعملياتها الكيميائية والفسيولوجية ، فقد أصبح من الميســور علينا أن نكتشف عشرات الاخطاء العلمية ، وبهذه الاخطاء والاوهام حاول مؤلف كتاب « صنع الله » أن يدلل بها على معجزات نسبها الى الخالق تارة ، والى الرسول تارة أخرى !

وما بني على خطأ .. فهو خطأ .

كما أن « الساكت عن الحق شيطان أخرس » .

وطبيعي اننا لا نستطيع أن نتعرض هنا لكل الاخطــاء التي وردت في هذا الكتاب أو غيره من مقالات تناولتها صحفنا ومجلاتنا ، فذلك قد يحتاج الى مجلد كامل ، لكن يكفي أن نتعرض هنا لبضع حالات قليلة ، لنعرف كم من خطايا ترتكب باسم العلم ، وباسم الدين أيضــا !

النخلة التي انحنت وقبلت الرسول !

ففي فصل كامل من فصول الكتاب يسوق المؤلف معلومات ينسبها الى العلم تارة ، والى الدين تارة أخرى ، فهو بطريقة أو باخرى يريد ان يقنع الناس أن للنبات عواطف ، وان هذه العواطف قد حققها العلم اخيرا واعترف بها ، ولهذا نراه يؤسس على هذا الزعم الباطل حكاية شعبية ليس لها من مصدر حقيقي موثوق به ، فهو يقول بالحرف الواحد « ان النخلة قد طاطات رأسها أمــام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحنت هامتها له ، في محاولة منها لتقبيل يده الكريمة (هكذا !) ، وانه في اليوم العابس الحزين ـ يوم أن قبض صلى الله عليه وسلم وتوفاه ربه ، شاهد الناس على سعف النخل الذي كان يجاور المنبر الشريف الــذي تشرف بالوقوف عليه ، ومخاطبة الناس من فوقه . .شاهدوا امرا مذهلا ، وشيئا عجيبا .. لقد تغير شكل السعف .. تقوست عروقه في أسف مبين ، وتهدلت أوراقه وتهطلت في منظر حزين ، ويقطع من حضروا أنهم رأوا من السعف البكاء ، وسمعوا الانين » ! .. الى اخر هذه الجمل الانشائية التي تشغف القلوب !

والمؤلف يعرف ـ أو عليه أن يعرف ، ان كان لا يعرف ـ ان الاسلام هو دين العقل والحكمة ، لا دين الخرافة والسفسطة ، والنبي محمد قد تنزه عن ذلك في حياته ، فكيف تكون بعد مماته !

لكن المؤلف يريد أن يربط بين عاطفة النخل والسعف وحزنه على موت الرسول الكريم ، وبين ما يزعمه من تحقيق العلم لهذه العواطف في عصرنا الحاضر ، ولهذا نراه يذكر «ان للنبات احساساته التي بها يستجيب لكل ما هو ومن هو حوله .. وانهم وضعوا أجهزة القياس ، وآلات المتابعة والتسجيل في النبات .. في داخله .. وحوله ، وعاملوه بمختلف الانفعالات ، وشتى المعاملات .. لقد انقبض النبات وحزن وأصابه الاسف كلما أحس بالعنف يقع من حوله ، بل انه احتفظ لنفسه ببعض المجالات الكهرومغناطيسية لمن كانوا يعيشون معه ، أو يشفقون عليه ، أو حتى يسخرون منه ، او يوقعون الاذى به .. وان هذه المجالات تظل عالقة بالنبات لفترة تطول أو تقصر ـ حسب رغبة النبات نفسه ـ على ما يبدو ، وأن النبات قد استجاب حتى لما يسمعه في حقله ، ويشاهده حتى ولو كان على بعد منه .. لقد امكن تسجيل زيادة انتاج النبات للثمار اذا كان بجوار الحقل موسيقى ، وتختلف درجة الزيادة في الانتاج باختلاف نوع الموسيقى ورتابتها مما سبق الاشارة اليه في بعض الكتب السابقة (اي كتبه التي الفها هو) .. وفي الولايات المتحدة أجرى عالم النبات الكبير كليف باكستر تجاربه على نباتات مختلفة باستخدام أجهزة قياس الانفعالات ، وسجل بالقياس والدرجات فرحة النبات عند حضور العالم ليرويه ، وأسفه وحزنه وخوفه عندما كان يقترب بشعلة نار منه .. وان النبات قادر على التفكير (هكذا !!) .. ويغمى عليه عندما يهدده بالعنف (!!) » .. الخ .. الخ .

فاذا كان العلم الحديث ـ على حد زعم هذا الكاتب أو غيره ـ يحس وينفعل ويحزن ويأسف ويفرح ويتخوف ويفكر ويغمى عليه .. الخ .. الخ ، فلماذا ننكر عليه انه كان يحن للرسول الكريم ، وينثني ليقبل يده ، او يبكي لفراقه ، ويحزن لموته ؟

لو صح أن للنبات حصالا مثل هذه الخصال ، لامكن تصديق حكاية النخل والسعف مع رسول الاسلام ، رغم أن ذلك لم يثبت حدوثه على الاطلاق .

لكن .. ما هي حقيقة كل ما يثار عن النبات ويقال ؟ .. وهل حقق العلم من ذلك شيئا ؟ .

باسم العلم يؤلفون الخرافات !

ان التضليل أو الغفلة قد تصل ببعض الكتاب الى حد الصاق الالقاب العلمية بمن هم ليسوا علماء على الاطلاق ، ليوهموا الناس بجدية ما يكتبون ــ فكليف باكستر الذي سبق ذكره على انه « عالم النبات الكبير » ، ليس بعالم على الاطلاق ، كما أنه لا يعرف عن علم النبات شيئا .. فهو ضابط شرطة سابق ، وواحد من الذين كانوا يعملون لحساب وكالة المخابرات المركزية في الولايات المتحدة ، وكان عمله ينصب على تسجيل الانفعالات النفسية أثناء استجواب المشكوك في امرهم بواسطة أجهزة حساسة تعرف باسم «بوليجراف» Polygraph ، (والمعروفة بين العامة باسم أجهزة كشف الكذب) .. المهم ان باكستر ــ بعد احالته الى الاستيداع ــ أراد أن يشغل نفسه بدراسات غريبة على النبات ، فلقد طاف بعقله ان النباتات كائنات حية ، وانها ربما تستجيب للانفعالات كما يستجيب لها البشر ذوو العقول ، ومن هذا المنطلق بدأ في اجراء تجاربه الغريبة والمثيرة ، وخرج منها بنتائج اكثر غرابة واثارة ، فكان أن ضمنها كتابا أطلق عليه « حياة النبات الغامضة » !

ولطرافة المعلومات التي جاءت في هذا الكتاب ، لاقى رواجا عظيما ، وانتشرت أخباره بين العامة والخاصة ، وكان ذلك بداية لعديد من المؤلفات والمقالات التي كتبها ونشرها كتاب يميلون الى اثارة القراء ، واظهار أن النباتات تمتلك حواسا أرقى من حواسنا ، وعواطف أرق من عواطفنا .

فمن ضمن التجارب المثيرة التي أوردها باكستر في كتابه أنه أراد أن يعذب النبات عن طريق غمس أحد أوراقه في فنجـان به قهوة ساخنة ، الا أن النبات لم يستجب أو ينفعل بهذه المعاملة ، ولم تسجل الاجهزة المتصلة به شيئا ذا بال ، وعندما فكر ـ مجرد تفكير ـ في حرق احدى أوراق النبات ، وأخرج من جيبه عود ثقاب ليشعله ، عند ذلك ، وقبل أن يشعل العود ، سجلت الاجهزة خطوطا فجائية ، وهذا يعني أن النبات قد انفعل لمجرد فكرة راودت خاطر باكستر ، ويعني أكثر أن النبات يستطيع أن يقرأ الافكار ، والا فماذا تعني هذه الخطوط الغريبة التي ظهرت فجأة قبل اشعال عود الثقاب ؟ !

وكانت هذه النتيجة الغريبة بداية لسلسلة من التجارب التي يريد باكستر أن يثبت بها أن النباتات تنفعل بالاحداث الكائنة حولها، وانها قد تدرك ما لا يستطيع البشر ادراكه (لاحظ أن الادراك من صفة الانسان وحده ، ولا يعرف ذلك نبات أو حيوان) ، فكان أن أحضر عددا من حيوان الجمبري الحي ، وأخذ يسقط الواحد تلو الاخر في ماء يغلي ، وفي كل مرة كان النبات ينفعل لهذا السلوك الوحشي من الانسان نحو الحيوان ، ويسجل تعاطفه أو استياءه على هيئة خطوط ترتفع وتنخفض .

وذهبت هذه التجارب الغريبة الى أبعد من ذلك عندما أوضح لنا باكستر أن لبعض النباتـات عواطف وتجـاوب مع أشخاص بذاتهم ، في حين أنها لا تتعاطف مع اخرين ، فهو يحكي لنا مثلا كيف كانت النباتات تطمئن لوجوده ، أو تهدأ لمجرد « سماعها » لصوته وهو يتحدث مثلا في حجرة مجاورة ، في حين أن هذه النباتات قد تظهر امتعاضها أو استياءها عندما يحضر شخص مثل بوب هنسون الذي يساعد باكستر في تجاربه ، وسبب عـدم الاستلطاف أن هنسون كان يعامل هذه النباتات معاملة غير طيبة !

وتجارب أخرى كثيرة تشير الى ظواهر نباتية غريبة ومثيرة . . ظواهر لم يعرفها العلماء الحقيقيون الذين يتعاملون مع النباتات ليل

نهار من خلال تجارب مقننة وهادفة ؛ ولا يمكن ــ بطبيعة الحال ــ أن تجد شيئا ــ ولو عابرا ــ في مراجعهم العلمية عن هذه الامور الغامضة التي يقول ادعياء العلم أنهم ــ اي العلماء ــ قد عاينوها واثبتوها وتأكدوا منها أن الشجر ارق احساسا من البشر !

لقد فجر باكستر بتجاربه الغامضة على النبات قنبلة كان لها في عقول الناس استجابة وهوى ، تماما كما فجر المدعو كينيث آرنولد قنبلة الاطباق الطائرة التي رآها بالقرب من جبل رينيير في واشنجطن في عام ١٩٤٧ (كما سنوضح ذلك في باب آت مستقل) ومن يومها لم يتوقف هوس الناس بالاطباق الطائرة ، وكذلك لم يتوقف الهوس منذ أن نشر باكستر كتابه « حياة النبات الغامضة » في عام ١٩٦٨ .

تجارب اخرى من الاتحاد السوفييتي

في العدد الاول من مجلة حديثة ذات اسم براق هو « النظم ذات الطاقات النفسية النشطة » ، وتحت عنوان مثير « تجارب اولية في التجاوب والاتصالات بين الانسان والنبات » يذكر **ف. ن. بوشكين** ــ صاحب هذه الدراسة ، وواحد من اساتذة علم أصول التدريس بأكاديمية في موسكو تحمل اسمه ، يقول ان الفضل في دراسته المنشورة في تلك المجلة ترجع الى الاكتشاف المذهل الذي توصل اليه كليف باكستر ، واستنتج منه ان النباتات ذات عواطف وأحاسيس كالبشر !

ولا ندرى لماذا ذكر بوشكين الروسي تجارب باكستر الامريكي دون أن يعيد اجراءها ليتأكد من صحتها ، خاصة وأن مثل هذه النتائج لمن الامور المثيرة التي تدفع الانسان دفعا لكي يتحقق بنفسه من مثل هذه الظواهر التي لم يسمع بها أحد من قبل .

لكن يبدو أن العالم الروسي كان أرق شعورا ، وأرهف حسا من زميله الامريكي ، فلم يلجأ في تجاربه الى كائن مائي حي ليلقيه في ماء يغلي ، بل لجأ الى فتاة ذات فتنة واغراء ، وعلى هذه الفتاة

ــ وتدعى **تانيا** ــ اجرى بوشكين تجاربه بالاشتراك أيضا مع أحد زملائه المدعو **ف. م. فيتنسوف** ، واستعانا بنبات « **ابرة الراعي** » (يعرف باسم الجارونيا أو الجيرانيوم) ، وأوصلاه بجهاز حساس يستخدم في دراسة المؤثرات الكهربية في جسم الانسان، وجاءا بالفتاة الجذابة ونوماها ، ولقد فعلا ذلك ــ كما يقولان ــ حتى يستطيعا اثارة عواطفها بسهولة وهي على هذا الحال ، وبدأت التجربة والمسافة بين النبات والفتاة المنومة لا تتعدى ٨٠ سنتيمترا ، وأجريت سلسلة من الاختبارات بدآها بأن أسرا الى الفتاة بأنها رائعة الحسن ، ممشوقة القوام ، فأثر فيها هذا الاطراء ، واحمر وجهها ، وانفرجت أساريرها ، لكن الغريب ــ كما يدعيان ــ أن النبات بدأ يسجل أيضا أحاسيسه في اللحظة ذاتها التي سرى فيها السرور في نفس تانيا ، اذ تموج الخط المسجل تموجات منفرجة ، لكنهما لم يستطيعا ــ على حد قولهما ــ أن يترجما معنى هذه التموجات ، فهل النبات سعد حقا لسعادة الفتاة ، او هل استاء لمثل هذا الغزل المكشوف ، وكانما لسان حاله يقول : ذئبان بشريان مع فتنة نائمة ، ولا خير فيهما للعلم والحياة ؟ ! .. هذا ان كان النبات قد تأثر حقا بما يجرى في الخفاء أو العلن !

ولقد ظل بوشكين و فيتيسوف يثيران الفتاة بايحاءات مختلفة، وافكار بعضها وقح ، وبعضها طيب ، ومع تغلغل هذه الافكار في عقلها اثناء تنويمها ، وانفعالها بها ، كان النبات ايضا يبعث « بانفعالاته » من خلال اقطاب خاصة ليرسم على الجهاز خطوطا متعرجة ، وحمدا لله انه لم يقتلع نفسه من اصيصه ليهجم على الرجلين ، ويخلص الفتاة من افكارهما السيئة !

القصد .. ان بوشكين ذكر في بحثه المنشور ان النبات قد اظهر امرا مثيرا للغاية ، فعندما طلب الحاضرون من الفتاة ان تختار رقما يقع بين واحد وعشرة ، وانها بالفعل اختارت الرقم نفسه الذي كانوا قد احتفظوا به سرا ، عندئذ فرح النبات ، وانسابت تهنئته الحارة على هيئة موجات خاصة .. اي كانما النبات يشارك

الناس افكارهم ، او يقرأ اسرارهم ، ويعرف ارقامهم ، او كأنما هو يمتلك ظاهرة التخاطر ، او قراءة الافكار .

وطبيعي ان هذه البحوث ليست من ذلك النوع الذي يرقى الى النشر في المجلات العلمية الجادة والمتخصصة ، بل مجالها مجلات مغمورة تلبس شيئا من ثوب علم زائف ، أو مجلات من ذلك النوع الذي يتمسح بالعلم ، اذ من غير المعقول ان تأتي مجلة علمية لها وزنها لتنشر بحثا يقول « ان العالم النفساني **اروين جريف** (وهو ليس بعالم على اية حال) قد دون ملاحظاته حول حياة النبات ، وتبين أن للنبات مشاعر كالانسان » (هكذا !!) .. وكان جريف من أولئك الذين يتمتعون بقدرات نفسية غير عادية تسمح له باجراء الاتصالات التخاطرية مع الاحياء والاشياء من حوله ، وهو يصف رحلة قام بها الى لونج ايلاند لاعطاء محاضرة فيقول انه كان يتطلع الى ما حوله في الحجرة التي جلس فيها قبل القاء المحاضرة ، وبدا ممارسة هوايته في الاتصال التخاطري بما حوله كوسيلة لتمضية الوقت ، فاسترعى أنتباهه نباتان بالحجرة ، وعندما قام بالتركيز على النباتين ، ادرك على الفور أن احد النباتين في حالة طبيعية عادية ، أما النبات الاخر فكان مريضا مختل القوى ، وعندما اقبلت صاحبة البيت ، نقل اليها جريف احساسه بالنسبة للنباتين ، فأخبرته أن النبات الاول طبيعي ، وانه قد مضى على وجوده في منزلها مدة طويلة ، اما النبات الثاني فقد جاء به الى منزلها حديثا أحد الاصدقاء ، وقال انه كان في حجرة باحد المستشفيات مع مريض يعاني من آلام السرطان قبل أن يموت ، ومن أجل هذا تحقق من أن النبات الثاني قد مرض واصابه الجنون (هكذا !!) لطول ما عاناه من آلام وهو يعايش آلام المريض المتوفي » !

مثل هذا الخيال السقيم لا يمكن ان تجد له اثرا في مجلاتنا العلمية لسبب بسيط ، ذلك أن النبات لا يمتلك جهازا عصبيا ، ولا مخا متطورا ليدرك به ما يدركه الانسان ، ودعك اذن من الحيوان ، فرغم أن للحيوان مخا ، وبه مراكز للمس والبصر والسمع والتذوق

والشم ، وله شيء من ذاكرة ، الا أننا لم نستطع أن نثبت أن حمارا او قطا أو خروفا قد مرض وأصابه الجنون حزنا على مرض انسان . فما بالنا بنبات لا يملك شيئا مما يملكه الحيوان .. ومع ذلك نرى الذين يتحدثون عن هذه البحوث الخادعة يؤكدون « أن للنبات جهازا عصبيا حساسا ، وحياة شعورية خصبة متنوعة ، والنبات شأنه شأن الانسان ، فيستجيب بمشاعر متباينة فيها الحب والكراهية والفرح والالم والاثارة والاغماء .. الى اخر هذه الاستجابات » !!

والذين درسوا العلوم الطبيعية في المدارس والمعاهد والجامعات لم يجدوا في كتبهم ما يشير من قريب أو بعيد الى وجود جهاز عصبي للنبات ، او انه يختزن الذكريات ، أو يعي عالمه بدرجات اكفأ من الانسان سيد المخلوقات ! .

الا أن هذا السخف والغث من القول يصل الى منتهاه عندما يذكر أحد الصحفيين في واحدة من المجلات الاسبوعية الواسعة الانتشار « أن رجلا موهوبا يدعى « **بيربانك** » استطاع بما قدمه من حب الى النبات ان يحصل على سلالات غريبة ، وان يقنع زهور الزنبق أن تتخلص من رائحتها القبيحة ، وتشع من حولها رائحة ذكية ، ويقنع نبات الصبار ان يتنازل عن اشواكه بعد ان بثه الحب ، ووعده بالحماية الكاملة » .. الى اخر هذه الاوهام والخزعبلات التي يلصقونها بالعلم لصقا .. اي كأنما موهبة بيربانك تستطيع أن تغير سنة الله في خلقه .. هكذا بمنتهى البساطة .. أو الحماقة ، لست ادري !

العلم يتدخل ويدحض تلك المزاعم

والى هنا تتدخل الجمعية الامريكية لتقدم العلوم لتفند هذه الخزعبلات وترشد الناس ، وتوضح لهم الغث من السمين ، والحق ان هذه الجمعية تتحمل مشكورة اعباء فوق اعبائها ، فما اكثر الاعباء التي يلقيها المضللون باسم العلم على عاتقها .

ويجيء البروفيسور **ارثر جالستون** عالم فسيولوجيا النبات الشهير بجامعة ييل الامريكية ، وهذا الاستاذ نفسه هو الذي وقف ضد حكومته ، وتزعم معارضة استخدام مبيدات النباتات والغابات في حرب فيتنام ، وقال ان هذه جريمة شنعاء في حق البيئة والاحياء ــ يجيء بكتاب كليف باكستر الذي بدأ به هذه الضجة الجوفاء ، والقى الطعم للكتاب الخياليين ليثروا المكتبات بكتب رديئة من ذلك النوع ، وناقش مع اعضاء الجمعية اثر هذه الكتب على عقول الناس عامة ، وعلى طلبته في الجامعة خاصة ، فيذكر أن حوالي ٣٠٪ من طلبته يعتقدون أن التحدث الى النباتات ، ومخاطبتها بأسلوب خاص ، يزيد من نموها ، ويكثر من انتاجها .

ودارت مناقشات طويلة حول المعلومات الغريبة التي ذكرها باكستر أو غيره في كتبهم ، واعترض بعض اعضاء الجمعية على تبني مثل هذه الخزعبلات وتحقيقها ، فهي لا تستحق أن يضيعوا فيها وقتهم وجهدهم ، وعليهم أن ينصرفوا الى ما هو أنفع واجدى ، لكن البروفيسور جالستون قد اقنع معظم الاعضاء بأنه من واجب هذه الجمعية الموقرة أن تحسم ذلك الموضوع ، وتضع حداً لهذا الهوس الذي يضلل الشباب ، حتى لا ينجرفوا مع تيار الخرافات التي أخذت تنتشر كالطوفان ، فاذا لم تتصد هذه الجمعية العلمية لذلك ، فمن ذا الذي يتصدى له اذن ؟ .

واخيرا اتفق الاعضاء على تكليف لجنة علمية لتدعو باكستر كي تناقشه في كيفية التوصل الى نتائجه ، ثم اعادة التجارب التي ذكرها باكستر في كتابه ، وتكونت اللجنة بالفعل ، وكلفت بعض المشتغلين في العلوم البيولوجية من تحقيق هذا الامر ، ليس لانهم يعتقدون في جدواها ، بل هم يريدون ان يبرهنوا بالتجربة أن كل هذه المزاعم باطلة .

وكلفت اللجنة دكتور **ادجار جاستيجر** احد علماء النبات في جامعة كورنيل باعادة التجارب ذاتها التي أجراها باكستر على نباتاته ، وبنفس الاجهزة والتكنيك الذي ادعى باكستر انه اكتشف

به استجابة النباتات للانفعالات ، كما أسندت الى دكتور جون كيمبتز عالم فسيولوجيا الحيوان شقا اخر من هذه التجارب .

وعاد الركب بنتائجه ، ويقف جاستيجر ليعلن أن ثلاثة من مساعديه في الجامعة ممن كانوا يتحمسون لافكار باكستر قد اعادوا تجاربه مرات ومرات ، واستخدموا فيها كل ما طلبوه من أجهزة وامكانيات ، ولكنهم أعلنوا في النهاية فشلهم في الحصول على اية نتيجة ايجابية ، ولم تظهر على النباتات اية انفعالات يمكن ان تسجلها الاجهزة .

ويجلس جاستيجر ، ويتقدم كيمبتز ليعلن انه كان من المتحمسين لما جاء في كتاب باكستر ، وانه استعان بباكستر في تصميم الاجهزة التي يمكن أن يعيد بها التجارب ليتأكد من صحتها ، الا أن النتائج ـ للاسف الشديد ـ لم تسفر عن شيء يذكر ، ولقد تقدم كيمبتز بالشكر لباكستر لانه أتاح لـه وللحاضرين فرصة المشاركة في مناقشة تمنى لو انها كانت ذات اثر يذكر في مجال البحوث !

لكن باكستر ـ رغم وقوعه في المصيدة ـ لم يجد امامه الا ان يهاجم الذين اعادوا تجاربه ، فوصفهم بعدم الدقة والامانة ، فيكظم الحاضرون غيظهم ، ويسألونه ان كان قد أعاد تجاربه ليتأكد من صحتها ، فقال انه لا حاجة له باعادة تجاربه ، ففي الاعادة مضيعة للوقت والجهد ، وظل باكستر يماطل ويراوغ ويتملص من اسئلة وقعت على راسه كالصاعقة ، واخيرا اراد أن يخرج من هذا المأزق بأن وجه النصيحة الى دكتور كيمبتز باعادة التجربة على طبقين بهما لبن متخمر (زبادي) ، ويعني ذلك أن كل طبق يحتوي على بلايين فوق بلايين من الميكروبات التي خمرت اللبن ، فاذا وضع سلكا في أحد الطبقين وأوصله بجهاز قياس الانفعالات ، ثم امد الطبق الاخر المعزول بلبن طازج ، فان الميكروبات في الطبق الموصول بالجهاز (والتي لم تأخذ نصيبا من اللبن الطازج) سوف تنفعل ، وتسجل انفعالها على الجهاز ، وكأنما هي تغار ، وتطالب بنصيبها من لبن مدرار !

والى هنا امتعض اعضاء اللجنة العلمية ، ولامتعاضهم هذا معنى ، فاذا كانت التجارب السابقة قد فشلت في اظهار الانفعالات مع نباتات راقية ، فهل يمكن أن تنجح مع نباتات دنيئة تتمثل في ميكروبات تخمر لبنا ، أو تعطي خمرا ، او تقدم مخللا ؟ !

ومع ذلك اعيدت هذه التجربة في حضوره ، وتحت اشرافه ، حتى لا يكون له بعد ذلك حجة ، وجاءت النتيجة سلبية !

ان العلم هنا أشبه بالدين ، فأحيانا ما ترتكب الموبقات والخطايا باسم الدين ، أو تحت ستار الدين ، وعلى أيدي أدعياء الدين .. وقد ينحشر ايضا في زمرة اهل العلم من ليسوا منهم ، وباسم العلم قد يمتهنون محراب العلم ، ويدنسون مقدساته ، ثم يأتي بعض الكتاب والصحافيين ويضفون على هؤلاء المخادعين صفة كبار علماء النبات ، رغم انهم ادعياء علم ليس الا !

التعليل خاطىء من اساسه

بعد ان أوضحنا موقف العلم من مثل هذه الخرافات التي يهلل لها بعض الكتاب ، كان لزاما علينا ان نعود الى مؤلف كتاب « **صنع الله** » ، فربطه بين هذه الخزعبلات وبين حكاية النخل مع الرسول الكريم قد لا يخفى مغزاه على لبيب ، فباسم الدجل الذي يلصق بالعلم لصقا ، يريد المؤلف ان ينبه الاذهان الى أن الذين ينكرون انحناء النخلة وبكاءها وأنينها ، مردود عليهم انكارهم بأدلة دامغة من العلم الحديث الذي أوضح لنا أن النبات يمتلك قدرات ومشاعر ، وما دام الامر كذلك ، فليس هناك ما يمنع النخيل أن تنفعل وتحزن وتتأوه وتبكي وترتعد لموت رسول الله .

لكننا نعود لنردد « ان كل ما بني على باطل فهو باطل » .

فلا النخلة براسها طأطأت ، ولا بكى جريدها ، ولا اثبت العلم الحقيقي ان للنبات عواطف وحنينا ، بل هي خرافات تلصق بالدين والعلم معا ، وتصبح عامل تلوث لهذا وذاك !

ثم اذا كانت النباتات تستمتع حقا بالموسيقى ، ويعتدل بهـا مزاجها ، فيزيد تبعا لذلك انتاجها بمقدار ١٠ ، أو ١٥ ، أو حتى ٢٥ ٪ على حسب ما تشير به هذه الافكار الساذجة ، فلماذا اذن لا نطبق هذا الاكتشاف في بساتيننا ومزارعنا ، فنذيع على النباتات برامج موسيقية مما تهواها ، لتجود علينا بزيادة محاصيلها ، فتوفر علينا بعض معاناتنا ، خاصة ونحن نعيش في عالم يسكنه مئـات الملايين من الجياع ؟ .. لماذا لم نجرب ذلك حقا ؟ .

الواقع أن استمتاع النباتات بالموسيقى خرافة وتضليل ، ولو وجد العلماء فيها ما يبشر بجزء ولو طفيف من أمل ، لكانوا قد درسوها دراسة وافية ، ليس على النبات فقط ، بل على الحيوان أيضا ، ليزيد ذلك في شحمه ولحمه ولبنه وذريته ، فالحيوان على الاقل له أذن يسمع بها ، ومخ يستقبل به أحداث عالمه ، وما نظن ان الحيوان يهتز للالحان ، أو يدرك ما يدركه الانسان .

لكن الحيوان يهتز للموسيقى !

وقد يطرأ على الذهن تساؤل : وما يدرينا أن الحيوان لا يتمايل مع الالحان ، أو يرقص على دقات الطبول ، خاصة وان الحيات مثلا تتمايل مع أرغول الفقير الهندي ، وان الخيول العربية الاصيلة ترقص على نغمات الموسيقى ، والقرود تهتز على دقات الدفوف التي يمارسها أصحابها طلبا للرزق من الناس ؟ .

ليس ذلك صحيحا تماما ، فالتجارب التي قام بها العلماء في عصرنا الحالي قد وضعت حدا لمثل هذه الخزعبلات ، واثبتت ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ أن الحيات مثـلا لا تهتم علـى الاطلاق بالموسيقى ـ هندية كانت هذه الموسيقى ، او عربية أو غربية ، فالحيات ـ في واقع الامر ـ صماء ، أي أنها لا تسمع أصوات عالمنا كما نسمعها ، وذلك لسبب بسيط ، فالحيات والثعابين ليس لها آذان لتسمع بها الالحان أو الاصوات ، كما أنها لا تمتلك مجرد فتحة ولا طبلة أذن لتستقبل بها الموجات الصوتية ، والغريب ان بعض

العرب القدامى قد عرفوا هذه الحقيقة عن الحيات ، وهي التي لا يزال معظم الناس ـ شرقا وغربا متعلمين كانوا او جاهلين ـ لا يعرفونها ، وفي هذا المعنى يقول شاعر منهم :

ذات قرنين من الافـاعي   صماء لا تسمع صوت الداعي

ويقول اخر محتجا على هؤلاء الذين يدعون أن الحيات تسمع الرقية أو التعويذة او الصفير ، وتخرج من مكمنها ، يقول :

انعت نضناضا من الحيـات   أصم لا يسـمع للرقات

وقول ثالث في قصيدة طويلة :

قد كاد يقتلني اصم مرقش   من حبكم والخطب غير كبير

والاصم المرقش مقصود به الثعبان المنقط او المخطط ، وهو اصم لا يسمع ، والسؤال الذي يفرض نفسه الان : لماذا ـ اذن ـ تتمايل الحيات ذات اليمين وذات اليسار ، كلما اطلق الفقير الهندي الحانه من المزمار ؟ .

الواقع أن الذي يحركها ليس النغم او الموسيقى ، لكنها تتمايل مع اي شيء يتحرك امام عينيها ، فلو انك لاحظت حركة الفقير الهندي وهو يلوح بمزماره يمنة ويسرة ، أو يموه بجسمه وراسه ، ثم قارنت هذه الحركات بحركات الحية او الكوبرا ، لادركت سر الخدعة ، ولعرفت أن حركتها مرتبطة بحركته او حركة مزماره (شكل ١٩ أ)، وليست بموسيقاه او انغامه ، ويكفي ان تدلل على ذلك باحضار كل الحيات ـ التي يظنون خطأ أنها تسمع الموسيقى ، وتطرب لها ـ وتغطي لها عيونها ، وتصدح امامها بمزمار ، او تسمعها كل الحان عالمنا ، عندئذ لن تتمايل حية ، ولن يتلوى ثعبان ، ولا ترقص كوبرا على الالحان ، مهما طال الزمان ! .

ان التجارب التي اجراها العلماء قد اوضحت ان الحيات تستقبل الاهتزازات الارضية الضئيلة للغاية على بطونها ، وبهـا تعرف ما يجرى حولها ، فلو انك احدثت ضوضاء جد عالية ، فلن

تتأثر بها ولن تتحرك ، لكنك لو لمست السلة التي يسكن فيها ثعبان أو حية لمسة خفيفة ، فسرعان ما يؤدي ذلك الى انتباهها وشعورها بتلك الهزات الطفيفة ، كما أن الحية تستطيع أن تشعر بقدم انسان يمس الارض ، حتى ولو كان يبعد عنها خمسة أمتار أو يزيد (شكل ١٩ ب) .

لهذا اذا سمعت « رفاعيا » (وهم مجموعة من الناس يزعمون انهم تخصصوا في استخراج الثعابين والحيات من مخابئها) ينادى على ثعبان بصفيره ، فلا بد أن تعرف أن في ذلك خدعة ، فالثعبان لا يسمع الصفير ، كما أن الرفاعي يخدع الناس خدعة أخرى عندما يزعم أنه قد أخرج الثعابين من مخابئها ، فهي لم تكن هناك بالمرة ، بل ان ما سعى اليه منها ، انما هي ثعابينه التي دربها تدريبا حسنا ، بعد أن يكون قد نزع أنيابها ، حتى يتقي ضررها ، وطبيعي أنه يخفي هذه الثعابين في جيوب سرية ، وقد يلقيها على الارض أو في مكان مهجور ، وبعدها يتمتم بالعزائم ، ويطلق الصفير ، ويطرق الجدران بيديه ، أو يضرب الارض بقدميه ، وهنا تستجيب ثعابينه لدعوته (عن طريق الاهتزازات الارضية) ، وتقبل نحوه ، فيلتقطها حيث كانت ، مدعيا أنها تستجيب « لعزيمته » وسحره ، والناس لكل ما يقول مصدقون ، وكأنهم لا يميزون بين الحقيقة أو الخرافة ، ولهذا تجوز عليهم أمثال هذه الخزعبلات التي عششت في عقولهم من قديم الزمن .

وقد يتشكك البعض فيما نقول ، لكن اثبات ذلك لا يحتاج الى لف أو دوران ، فلو أنك طلبت من الرفاعي الثعابين التي أخرجها من مخابئها ، والتي ادعى أنها ثعابينك ، فلن يمكنك منها على الاطلاق ، حتى ولو دفعت له قدر أجر استخراجها أضعافا مضاعفة ، ذلك أن تدريب الثعبان أو الثعبانين اللذين يحملهما معه يحتاج الى جهد كبير ، وهما ــ في الواقع ــ يمثلان رأس ماله ، وأكل عيشه ، ثم اذا كان استخراج الثعابين من البيوت بمثل هذه السهولة ، فان حصيلته منها قد تصل الى العشرات في اليوم الواحد (لانه يدخل

البيوت عشرات المرات ، وفي كل مرة يدعي استخراج ثعبان أو اثنين او اكثر) ، ولا شك ان ذلك العدد سيكون عبئا عليه ، فلماذا ــ اذن ــ لا يفرط اطلاقا في واحد منها او اثنين ؟ .

الجواب : ان الثعبان او الثعبانين أو الثلاثة هي ثعابينه المدربة ، لكنه يخدع بها الناس ، وما أكثر المخدوعين ، حتى ولو كان ذلك في اخراج الثعابين !

هل الخيول تهتز للموسيقى ؟ !

لكن الحصان غير الثعبان ، فللحصان أذنان مرهفتان ، ولا أحد يستطيع أن ينكر أنهما تسمعان ، ولهذا نراه رؤية العين وهو يرقص على الالحان ! .

وهذا صحيح .. لكن الحصان لا يدرك ما يفعل ، ولا يعرف للموسيقى طعما ، ولا للرقص معنى ، كل ما هنالك أنه قد درب على ذلك تدريبا حسنا .. مثله في ذلك كمثل القرد الذي يرقص ويعجن ويؤدي التحية .. الخ ، أو كمثل الثعبان المدرب ، أو حيوانات السيرك التي تأتي بحركات تثير اعجابنا وتصفيقنا ، وهي قطعا لا تدرك معنى تصفيق أو اعجاب ، أو لماذا تقوم اساسا بهذه الحركات، اللهم الا اذا دربت عليها ، ووعتها في ذاكرتها البدائية ، وكلما نجحت في استيعاب حركة من الحركات ، شجعها مدربها بما تهواه من طعام ومعاملة حسنة ! .

فلو اننا اتينا مثلا بقطيع هائل من الخيول او القرود او الحمير او البط .. الخ ، وعزفنا لها الحانا من ذلك النوع الذي يثير مشاعرنا ، ويحرك وجداننا ، ويدفعنا أحيانا لتحريك أرجلنا أو اصابعنا مع نغماتها ، أو قد نقوم لنرقص على ايقاعها ، لو أننا عزفنا تلك الموسيقى أمام هذه الحيوانات ليل نهار ، فلن نشهد حصانا واحدا وهو يرقص « سامبا »، ولا حمارا يؤدي « الرومبا » ، ولا قردا يهتز كما تهتز راقصات الزار من البشر ، ولو فعل

الحيوان ذلك ، لكان معنى هذا أنه يدرك معاني الجمال كما يدركها الانسان ! .

اذن فالحيوان بدون تدريبات طويلة لا يستطيع أن يأتي بحركة واحدة لها في عقولنا مغزى ، فالحصان الذي نراه يرقص على الارغول ، ودقات الطبول ، لن يترك طعامه ، أو يبرح مكانه ليرقص تلقائيا على هذا الايقاع ، بل لا بد من حضور صاحبه ليؤثر فيه ، فيستجيب الحصان ، ويؤدي حركته دون عاطفة أو سعادة أو احساس بفن او انغام ، وبعدها سوف يحصل من صاحبه على قطعة من سكر أو اي شيء يهواه ، ومن هذه العلاقات المتبادلة بين الانسان والحيوان ، قد تظهر امور لنا فيها تأويلات شتى ، وكثيرا ما يجنح بالناس الخيال والاوهام ، فيتصورون أمورا لا يقرها عقل ناضج ، ولا فكر صائب ، ولا منطق قويم ! .

وللعلماء في معاملهم مع الحيوانات وسلوكها تدريبات كثيرة وشاقة (شكل ٢٠ أ ، ب ، ج ، د) لكنهم لا يفعلون ذلك من أجل تسلية أو اثارة أو بيعها لحلقات السيرك ، بل هم — في الواقع — يبحثون بحثا جادا في أسرار المخ والذاكرة والجهاز العصبي عموما ، لكن الامر يختلف مع النبات ، فلم نسمع ان للنبات جهازا عصبيا يجعله أكثر استجابة للمؤثرات التي تؤثر في الحيوان ، هذا رغم أن علم تشريح النبات الذي بدأ منذ مئات السنوات قد عاين كل صغيرة وكبيرة في خلاياه وأنسجته وأعضائه ، وانه قد استعان على ذلك بالميكروسكوبات الضوئية والاليكترونية ، فلم يكتشف فيه آثارا لجهاز دوري أو عصبي أو ليمفاوي او حسي كما هو الحال في الحيوان ، وهذا يعني أن النبات أبسط بناء وأيسر تكوينا من الحيوان ، ودعك من الانسان سيد المخلوقات جميعا ، فهو الوحيد بين ملايين الانواع الذي يعرف معنى الادراك ، وبه ميز بين الاضداد ، وعرف النقائض في خيرها وشرها ، وجمالها وقبحها ، وفضيلتها ورذيلتها ، وماضيها ومستقبلها ، وثوابها وعقابها ، ولا يعرف ذلك قرد او خروف أو حصان أو نبات .

وقد يقول قائل : لكن هناك نباتات تحس وتشعر وتستجيب للمسة من اصبع ، وعندئذ نراها وقد بدات تضم وريقاتها ، وتدلي أوراقها ، وتنكمش على نفسها ، وكأنما هي تستحي من لمسة أصابتها ، ثم تعود بعد فترة قصيرة ـ ربما دقيقة ـ الى سابق وضعها ، فاذا لمست مرة أخرى عادت الى الظاهرة ذاتها .. أليس ذلك دليلا على احساس وشعور ؟ !

ليس ذلك تماما ، وان كانت الظواهر تشير الى ذلك ، فاحساس النبات لا يعني انه يمتلك جهازا عصبيا كما اشارت المعلومات المضللة التي سبق أن أوردناها ، اذ لو الم هؤلاء الكتاب ببعض اساسيات علم النبات ، لعرفوا أن حركة اوراقه ووريقاته تتم بميكانيكية أخرى تختلف في الطبيعة والتفاصيل عما يجرى في عالم الحيوان .

ففي عائلة البقوليات توجد عدة نباتات قليلة تمتلك هذه الظاهرة المثيرة ، ومن هذه النباتات نأخذ الميموزا Mimosa كمثال (وهو نوع من أنواع السنط) ، فلقد قام علماء النبات بدراسته وتشريحه ، فوجدوا عند موقع اتصال نصل الورقة بالساق انتفاخا ظاهرا ، وكذلك عند اتصال الوريقات بالنصل الاساسي (انظر شكل ٢١) ، وتعرف هذه الانتفاخات باسم الوثارة أو الوسادة (Pulvinus) ، وعند تشريحها وجدوا فيها خلايا رقيقة دائرية أو بيضاوية ذات جدر رقيقة نسبيا (وهي التي يعرفها طلبة المدارس والجامعات في كتبهم الدراسية باسم الخلايا البرانشيمية Parenchyma Cells) ، لكن تلك الخلايا تتميز عن الخلايا البرانشيمية الاخرى باتساع المسافات البينية التي تحيط بها من كل جانب ، كما ان جدر الخلايا في النصف الاعلى من الوسادة أسمك من جدر خلايا النصف الاسفل ، (وكل هذا قد جاء لحكمة سنوردها فيما بعد) ومن القياسات التي اجريت على تلك الخلايا تبين أنها منتفخة بالعصير الخلوي ، ولهذا فهي دائما واقعة تحت قوة شد أو توتر Tension .. وبمجرد لمسها أو الضغط الخفيف عليها

يهرب الماء من داخل الخلايا الى المسافات البينية خارجها ، وعندئذ تقل قوة الشد او التوتر الكائن في داخل الخلايا ، الا أن التوتر يكون اقل في النصف الاسفل (لان جدر خلاياه أرق نسبيا من جدر خلايا النصف الاعلى ، ولهذا يفقد ماء اكثر ، ويقل التوتر فيه بدرجات اكبر) ، ومن شأن هذه الميكانيكية ان تؤدي الى تغير في تكوين الوسادة ، فتفقد بعض صلابتها ، وينعكس ذلك على حركة الورقة والوريقات، فتتدلى بطريقة توحي الينا بأن النبات يستجيب للاحساس .

لقد ذكرنا ذلك ، ليتبين لنا أن كل شيء يتم حسب خطط موضوعة في النظم البيولوجية التي تكمن في عالمي النبات والحيوان ؛ وذكرناه أيضا لنصحح تلك المزاعم الخاطئة التي هي اقرب الى الخزعبلات منها الى علم له أساس .

والواقع ان هناك مؤثرات كثيرة تؤثر على النبات ؛ فحركته مع حركة الشمس ، أو سعي الجذر نحو الجاذبية الارضية ، أو تغيير مساره نحو مصدر مائي ، أو انطوائه على نفسه ليلا ، أو انكماش أوراقه اذا اشتدت الحرارة .. الخ .. الخ ، كل هذا مدروس ومعروفة اسبابه ، وتتحكم فيه عوامل كثيرة ، ليسير كل شيء وفق برنامج بديع من لدن حكيم خبير ، لكننا لن نتعرض لذلك هنا ؛ فليس هذا مجاله .. اذ يكفي ما قدمنا فأوجزنا .



الفصل السابع

الأطباق الطائرة .. وهم أم حقيقة ؟

في مساء يوم ٣ مارس عام ١٩٦٨ ، حل بالناس القاطنين في تسع ولايات أمريكية هوس غريب ، ورعب شديد ، اذ تجلى لهم في تلك الليلة المثيرة « طبق طائر » يحلق فوق رؤوسهم في الفضاء ، وعندئذ انهالت المكالمات الهاتفية على الجهات المعنية ، وراحت تصف للمسئولين ما راوه وشاهدوه بأنفسهم ، وفي اليوم التالي نشرت الصحف والمجلات ما رآه الناس رؤية العين ، ثم راحت أجهزة الاذاعة والتليفزيون في تقديم أخبار مثيرة عن ذلك « الغزو » الذي ياتينا من الفضاء على هيئة أطباق طائرة تحمل مخلوقات غريبة .

ولقد اهتمت الجهات العلمية والحكومية بهذه الانباء ، وبدات في تجميع كل المعلومات التي رآها الناس في مساء ذلك اليوم ، وانبثق منها تقرير كبير يقع في أكثر من ٤٠٠ صفحة « فولسكاب » ، وطبيعي أننا لا نستطيع أن نعرض ما جاء في ذلك التقرير أو بعضه ، بل يكفي أن نلتقط منه ادق وصف لتلك الظاهرة .

في خطاب طويل ومزود برسومات لذلك الطبق الطائر الذي ظهر في ليلة ٣ مارس ، راحت سيدة تصف هذا الحدث العجيب فتقول « في تمام الساعة التاسعة الا ربعا ، وبتوقيت تينيسي ، خرجت أنا وزوجي والعمدة بعد العشاء الى الخلاء لنتمشى ونتحدث ، وفي هذه الاثناء رنوت ببصري الى الافق الواقع الى الجنوب الغربي ، فرايت جسما مضيئا ينطلق في السماء ، لكن ضوءه كان اكبر واوضح من اي نجم لامع .

وعندما أشرت الى زوجي والى العمدة برؤية ما رايت ، بدا الضوء يكبر ويتضح ويلمع اكثر ، وكان يسير في مسار يشبه القوس ، ثم بدا يغير الوانه ، ويقترب منا . انه الان اكبر واقرب ،

وهو يشبه سيجارا ضخما ، أو جسم طائرة عملاقة ، وعلى هذا الجسم تتراص نوافذ مربعة ، فأثار ذلك دهشتنا البالغة ، لكننا تماسكنا وحبسنا أنفاسنا ، واخذنا نرقب هـذا المشهد بحذر شديد ، ثم بدأ الجسم الطائر يتجه الى الزاوية التي يقع فيها بيت العمدة ، ولقد وقفنا وقتها صامتين .. لا حركة ولا كلمة ولا همسة ، لكن حلت بي بعد ذلك صدمة ، اذ اختفى هذا الجسم هنيهة عن أنظارنا بسبب وجود بعض الاشجار ، ثم اذ به يظهر فوق رؤوسنا فجأة !

ولقد دفعني فضولي لكي أعد نوافذ هذا الجسم الغريب ، لكنني طردت هذه الفكرة بعد أن تطلعت عيناي الى ظواهر اعجب وأغرب ، فشدت اليها اهتمامي ، من ذلك مثلا ان الجسم الطائر كان ذا بريق معدني غريب ، ولقد أعطاني ذلك شعورا بأنه اقرب الينا مما نتصور ، ثم ظهر لنا ضوء خافت ينعكس على السطح السفلي من هذا الجسم ، وقد يرجع انعكاس هذا الضوء ــ على حد اعتقادي ــ الى أضواء المدينة القريبة ، أو ربما كان من الجسم ذاته ، فلست متأكدة من ذلك .

ولقد كانت دهشتي بالغة عندما رنوت بعينـي الى النوافذ الكثيرة التي بدأت تبعث بضوء ساطع ، أو هو أشبه بالضوء المنبعث من منازلنا المضاءة من الداخل ، ولقد حاولت أن أتبين وجود مخلوقات او أشياء أخرى داخل هذا الجسم ، لكنني لم أستطع لضيق الوقت ، ثم تضيف السيدة الى ذلك فتقول « ان تقديري المبدئي للجزء المضاء من هذا الجسم يقع في حدود ٧٥٪ من طوله ، في حين ان حوالي ربعه الخلفي يبدو مظلما ، واود ان أؤكد ان الضوء الصادر من هذا الجسم لا يشبه الاضواء المتقطعة والمنبعثة من طائراتنا أثناء تحليقها ، ثم ان الجزء الخلفي منه كان ينفث وراءه ذيلا من نار ضعيفة ، وكان هذا الذيل بعرض مؤخرة هذا الشيء الطائر ، أما لون النار فمزيج من أحمر وبرتقالي واصفر ، وهو اضعف في ضوئه من الضوء المنبعث من نوافذنا » .

وتقول السيدة في جزء اخر « لقد أصغيت تماما في سكون الليل علني اسمع صوتا أو همسا ، فلم اسمع شيئا على الاطلاق ، ولقد كانت هذه أكثر اللحظات رهبة في حياتي ، فالجسم تأكيدا لم يكن طائرة ، ولو كان ، لسمعنا أزيزا واضحا ، خاصة وانه كان قريبا منا ، اذ لم يكن يفصل بيننا وبينه الا مسافة لا تزيد على ألف قدم (وخداع النظر قد جعلها تخطىء هنا خطأ فاحشا كما سيتبين لنا فيما بعد) ، يضاف الى ذلك أن الطائرة تنطلق في خط مستقيم ، في حين كان مسار هذا الجسم ملتويا كقوس . ولقد ظهر واضحا ــ بعد ذلك ــ ان هذه المركبة الغريبة قد أخذت تبتعد عنا شيئا فشيئا ، وعندئذ تعلقت عيناي بالشريط الناري الذي يتركه هذا الجسم وراءه ، ولقد كنت أتوقع أن أرى في مؤخرته لهيبا من نار مندفعة ، لكنني لم الاحظ ذلك ، كل ما لاحظناه أن الاثر الناري قد زاد لمعانا ، وربما كانت زيادة اللمعان نتيجة رؤيتنا لعمق النيران المندفعة من الذيل ونحن ننظر اليها من الخلف (لاحظ ان السيدة تحاول أن تعلل كل شيء وكأنما هي عليمة بكل الامور ، لكن كل تعليلاتها كانت خاطئة كما سيتضح لنا بعد ذلك) .

وفي النهاية اخذ هذا الجسم النفاث المضيء ينطلق ويبتعد عن أبصارنا شيئا فشيئا ، حتى هيىء الينا وكأنما هو يلاصق الاشجار البعيدة الواقعة في الشمال الشرقي ، وبعدها اختفى للابد عن الانظار » !

لقد بدا أن السيدة في خطابها ووصفها لما رات كانت دقيقة وأمينة ، ثم ذهبت الى أبعد من ذلك وذكرت في التقرير انها كانت في صحة جيدة ، وحالة نفسية طيبة ، وانها تناولت طعاما قليلا مع بعض مشروبات كحولية خفيفة ، ثم انها لم تأخذ حبوب هلوسة ، ولم تتناول دواء من الادوية التي تؤثر في العقل ، أو تزيغ البصر ، واوضحت مركزها الاجتماعي ، وكيف أنهـا تتمتع بثقـة الناس واحترامهم ، وأكدت أنها كانت متيقظة ومنتبهة تماما عندما راقبت بحذر واهتمام شديدين تلك الظاهرة التي لم تشهد لها من قبل مثيلا .

ولقد تضمن خطابها رسما توضيحيا لهذا الجسم ـ كما راته ، فجاء كمنطاد مستطيل ، وعلى احد جانبيه تتراص نوافذ عشرة ، وتحت الرسم كتبت معلقة : لقد انصب اهتمامي على النظر خلال هذه النوافذ ، وليس على شكل النوافذ ذاتها ، الا انني اكاد اجزم ـ رغم ذلك ـ أن النوافذ كانت متناسقة ومتراصة بنظام وفي وضع أفقي مستو ، مع تأكيدي أن النوافذ كانت واضحة تماما ، وذات شكل محدد ، وانها أكبر من النوافذ التي تتراص على جوانب طائراتنا ، واخيرا تستنتج من كل ذلك أن هذا الشيء ربما كان من النوع « السري جدا » (تقصد قمرا صناعيا للتجسس) أو ربما كانت سفينة قادمة من الفضاء الخارجي !

وصف اخر لسيدة حاصلة على درجة دكتوراه في العلوم

لكن تلك السيدة (واسمها المستعار في التقرير « ماري ») لم تكن هي الوحيدة التي وصفت مثل هذا الوصف الدقيق والمطول ، بل هناك عشرات غيرها ، فها هي « اليزابيث » الحاصلة على درجة الدكتوراه في العلوم ، والتي تقوم بالتدريس في فرع تخصصها تكتب بدورها عن هذه الظاهرة فتقول أن لها اهتمامات خاصة بهذه « الاشياء الطائرة غير المعروفة » ، والتي يطلق عليها العامة اسم الاطباق الطائرة ، وان ما راته في هذه الليلة لا يمكن أن يكون ظاهرة طبيعية ، بل كان حقيقة واحدا من الاطباق الطائرة !

وبعد أن قدمت د. اليزابيث رسما توضيحيا لما رات ، بدات تسرد في خطابها انها تطلعت الى هذا الجسم المحلق من خلال منظار مقرب ، ثم راحت بعد ذلك ترقبه بعينيها المجردتين ، فظهر لها ـ باديء ذي بدء ـ على هيئة أقرب بالشهاب او المذنب ، لكنها استبعدت أن يكون هذا أو ذاك ، فمظهره وحركته وألوانه تنفي ذلك ، كما أن هذا الجسم قد صار اجساما ثلاثة بعد أن اقترب من الافق ، وابطأ من سرعته ، ولقد تراوحت الوانها ما بين البرتقالي

ثم الابيض ثم الاحمر ، ومن الغريب ـ كما تقول ـ أن الاجسام الثلاثة كانت تحلق في تشكيل جوي متقن ، وانها كانت تتحرك ببطء شديد في اتجاه الشمال الشرقي .

ولقد دفع حب الاستطلاع اليزابيث لكي تطلق للجسم المحلق شفرة ضوئية محددة من بطارية قوية كانت معها ، ولقد تكررت الشفرة مرات اربعة ، لكن احدا في هذا الجسم لم يجاوبها بشفرة مماثلة ، ولقد أكدت هي بدورها أيضا انها لم تسمع من الجسم صوتا على الاطلاق ، لكن كلبها البالغ من العمر سنة وخمسة اشهر قد نظر الى هذا الجسم ، ثم تمدد وتكوم على نفسه ، وكأنما هو يرتعد من الخوف حتى الموت .. (وهذا ظن خاطىء ، لان الكلاب كثيرا ما تفعل هذه الحركة ، وقد تكون الصدفة هنا لعبت دورها) .

ووصف من انديانا للظاهرة نفسها

وتأتي رسالة أخرى من انديانا ، وفيها يقول صاحبها « في حوالي الساعة العاشرة الا الربع بتوقيت انديانا نظرت من النافذة لتقع عيني على جسم طائر عبر الوادي ، وبعد دقيقتين أو ثلاثة ، رأيت عمي وعمتي وابن عمي يندفعون الى منزلي وهم يتصايحون ويخبرونني عن الطبق الطائر الذي راوه ، وقالوا انهم وجيرانهم قد شاهدوه وهو يمرق من الافق الى الافق في وقت جد قصير .

ولقد اكدوا جميعا ان هذا الشيء المحلق كان يطير فوق قمم الاشجار ، وانهم رأوه بوضوح ، لانه كان يبعد عنهم امتارا قليلة (وهذا خطأ كبير كما يتضح فيما بعد) ، وهو يشبه الى حد بعيد جسم طائرة نفاثة لكن بدون أجنحة ، ولقد كان يطلق السنة من نيران تندفع من الامام ومن الخلف ، واتفق جميع هؤلاء المشاهدين على أن ذلك الجسم كان مزودا بعدة نوافذ .

ويضيف كاتب تلك الرسالة قائلا « ان ابن عمه قد ذكر له أنه كان في امكانه أن يرى ركاب هذا الجسم من خلال النوافذ لو انهم جلسوا بجوارها ، وأخيرا تستنتج الرسالة أن هذا الجسم العجيب لا بد أن يكون طبقا طائرا » !

ومن التقارير الغريبة التـي تجمعت أيضـا لدى الهيئـات الرسمية تقرير يقول مرسله « يجب أن الفت النظر الى أن النار التي اشتعلت في الحشائش والاعشاب الموجودة في المنطقة لم تكن حريقا واحدا ، بل حرائق عدة ، لانها اشتعلت في مناطق متفرقة ، ولقد بلغ عددها ـ كما علمت ـ ٧٢ حريقا حتى صباح اليوم الذي ظهر فيه هذا الطبق الطائر ، واظن أنه كان السبب في تلك الحرائق ، وأرجو أن ترشدوني الى ما يمكن عمله اذا ظهر مثل هذا الجسم مرة اخرى ، ولقد تضايقت من الناس الذين شاهدوا هـذه المركبة الطائرة ، ولم يحاولوا اطلاق النار عليها ، أو تتبعها واسقاطها » ... الخ .

والتقارير التي تصف هذه الظاهرة تعد بعد ذلك بالمئات ، ولكل من رآها وصف يختلف عن وصف الاخرين ، لكن الجميع قد اتفقوا على أمر واحد : فهذا الشيء الغريب المحلق ليس الا طبقا طائرا به نوافذ ، ومن النوافذ تنطلق اضواء ذات الوان شتى ، وانه كان قريبا من الارض .

هذا طبعا راي بعض النـاس ، ودعك اذن من الحـكايات والاساطير والتعليقات والمبالغات التي تتردد على السنة كل الناس بعد ذلك ، أو التي تنساب من اقلام الكتاب الذين يؤلفون المقالات والكتب عن الاطباق الطائرة (وهي كتب تدر عليهم دخلا يسيل له لعاب المؤلف) ، فالذين يقدمون للناس الاخبار المثيرة لا يهمهم أن يتحروا الحقيقة ، بل كل همهم أن يعرضوا بضاعتهم الشيقة كما يصورها لهم خيالهم ، وبهذا تروج كتبهم ، ويأكلون خبزهم .

العلم يكشف الحقيقة

لقد تجمعت أحداث هذه الظاهرة المحيرة ـ التي أكد الناس انها كانت من « فصيلة » الاطباق الطائرة ـ في سجل بلغت عدد صفحاته أكثر من أربعمائة ـ كما سبق أن قدمنا ، وجدير بالذكر هنا أن لدى الحكومة الامريكية (بما في ذلك السلاح الجوي واجهزة

الدفاع الرادارية وملفات البحرية وادارة المخابـرات المركزية) والهيئات العلمية من هذه السجلات ما لو جمع ، لصار مجلدات من فوق مجلدات تنوء بحملها الخيل والبعير ، وهي جميعا تتعرض لمثل هذه الظواهر التي يرجعها الناس الى ما يسمونه خطأ بالاطباق الطائرة .

وعلينا الان أن نقدم راي العلم بعد أن اختلفت آراء الناس ، وتعددت أوصافهم وتقديراتهم ، وهذا الاختلاف قد يشكل عبئا على العلماء عند بحثها وتعليلها .. اذ أن العلماء هنا كخبراء الجريمة او رجال الشرطة الذين يحققون حادثة ، فاذ بأقوال الشهود تختلف في التقدير والوصف ، مما يشتت الجهود ، أو يضلل العقول الباحثة عن الحقيقة .. لكن ما أكثر اختلاف الناس في تقديراتهم للظواهر غير المألوفة خاصة عندما يشهدونها لاول مرة ، ولا يعرفون عن أسرارها شيئا مذكورا .. أضف الى ذلك أن الظاهرة المثيرة او المخيفة او المدهشة قد تغير نفسية المشاهد ، وقد يترتب على ذلك خلط في أحاسيسه ، أو ارتباك في رؤيته وتقديراته .. الى اخر هذه الامور التي يحسب لها العلماء الف حساب وحساب .

اذن .. فما هو هذا « الطبق الطائر » الذي يشبه سيجارا ضخما ، وبه نوافذ مضاءة ، ويطلق الحرائق الارضية ، ويحلق فوق قمم الاشجار بدون صوت ، ويسبب خوف الكلاب ورعدتها حتى الموت ــ كما جاء في أحد أقوال شهود العيان ؟ .

الواقع أن تعليل هذه الظاهرة أو الحادثة التي أرعبت الناس في تسع ولايات أمريكية وسببت للمسئولين في أجهزة الامن والدفاع متاعب وهوسا لا حدود له ، تعليل أبسط مما نتصور .. صحيح أن الناس قد أجمعت على أنها لطبق طائر ، لكن الحقيقة أنها كانت **لزوند** !

وما هو زوند هذا ؟

انه **زوند الرابع** .. زوند الروسي الذي انطلق من الاتحـاد السوفييتي في صبيحة ذلك اليوم المشهود ــ اي يوم ٣ مارس عام

١٩٦٨ ، ثم تجلى للناس في مساء اليوم نفسه على هيئة مثيرة ، وما كان له أن يظهر بتلك الهيئة لولا خطأ قاتل سوف نتعرض له بعد قليل .

فزوند الرابع واحد من سلسلة الاقمار الصناعية التي يطلقها الاتحاد السوفييتي لاكتشاف الكون الخارجي ، ولقد أعلنت موسكو ـ في صبيحة هذا اليوم ذاته ـ انها اطلقت قمراً صناعيا ليتخذ له حول الارض مدارا ، وكان من المقرر أن تشتغل الصواريخ الحاملة للقمر الصناعي في فترة ما بعد اطلاقه من الارض ، لكن يبدو ان خطأ فنيا قد حل بالتجربة ، فلم تنجز الهدف الذي اطلقت من اجله ، وتبع ذلك أن دخل القمر منطقة جاذبية الارض مرة أخرى ، واندفع خلال الغلاف الهوائي في طبقات الجو العليا بسرعة رهيبة ، وهنا حدث ما ليس منه بد ، اذ نتج عن ذلك احتكاك جبار بين زوند الرابع ، وبين جزيئات الهواء ، فأدى ذلك الى ارتفاع هائل في درجة حرارته الى الحدود التي تسببت في توهجه ، ثم ما تبع ذلك أيضا من انطلاق شرر كثيف يشبه النار الموقدة التي تتلون بألوان عدة ، فأدى الى انفصال القمر الى أجزاء متعددة ، فسبحت في الفضاء الواحدة بجوار الاخرى ، فهييء للناس ان تلك الاجزاء المتوهجة ليست الا نوافذ مضاءة في سيجار أو « طبق » طائر !

ولقد لعب خداع البصر ، وحالات الناس النفسية ، وتهيؤهم ذهنيا للدعايات التي يسمعونها ليل نهار عن غزو الارض بأطباق طائرة ، لعب هذا وغيره دورا مهما في اختلاف الاوصاف وتقدير المسافات في الظاهرة الواحدة .. فمنهم من قال انه راى « الطبق الطائر » فوق قمم الاشجار ، ومنهم من اكد انه كان ينطلق على ارتفاع الف قدم أو الفين او خمسة آلاف ، لكن الحقيقة أن زوند الرابع كان يسبح على ارتفاع ١٢٠ كيلومترا من سطح الارض ، أو حوالي ٤٠٠ الف قدم !

وهكذا فقد قدم لنا العلم الحل الصحيح لظاهرة جوية من صنع الانسان نفسه ، ولو لم يتوصل العلماء لشرحها وتوضيحها للناس ، لكان لزوند الرابع شأن أخر ، ولاصبح له في أفواه الناس واجهزة الاعلام والكتاب الذين يحبون الاخبار المثيرة مادة دسمة لنسج مزيد من الخزعبلات والاساطير التي قد تترسب في الاذهان بمرور الزمن ، وعندئذ قد يرجعون كل ظاهرة طبيعية او صناعية الى ما يسمونه بالاطباق الطائرة ، وهي ظاهرة ـ كما يصفها لنا دكتور **دونالد مينزل** أستاذ الفلك والفيزياء الكونية بجامعة هارفارد بقوله « انها أسطورة من الاساطير الحديثة التي توافق العصر الذي نعيش فيه » !

بداية الاسـطورة !

وطبيعي ان لكل أسطورة بداية ، ولقد بدات أساطير الاطباق من مشاهدة عابرة لرجل أعمال امريكي يدعى كينث آرنولد ، اذ بينما كان يحلق بطائرته الخاصة في يوم ٢٤ يونيو عام ١٩٤٧ بالقرب من جبل رينيير في واشنجطن ، اذ به يكتشف وجود ظاهرة غريبة قال عنها « لقد كانت تطير قريبة جدا من قمم الجبل على هيئة طابور يمتد لاميال خمسة ، وبدت لي وكأنما كل واحدة تلتصق بالاخرى ، ولقد كان عددها تسعة من أجسام تشبه الاطباق ، وكانت تنحرف ببراعة كلما قابلت في طريقها قمة من قمم الجبل ، ثم تهبط ببراعة في المنخفضات ، ثم ترتفع .. وهكذا ، ثم انها كانت ذات سطوح مستوية ولامعة لدرجة انها كانت تعكس اشعة الشمس ، وكأنما هي مرايا مصقولة (شكل ٢٢) ... انني اقرر انني لم اشهد ما هو أسرع منها في حياتي » !

وعندما نشر السيد آرنولد هذا الكلام واذاعه بين الناس ، ثم تناولته الصحافة بنوع من الاثارة ، وعلى طريقتها الدعائية الاعلانية الخاصة ، اطلقت على هذه الاجسام اسم « الاطبـاق الطائرة » Flying Saucers ، وما هي باطباق ، ولا هي بطائرة ،

انما هي نوع من السراب الخادع الذي ظهر نتيجة لظروف جوية خاصة هيأت ظهوره ، وهذه الظروف الجوية يعرفها العلماء باسم الانقلاب أو الانعكاس الحراري Temperature inversion ، اذا كان الهواء في ذلك اليوم ــ وعلى الارتفاع الذي كان يطير عليه ارنولد (٩٥٠٠ قدما) ــ ساكنا وصافيا ، وهذه الشروط من شأنها أن تساعد على مثل ذلك الانعكاس ، وتكوين خداع ضوئي ظنه ارنولد أجساما لامعة كالاطبــاق .

والذين يرجعون الى ملفات القوات الجوية الامريكية سوف يجدون تقريرا مفصلا عن حالة ارنولد واطباقه (وهو أول تقرير ظهر في هذا المجال) ، ويشير هذا التقرير الى أن تقديرات ارنولد كانت متضاربة ومتناقضة وليس فيها نوع من الترابط الذي يمكن أن نخرج منه بنتيجة لها معنى ، ثم ان الالتباس أو الخداع البصري قد ظهر في تقديره لحجم هذه الظــاهرة أو حركتهــا أو بعدهــا عنه .. الخ ، فحيث ظنها هو بعيدة عنه ، وسريعة جدا في حركتها ، الا أن تصريحاته للمسئولين جعلتهم يوقنون انها كانت قريبة منه ، وأبطأ مما كان يتصور ، مثلها في ذلك كمثل خدعة زوند الرابع ، اذ أكد شاهدو العيان أن « طبقهم » الخيالي كان قريبا جدا ، في حين انه كان بعيدا جدا ، ثم ان أقوالهم تضاربت في كثــير من تفاصيلها .. والنتيجة أن التقرير قد استخلص أن السيد آرنولد وقع ضحية خدعة الانعكاس الحراري ، كما يقع مسافرو الصحراء مثلا في خدعة السراب الذي عبر عنه القرآن الكريم « **كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا** » .. وكذلك لم تكن الاطباق شيئا !

لكن .. ماذا نعني بالانعكاس الحراري .. ؟ وما هي ظاهرة السراب التي يمكن ان تظهر معلقة في الهواء ، فتخدع الناس ، وتثير ثائرتهم ؟ .

الواقع ان حرارة الشمس تؤثر في الكتل الهوائية الساكنة ، فتجعل منها طبقات من فوق طبقات ، ولكل طبقة منها حرارتها

وكثافتها ، فيحدث انكسار او انعكاس ضوئي خلال تلك الطبقات لصور اشياء في الهواء أو على الارض ، والماء السراب ليس الا حالة من هذه الحالات ، لكن هناك حالات أخرى قد ترى فيها مدينة او جزيرة أو غابة ــ أو أصغر من ذلك او اكبر ــ معلقة في الهواء ، وليس التعبير الشائع « قصور أو قلاع في الهواء » وصفا خياليا محضا ، بل انه من الممكن ــ وتحت ظروف جوية خاصة ــ ان تشهد قلعة أو سفينة او شجرة معلقة في الهواء * ، ولهذا تعرف باسم السراب الهوائي ، ولذلك شروط تختلف في تفاصيلها عن السراب الارضي (شكل ٢٣) .

وصور هذا السراب كثيرة جدا ، لكن ليس ذلك مجالها ، ومع ذلك ، فيكفي أن نشير الى أن أية ظاهرة طبيعية غير مفهومة عند الناس ، تراهم يرجعونها الى اسباب غير منطقية ولا معقولة ، وغالبا ما يفسرونها بما يلائم بيئتهم ومستوى تفكيرهم ، والحقبة التاريخية التي يعيشون فيها ، فاذا رأوا مثلا سرابا لقلعة او قرية او غابة في الهواء ، صاغوا لها أسطورة من أساطير الجن والعفاريت التي كانت تنتشر في العصور القديمة ، واذا ظهرت لهم هالة ضوئية ، أو كرة نارية ، أو انعكاسات جوية ، أرجعوها الى كرامات وقداسات ومعجزات وما شابه ذلك ، وطبيعي أن عصر الطائرات والصواريخ والاقمار الصناعية تناسبه أساطير الاطباق الطائرة التي روجت لها الصحافة كثيرا ، وهيأت الناس لتفكير معوج ، بدلا من أن تاخذ بأيديهم ، وتفسر لهم الظاهرة او الظواهر التي غمت حقيقتها على مداركهم ، وكان لا بد من الرجوع الى العلماء المتخصصين ، فهم اقدر من غيرهم على كشف أسرارها .

على انه يكفي أن نقدم حادثة واحدة من الحوادث الكثيرة التي توضح لنا كيف يتصرف البشر على حسب الظروف المحيطة بهم ، ففي أثناء الحرب العالمية الثانية رصدت أجهزة الرادار المثبتة في

---

* لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع المثير انظر كتابنا « الضوء والخدمة » ــ دار الفتى العربي ــ بيروت .

احدى مدمرات سفن الحلفاء هدفا بحريا ، وعندئذ أطلقوا عليه قذائف مكثفة دون أن يغرقوه ، ودون أن يطلق عليهم هذا الهدف قذيفة واحدة مضادة ، وعندما استبدت بهم حيرة شديدة ، ساروا بمدمرتهم الى حيث يكون هذا الهدف ، ولما وصلوا اليه لم يجدوه شيئا ، لكنهم ــ في موقعهم الجديد ــ رصدوا هدفا اخر قريب الشبه من هدفهم الاول ، لكن هذا الهدف الجديد كان ــ في الحقيقة ــ جزيرة مالطة ، أما الهدف الاول الذي اصلوه نار قذائفهم وقنابلهم فلم يكن الا انعكاسا للجزيرة ذاتها فوق سطح الماء .. ، ولقد لعب هذا الانعكاس خدعا كثيرة يضيق بها هنا المجال ، لكن القوات المحاربة لم تعامله بالاساطير ، بل عاملته بما يلائم حالها .. عاملته بنيران حارقة ، وغارات مكثفة ، دون أن يفطنوا الى الخدعة الا بعد فوات الاوان .

وهذا يعني بوضوح أن الظروف الجوية السائدة قد لا تخدع العين وحدها ، فتريها ظواهر ليس لها من وجود ، بل قد تخدع الاجهزة الرادارية ذاتها ، فبدلا من أن تنطلق موجات الرادار في خط مستقيم الى طبقات الجو العليا ، نراها ــ تحت ظروف جوية خاصة ــ تنعكس على طبقات من الهواء ذات تكوين معروف ، فترتد الى الارض أو البحر ، وقد تنعكس من الارض أو البحر ، وتعود الى الهواء ، فتنعكس وترتد مرة أخرى الى الارض .. وهكذا (شكل ٢٤) وهذا ما حدث بالضبط مع حادثتنا الخداعية التي قدمناها ، اذ ارتدت موجات الرادار على جزيرة مالطة ، ورصدتها وعكستها على شاشة الرادار ، وأظهرتها في مكان اخر غير مكانها ، فحسبها الحلفاء هدفا معاديا ، فكان ما كان !

والواقع أن ملفات الهيئات الحكومية والحربية والعلمية مليئة بمثل هذه الخدع الجوية والبصرية والرادارية ، ولا يعرف حقيقتها الا كل من عاينها ودرسها وعرف أسرارها ، فكم ابلغ المشرفون على أجهزة الرادار ــ خاصة في بدايات استخدامه وتشغيله ــ عن اهداف غريبة ، حتى لقد ذهب بعضهم الى اعتبارها نوعا من الاطباق

الطائرة التي جاءت الى الارض من أرجاء الكــون ، وطبيعي أن الصحافة غير الرشيدة تجد في مثل هذه الامور أخبارا جد مثيرة ، وكثيرا ما تضعها في عناوين كبيرة ، حتى تجذب العامة ، فيزيد التوزيع تبعا لذلك ، وعندما تتجلى الحقيقة فيما بعد ، ويقدم العلماء التفسير العلمي الصحيح لما ظهر وخدع ، تغمض الصحافة عيونها ، اذ ليس في التفسير العلمي ما يثير ، انما المثير حقا هو ذلك التفسير الخيالي الذي يقع تحت دائرة الخزعبلات والاساطير .

خدعة مطاردة طبق طائر

لكن مما زاد الطين بلة ، وضاعف من اهتمام العامة والخاصة بحكايات الاطباق الطائرة ، أن تقع حادثة غريبة في يوم ٧ يناير عام ١٩٤٨ ـ أي بعد حوالي نصف عام فقط من رؤية ارنولد ، لظاهرته الجوية المثيرة .. لكن حادثة يوم ٧ يناير جعلت الخرافة تختمر اكثر ، واجهزة الاعلام تدق الطبول أعظم .

بعد ظهر ذلك اليوم شاهد بعض الافراد في قاعدة « جودمان » الجوية بكنتوكي بالولايات المتحدة شيئا غريبا معلقا فوق رؤوسهم وبعيدا في الهواء ، ولقد وصفوه بقولهم « كان يشبه مخروطا من الايس كريم وعلى قمته شيء أحمر » !

وفي الحال صدر الامر الى ثلاثة من الطيارين بقيادة الكابتن توماس مانتل لتتبع هذه الحالة ورصدها ، ؤمعرفة طبيعتها ، وبعد دقائق قليلة انطلق الطيارون بثلاث طائرات من طراز « ف ٥١ س » ، ولقد اتصل مانتل ببرج المراقبة وابلغ الذين يعملون فيه انه لا يزال يتابع هذا الجسم الغريب الذي يبدو له وكأنما هو يزيد وضوحا ، هذا في الوقت الذي قرر فيه مساعداه انهما لم يريا شيئا ذا بال .

ويعود مانتل فيتصل ببرج المراقبة ويقول « انني الان أتجه الى أعلى بسرعة ٣٦٠ ميلا في الساعة ، وهي نفس سرعة هـذا الجسم الطائر .. وارتفاعي الان ٢٠ الف قدم ، واذا لم أستطع أن اقترب منه ، فسوف الغي المطاردة واعود » !

وكان هذا اخر تقرير تلقاه برج المراقبة من مانتل (امـا مساعداه فقد عادا الى قاعدتهما سالمين) ثم انقطع الاتصال ، وبعدها وجدوا حطام الطائرة وبداخلها مانتل ميتا !

وانطلقت الاشاعات ، وظهرت العناوين الكبيرة لكي تؤكد ان الاطباق الطائرة تحمل العداء لاهل الارض .. وان مخلوقات كونية قد أسقطت طائرة مانتل عندما تجرأ واقترب منها .. الى اخر هذه الاخبار المثيرة التي شدت انتباه الناس ، وجعلتهم يرقبون السماء ، علهم يكشفون بدورهم عن طبق طائر .. فكانت النتيجة أن انهالت آلاف الاخبار التي تشير الى رؤية أطباق من كل شكل وحجم ولون ، بل لقد ذهب بعض من شاهد هذه الظواهر الى حد التصريح بانه قد تحدث الى هذه المخلوقات ، واستضافهم واستضافوه .. الخ .. الخ .

لكن الحقيقة كانت غير ذلك ، اذ أن ما ظنه الناس طبقا طائرا لم يكن في الواقع الا بالونا ضخما أطلقه بعض العلماء صباح ذلك اليوم في تلك المنطقة لدراسة طبقات الجو العليا ، ولما انعكست عليه أشعة الشمس في المساء وهو على ارتفاع يقدر بحوالي ٦٠ الف قدم، حسبه الناس مركبة قادمة من الفضاء ، وعندما قدم المسئولون التعليل الصحيح لهذه الظاهرة ، ثار المتحمسون للاطباق الطائرة ، ورموا العلماء بالجهل والغباء ، وقالوا : اذا كان ذلك صحيحا ، فمن الذي قتل مانتل ؟ .. واين جثته ؟ .

الواقع أن الذي قتله كان تهوره واندفاعه ، اذ لم تكن طائرته مزودة بالاوكسجين ، ولم تكن أيضا مهياة للتحليق على مثل هذا الارتفاع الكبير ، وعندئذ فقد وعيه ، مما ترتب عليه عدم تحكمه في طائرته ، فهوت به ، ولقي حتفه ، ووجدوا في الحطام جثته ، رغم الاشاعات الكاذبة التي انتشرت عن اختطافه من طائرته بمن كانوا في طبقهم الطائر !

مخلوقات كونية تعاشر أهل الارض !

وتجمعت بعد ذلك آلاف الحالات من الظواهر الطبيعية والجوية والصناعية والبيولوجية والتي أرجعها الناس الى غزو الارض بالاطباق الطائرة بواسطة مخلوقات من حضارات متقدمة ، وبدأت الجهات المعنية في تصنيف هذه الظواهر وتقديمها للعلماء والمتخصصين علهم يتوصلون الى حل ألغازها ، لكن معظم العلماء نفضوا أيديهم من دراستها لانها لا تسفر عن شيء ذى بال ، خاصة وأن الموضوع اصبح مجالا للدجل والكذب والخداع والقصص الخيالية وما شابه ذلك .

فها هو السيد **ترومان بيتورام** يتقدم بتقرير يذكر فيه أنه تقابل مع سيدة اسمها **اورا ـ رانز** ـ سيدة جميلة ومثقفة وأكثر علما من أهل الارض اجمعين ، ثم انها ذكية غاية الذكاء ، وتستطيع ان تستشف ما يدور في نفسك من احاسيس ، كما انها تقرأ افكارك من أول نظرة ، ثم يذهب ليؤكد أن هذه السيدة جاءت من طبق طائر كان قد هبط لتوه في منطقة خلوية ، وأنها تحدثت معه ، وتحدث معها (ويبدو أن مخلوقات الفضاء تتكلم الانجليزية !!) ، وأعجبته وأعجبها ، وصحبته الى طبقها الطائر ، وتعلم منها أشياء كثيرة ، واخبرته أنها جاءت من كوكب « كلاريون » (وطبيعي أن احدا لا يعرف كوكبا بهذا الاسم ـ بل هو ـ بلا شك كوكب خيالي يعيش في دماغ صاحب تلك الرواية) ، ثم رحلت بعد أن قضى معها وقتا ممتعا ومفيدا .. ولقد وجدت هذه الرواية الخيالية اقبالا ، لان الناس تهيأت نفسيا لتقبل مثل تلك الخزعبلات من كثرة ما يقال وينشر ويحقق فيه ، وعندئذ لم يبخل السيد ترومان على البشرية بكتاب وضع فيه كل ما تعلمه وعرفه من هذه « الكلاريونية » الحسناء (نسبة الى كوكب كلاريون المزعوم) ، ثم نراه يمعن في الكذب والخداع ويكتب على الغلاف أنها « قصة واقعية من خبرة شخصية مع الاطباق الطائرة » .. وطبيعي أن الكتاب لاقى رواجا عظيما ،

واهتم الكتاب والصحفيون بهذه الانباء الخادعة ، فتقابلوا مع مؤلفها ، وحصلوا منه على مزيد من المعلومات الخيالية لينشروها وليزيدوا من هوس الناس ورعبهم .

وسرت العدوى بين الكتاب ، فالمناخ مهيأ حقا لمثل تلك الاوهام ، فيأتي المدعو **جورج آدامسكي** ليكتب هو الاخر قصته مع طبق طائر ، فيذكر انه عقد عدة اجتماعات — ليس هذه المرة مع سيدة واحدة ، بل مع سيدات وسادة زهرانيين (أي من سكان كوكب الزهرة !!) ، اذ هبطوا بطبقهم الطائر بجوار بيته المقام بسفح جبل بالومار الشهير بكاليفورنيا ، وسبب شهرة هذا الجبل ترجع الى وجود واحد من أعظم المراصد الفلكية في العالم ، والغريب أن السيد آدامسكي لم يكلف خاطره بالاتصال بواحد من علماء الفلك المقيمين في المرصد القريب ، ولا كان لهؤلاء الزهرانيين اهتمامات بعلوم ارضية ، او تكنولوجيا بشرية ، انما كانت كل اهتماماتهم منصبة على السيد آدامسكي وكرمه الارضي الذي لا يجارى !

ثم يذهب آدامسكي الى أبعد وابعد ، ويصف لنا رحلاته في اطباق طائرة هبطت على الارض ، وانطلقت عائدة الى السماء ، فذهبت به الى كوكب الزهرة والمريخ وزحل ، وهذا يعني أنه عاشر الزهراويين والمريخيين والزحلاويين أكثر مما عاشر أهل الارض ، ولا ينسى « سفير » الارض الى هذه الكواكب أن ينشر صور الاطباق الطائرة التي هبطت واختصته بعنايتها دون خلق الله اجمعين (شكل ٢٥) ، فيدخل الوهم على الناس ان رحلاته ليست خيالا ، بل حقيقة لا ريب فيها .

ويظهر كتاب ثالث بعنوان « أطباق طائرة من المريخ » ، وفيه يزعم مؤلفه المدعو **سيد ريك الينجهام** انه قابل فريقا من علماء المريخ الذين هبطوا في منطقة خلوية على ساحل اسكتلندا ، ويصف لنا كيف أنه عقد معهم اجتماعا ، ثم يشرح في كتابه ما تم في ذلك الاجتماع ، ثم نراه يقدم صورا لاهل المريخ ، والغريب أنهم لا

يتكلمون الانجليزية فحسب ، بل نراهم يلبسون « بنطلونات » بحمالات ، وعلى رؤوسهم يضعون القبعات !!

وتتوالى امثال هذه الكتب وتنتشر بالعشرات ، وكلها مزودة بصور عجيبة ، ومخلوقات عادية او غريبة .. بعضها قصير لا يزيد طوله عن ٧٠ سنتيمترا ، وبعضها عملاق ويبلغ من الطول ثلاثة امتار ، ومنها ما تمتد من رؤوسها زوائد حية تشبه الهوائيات التي نزود بها اجهزة الاستقبال ، ومنها ما تأتي اصابعها كالمقابض او الكماشات .. الى اخر هذه الامور التي ابعدت العلماء عن فحص مثل هذه الخزعبلات سنين عدة .

واخيرا .. تدخلت الهيئات العلمية للترشيد !

ومع دخول الانسان عصر الفضاء في عام ١٩٥٧ ، وهو العام الذي أطلق فيه الاتحاد السوفييتي قمره الصناعي « سبوتنيك ١ » ، ثم ما تبع ذلك من عشرات الاقمار الامريكية والسوفييتية ، ثم انطلاق أول انسان (يوري جاجارين الروسي) في قمر صناعي يدور حول الارض في عام ١٩٦١ ، ثم رحلات الانسان الى القمر ، وهبوطه عليه ، ثم ارسال كثير من البعثات الاستكشافية للكواكب القريبة والبعيدة ، وحديث العلماء عن امكان وجود صور من الحياة البدائية أو المتطورة أو الاكثر تقدما وذكاء وحضارة من أهل الارض ، ثم محاولتهم ــ أي العلماء ــ البحث عن هذه الحياة ــ عاقلة أو غير عاقلة ــ بوسائلهم العلمية المتاحة .. كل هذا وغيره قد أعطى زادا فكريا للمعتقدين في مسألة الاطباق الطائرة لدرجة انهم تسببوا في اصابة العلماء بصداع مزمن !

وكان لا بد من حل يضع الامور في نصابها ، خاصة وأن التقارير التي تجمعت في العالم حتى السنة الماضية قد بلغت اكثر من مائة الف تقرير أو مشاهدة سجلها الناس لما أطلقوا عليه اسم الاطباق الطائرة ، أو مخلوقات فضائية تختبيء عن عيون البشر في أماكن مجهولة من هذا الكوكب ، أو ظواهر غريبة تخيف الناس وتزعجهم ... الخ .

والواقع أن بؤرة هذا الهوس تقع أساسا في الولايات المتحدة الامريكية ، فهناك جمعيات ونوادي وندوات ومجلات متخصصة (غير علمية) قد كرست جهودها لتسجيل هذه الظواهر ، أو البحث عنها ، أو شرحها أو تقديم التقارير للجهات المسئولة لتتخذ فيها أمرا ، وطبيعي أن ادارة المخابرات المركزية والمخابرات الحربية ، ودوائر البنتاجون لم تغمض عيونها عما يتردد على ألسنة الناس ، أو فيما تنشره أجهزة الاعلام ، اذ هم يعتقدون أنه لا دخان بغير نار ، وليس مستبعدا أن تكون بعض هذه الظواهر الطبيعية أو الجوية أو الارضية وسائل تجسسية من السوفييت ، ولا بد من الحذر ، حتى يمكن تجنب الخطر !

ولقد انعقدت لذلك بالفعل عدة مؤتمرات علمية محدودة ، وقدمت دوائر البنتاجون أو المخابرات أو ادارات القوات البحرية والجوية ... الخ ، ما لديها من آلاف الحالات التي بعث بها شاهدو عيان ، وبعضها كان مزودا بصور فوتوغرافية ، أو رسومات توضيحية ... الخ . ومن أهم هذه التقارير الجادة التقرير العلمي الضخم الذي يعرف باسم تقرير « كوندون » ، وهذا التقرير الوافي ظهر بتكليف من الحكومة الامريكية للبروفيسور ادوارد كوندون ، ولقد شارك في تحقيقه وكتابته ٣٦ عالما من كل التخصصات ، وظهرت منه طبعة شعبية لتناسب مدارك العامة ، وعنوانها دراسة علمية لظاهرة الاجسام المحلقة غير المعروفة ، وهي في ألف صفحة ، وتتناول معظم ما قيل وظهر وسجل في هذا الموضوع طوال عشرين عاما .

ويتبع ذلك تقرير علمي اخر يعرف باسم « مشروع الكتاب الازرق » ، وهو يضم ملفات تحتوي على ١٣ الف قصة ومشاهدة ووصف من أفواه من ليست لهم دراية بالظواهر الطبيعية ، الا أن هذا المشروع الذي كانت ترعاه وتشرف عليه دوائر القوات الجوية الامريكية قد توقف ، بعد أن تبين أن معظم الحالات التي وردت فيه قد أصابت العلماء بالغثيان ، لان الناس يتصورون أن كل ظاهرة

طبيعية يمكن أن تتحول في خيالهم الى أطباق طائرة ، فأكثر من ٩٠٪ من ال ١٢ الف حالة يمكن تعليلها بسهولة بواسطة اشخاص عاديين تلقوا مبادىء اولية في علم الفلك أو الظواهر الجوية ، وعلى مستوى المدارس والمعاهد .

الجمعية الامريكية لتقدم العلوم تتبنى القضية !

لكن اخر هذه الدراسات العلمية الدقيقة تأتي على هيئة ندوة أو مؤتمر محدود تحت اشراف الجمعية الامريكية لتقدم العلوم ، لكن عقد هذا المؤتمر قد اصطدم بمعارضة ضخمة من بعض أعضاء الجمعية ، وسبب اعتراضهم انه لا يجب على هذه الجمعية المحترمة أن تتردى في مناقشة تصورات خاطئة حاك حولها عامة الناس وخيال الكتاب كثيرا من الاساطير .. تماما كما اعترضت قبل ذلك على تبني ودراسة المشاعر الرقيقة للنبات !

وللمعترضين على مناقشة هذا الموضوع وجهة نظر جديرة بأخذها في الاعتبار ، فلو أن الجمعية قد وافقت على عقد هذه الندوة ، ووضعتها تحت رعايتها ، وسهلت لها مهامها ، فلا يستبعد — بعد ذلك — أن يسعى المنجمون ومحضرو الارواح والسحرة وقارئو الكف المشعوذون والمعالجون الروحيون ... الخ ، الى جمعية تقدم العلوم طالبين منها أن تعقد لهم ندوات أو مؤتمرات خاصة ليناقشوا فيها خزعبلاتهم ، وبهذا يؤكد المشعوذون للناس أن مثل هذه الاباطيل تدخل ضمن مجالات العلوم التي تقوم على أسس وقواعد ، ويكفي تدليلا على ذلك أن تلك الجمعية الموقرة قد احتضنت « علومهم » (وهي ليست علوما على اية حال) ، ويسرت أمورهم ، وان ما يدعون ليس خرافات ، بل علم له مقومات !

كلّ هذا وغيره جعلّ بعض اعضاء جمعية تقدم العلوم يعترضون على مناقشة هذه الظواهر تحت اشرافها ، لان مسالة الاطباق الطائرة ليست الا من أساطير النصف الثاني من القرن العشرين ، ومع ذلك ، وبعد مناقشات واعتراضات حادة استمرت أكثر من

عام ونصف عام ، وافقت الجمعية الامريكية لتقدم العلوم على رعاية هذه الندوة والاشراف عليها ، آخذة بعين الاعتبار أن مناقشة الاطباق الطائرة لا تعني انهم يصدقون ما يجول في عقول الناس ، بل ان القصد منها هو ترشيدهم بحقيقة هذه الظواهر ، كما أن من واجب العلماء الا يتركوا الناس لهوسهم ، وبهذا قد يريحون ويستريحون !

ولقد تحدث في هذه الندوة ١٦ عالما من كل التخصصات ، بداية من علماء في العلوم الاحصائية ، الى الفيزياء الجوية ، الى الطبيعة الكونية ، الى العلوم الفلكية والنفسية والبيولوجية والاجتماعية ، الى خبراء في الظواهر الطبيعية ، والارصاد الجوية ، والطب النفسي ... الخ ، ولقد قاد هذه المناقشات واشرف عليها اربعة من المع علماء الولايات المتحدة الذين لهم صلة وثيقة بهذا الموضوع ، وكان ان تمخضت هذه الندوة عن كتاب قيم حوى الدراسات والمناقشات والآراء العلمية في ظاهرة « الاجسام المحلقة غير المعروفة Unidentified objects أو باختصار UFO'S » .

وطبيعي اننا لا نستطيع أن نتعرض لكل أو بعض ما جاء في هذه الدراسة العميقة ، لكن يكفي أن نشير اشارات عابرة الى امور ذات مغزى خاص .. من ذلك مثلا أن اثنين من أعضاء هذه الندوة العلمية قد اعترضا على تسمية ما يراه الناس باسم « الاجسام المحلقة غير المعروفة » .. فالتسمية نفسها خاطئة ، كما انها قد تترك في الذهن انطباعا قد يؤدي الى تصديقها ، فالاجسام تعني اشياء ملموسة ، وقد تكون الظاهرة التي رآها الناس خداعا أو سرابا او انعكاسا ضوئيا أو موجيا غير ملموس ولا محسوس .. يضاف الى ذلك أن كلمة « المحلقة » تعني شيئا ميكانيكيا أو آليا يندفع أو يحلق أو يطير ، ومعظم الظواهر التي يصفها الناس لا تقع تحت هذا الوصف ، كما أن « غير المعروفة » تعبير خاطىء أيضا ، فمعظم الظواهر التي يصفها الناس معروفة لدينا ، أو اننا نستطيع

تعليلها ، فكيف نصفها أنها غير معروفة ، وهي بالفعل معروفة ؟ . . اي أن مثل هذه الاوصاف قد تعني على مستوى التفكير العام أننا لا نعرف حقيقتها ، ومن هنا قد ينشأ سوء الفهم عند الناس .

لكن مما لا شك فيه أن معظم الظواهر التي شوهدت ووصفت قد أمكن تعليلها ، لكن القليل منها قد استعصى على الحل ، الا أن ذلك لا يعني ـ من وجهة نظر العلماء على الاقل ـ أن عدم معرفة الحل أو التعليل الصحيح قد يؤدي بنا الى استنتاج خاطىء ، فنسارع باعتبار الظاهرة غير المعروفة طبقا أو أطباقا طائرة جاءت لتحلق في جو الارض ، أو تحط على سطحها ، بل يعني أن ما لا نستطيع تعليله اليوم ، قد نعلله غدا ، ذلك أن الانسان لم يعرف كل شيء على كوكبه أو في أجوائه ، بل ان المعارف والعلوم تتطور مع الزمن باستمرار .

اضف الى ذلك أن وصف الانسان العادي لاية ظاهرة محيرة قد تختلف بين راو وراو ، وهذا الاختلاف قد يضلل العلماء ، كما أن كثيرا من المشاهدين للظاهرة قد رسخت في عقولهم بعض اعتقادات عن غزو الارض بأطباق طائرة ، ولهذا ينطلق خيالهم دائما في هذا الاتجاه ، فتصبح الظاهرة الصغيرة امامهم كبيرة ، وفي عقولهم مثيرة ، فيضيفون اليها أوصافا ليست موجودة في الواقع ، وطبيعي أن الدقة في الوصف ضرورية ولازمة ، حتى يستطيع العلماء تعليل الظاهرة .

دليل دامغ على الهلوسة !

والواقعة التي نسوقها هنا تؤيد هذا الكلام ، ولقد جاء ذكرها في المرجع الذي أشرفت عليه الجمعية الامريكية لتقدم العلوم ، وكانت احدى الصحف الامريكية قد نشرتها عام ١٩٦٨ بعنوان « ثلاثون مواطنا يرون طبقا طائرا » ، وتذهب الواقعة الى القول بأن واحدة من أوضح المشاهدات المحققة في رصد أحد الاطباق الطائرة قد ثبتت رؤيتها في « كاسيل روك » التي تبعد ٣٠ ميلا

جنوب دينفر ، اذ يذكر عمدة القرية « ويمر » أن ١٢ مواطنا موثوقا بهم قد اعترفوا بأنهم شاهدوا جسما كبيرا مستديرا يشبه فقاعة لامعة وهو يحلق فوق المنطقة فيما بين الساعة السادسة وعشر دقائق والسادسة و ٢٤ دقيقة مساء .. ومن جهة أخرى يذكر « موريس فليمنج » مدير ادارة الدفاع المدني لمقاطعة دوجلاس بأن ثلاثين شخصا قد شاهدوا هذا الجسم ، ويضيف « هوارد ايليس » أن اثنتي عشر اشعاعا ضوئيا قد تسلطت عليه فجأة من هذا المصدر ، وان هذا الضوء يشبه الضوء المنطلق من فوانيس سيارة عليها غبار كثيف .. على حين يذكر مواطن اخر يدعى « فيلبس » انه لم يشهد شكلا على هيئة فقاعة كبيرة ، بل راى « ضوءا حقيقيا كبيرا لامعا » ، وان هذا الضوء ــ الذي كان يتحرك بسرعات مختلفة ــ كان على ارتفاع ٦٠٠ قدما تقريبا ، في حين ان قطره كان على الاقل ٢٥ قدما ، لكن هوارد ايليس قدر طول هذا الجسم بحوالي ٥٠ قدما ، وعرضه ٢٠ قدما وارتفاعه ٢٠ قدما كذلك ، وفي رواية أخرى يقول شاهد عيان أن الجسم انطلق فجأة الى أعلى وهو يطلق زوجا من كور نارية ثم اختفى ، وتضيف الصحيفة أن موريس فليمنج ذكر أن ادارة الدفاع المدني سوف تحصل على عينة من دم ايليس لتقرير ما اذا كان قد أصيب باشعاع أو أية تغيرات في دورته الدموية !

هذا هو ملخص تلك الواقعة كما رواها بعض المشاهدين « الموثوق فيهم » ، ولا شك أنها ــ بدورها ــ قدمت مادة دسمة للمعتقدين في ظواهر الاطباق الطائرة ، وكان من الممكن ان تبقى بدون حل أو تعليل ، وعندئذ تنطلق الاتهامات على العلماء بعجزهم عن معرفة الحقيقة الكامنة وراء هذه الاجسام الغريبة التي يصفها كل مشاهد على هواه ، فتضيع الحقيقة بين الاوصاف المتناقضة والمبالغ فيها الى أبعد الحدود .

لكن حل لغز هذا الطبق الطائر كان أبسط مما نتصور ، اذ تقدمت سيدة متواضعة تدعى مسز ديتريش (وتقطن في المنطقة التي

ظهر فيها هذا الجسم اللامع الكبير الذي تنطلق منه الاضـواء وكور النار) ، وأوضحت حقيقة الطبق الطائر الذي فاحت رائحته ، وتعددت اوصافه ، وذكرت أن هذا الشيء هو من صنع ولديها توم (١٤ سنة) وجاك (١٦ سنة) .. اذ انهما تلقيا في مدرستهما درسا في العلوم عن تجهيز هذا الشيء ، ومن ثم فقد حضرا الى المنزل ليوضحا لنا كيف يقومان بالتجربة ، ومدى نجاحها ، ولا يتطلب ذلك الا كيسا كبيرا من البلاستيك الرقيق الشفاف ، وعددا قليلا من الشموع الصغيرة التي تستخدم في أعياد الميلاد ، وتوضع تلك داخل ذاك بعد تحويرات قليلة ، فيرتفع الكيس تلقائيا بفعل الحرارة المنطلقة من الشموع .

اي ان هذا الكيس الصغير قد تحول بقدرة قادر الى جسم ضخم اطنب الناس في وصفه وبالغوا ، ولولا ان السيدة قد أوضحت الحقيقة لبقي سره مدثرا بالالغاز .

وكم اضاعت هذه التفاهات من جهود العلماء ووقتهم ما لا يقع تحت حصر ، اذ أن هناك من هذا القبيل الاف المشاهدات التي رويت وسجلت وقفز فيها الناس الى استنتاجات خاطئة بفضل المروجين لهذا التضليل .

حتى الصبيان يخترعون اطباقا طائرة !

ومما يزيد الامر تعقيدا ان تاتي مشاهدات مدعمة بصور غريبة ومثيرة ، وبهذه الصور الفوتوغرافية يؤكد ملتقطوها انها كانت لاطباق طائرة ، وقد لا يجد لها العلماء تعليلا ، فتدرج تحت قائمة الظواهر غير المعروفة .

لكن مثالا واحدا يوضح لنا الى اي مدى يمكن ان يصل الخداع والتضليل في هذا المجال ، اذ تقدم صبي يبلغ من العمر ١٣ عاما بثلاثة صور محيرة للغاية ، ويذكر أنه التقطها لجسم غريب يبلغ قطره ما بين قدمين وثلاثة اقدام ، وأنه يشبه قرصا لامعا من

معدن تريب من الفضة أو الالومنيوم ، وكان يصدر منه طنين يشبه طنين الذباب ، لكنه كان طنينا متذبذبا (أي يرتفع وينخفض في شدته) ، ولقد بلغت سرعته حوالي ٢٠ ميلا في الساعة ، وقد عرف ذلك من حركة الجسم بجوار صف من الاشجار ، وعندئذ جرى نحوه ، والتقط له صورا ثلاثة ، ثم اندفع الجسم بعد ذلك الى أعلى واختفى عن الانظار (شكل ٢٦) .

ولقد عجز معظم العلماء عن حل هذا « اللغز العويص » ، الا أن البروفيسور فرانك دريك استاذ ومدير المركز القومي للعلوم الفلكية وطبقات الجو العليا بجامعة كورنيل الامريكية كان أكثر صبرا ، وأعظم دقة ، فعندما عرضت عليه هذه الحالة ، اتصل بالصبي وأجرى معه حوارا طويلا ، ولقد تبين وقتذاك أن والديه كانا لا يشكان لحظة في أقواله ، كما أن أصدقاءه قد شهدوا له بالصدق في أقواله وأفعاله ، وكما يقول البروفيسور دريك « لقد وجدته واثقا مما رأى ، ولقد ظهرت لي ــ عندما كنت أتحدث معه ــ نواياه الطيبة ، فتحيزت كلية لتصديقه ، فلقد كان ذكيا لماحا بارعا في الحديث وجديرا بالثقة ، كما كانت روايته محبوكة ، مما وضعني في موقف صعب ومعقد ، لكن مما أثار بعض شكوكي هو موقع الصورة بالنسبة لبعض الاغصان ، والزاوية التي التقطت منها الصورة ، ولهذا طلبت من الصبي أن يصحبني الى المكان الذي حصل منه على لقطاته المصورة ، وعندئذ وافق على ذلك ، وأمهلني حتى عصر اليوم التالي ، الا أنني فوجئت في المساء برنين الهاتف في منزلي ، وعلى الطرف الاخر كان الصبي في حالة انفعال بالغ ، وأخبرني أن القصة كلها ليست الا كذبة ملفقة ، وانني ــ لا شك ــ سأكتشف أن الشيء كان لا يتحرك على الاطلاق اذا ما قارنت وضع الصور بالنسبة لغصن شجرة متفرع » !

والواقع أن المناخ الاسطوري السائد عن الاطباق الطائرة حول هذا الصبي أو غيره ، ثم اهتمام الناس بكل من يرى هذه الظاهرة ، وحبه في الظهور على مسرح الاحداث ، كل ذلك وغيره قد دفعه الى

اختلاق خدعة متقنة ، فكان أن صنع نموذجا لطبق طائر من الورق المقوى ، ثم علقه في غصن شجرة ، والتقط له ثلاث صور من زوايا مختلفة ، ثم اخترع لذلك قصة محبوكة ، وبها حصل على الاهتمام الذي كان يهواه ، وأخذ اسمه « واكتشافه » يتردد في الصحف والمجلات وفي سجلات الجمعيات والدوائر الرسمية المهتمة بمثل هذه الظواهر ، لكن كل هذا قد انهار على يدي أحد العلماء الاوفياء ، ولولا ذلك لكانت هذه القصة ـ مع آلاف غيرها ـ من الدوافع التي تعمق هذه الخزعبلات في أذهان الناس .

وأحيانا ما يتقدم المعتقدون في غزو الارض بأطباق طائرة بصور غريبة تظهر فيها أشكال تدل على ما يشبه الاجسام اللامعة المحلقة في الهواء ، وعندما يفحصها العلماء فحصا دقيقا ، يدركون فيها خدعة من خدع التصوير الضوئي ، أو من خدع الانسان ذاته ، ففي واحدة من هذه الصور ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ يبدو منظران لطبقين طائرين كما يتخيلهما الناس (شكل ٢٧) ، الا أن ذلك لا يعني شيئا اذ كان من نتيجة انعكاس الضوء على عدسات الكاميرا أن ظهرت بقعتان ضوئيتان متعامدتان على الفيلم الحساس ، فأعطتنا احساسا بما يشبه الطبق الطائر .

الا أن الخداع قد يصل الى منتهاه عندما تنشر الصحف أو الكتب التي يكتبها كتاب يميلون الى الخيال والاثارة صورا متقنة لاطباق طائرة تتوهج باضواء غريبة ، وأحيانا ما تأتي هذه الاضواء بالوان مختلفة ، اذا كان الفيلم ملونا ، وكثيرا ما وضعت تلك الصور العلماء في حيص بيص ، لكنهم ـ أحيانا ـ يكتشفون الخدعة (شكل ٢٨ أ ، ب ، ج ، د) ... ومن ضمن الصور المضللة ايضا تلك التي تقدم بها اوجست روبرتس ، وأشار انها لطبق طائر ، ثم ثبت بعد ذلك انها لنموذج خيالي عليه طبقة من دهان اذا تعرض لضوء قوي ، فانه يشع هذا الضوء مرة أخرى في مكان مظلم ، فاذا التقطت له صورة بطيئة ، ظهرت الصورة مضيئة ، وهيىء اليك أن ما تراه ليس الا جسما محلقا في ظلمات السماء (شكل ٢٩) .

اختلفت الظنون والظاهرة واحدة

والواقع أن هناك ظواهر طبيعية كثيرة تتراءى للناس بصور شتى ، وهم لجهلهم بحقيقتها وطبيعتها لا يستطيعون تعليلها ، أو قد يعللونها بخزعبلات وأساطير ، وقد يختلف التعليل من بيئة لاخرى ، أو بين عصر وعصر ، فالظاهرة الطبيعية ذاتها قد تتجلى لانسان على أنها نذير شؤم قادم ، لكن غيره يراها على أنها باب من أبواب السماء ، أو كرامة من كرامات الرسل والقديسين ، أو قد يظنها انسان اخر يعيش في عصرنا هذا طبقا طائرا .. تعددت الاوصاف ، واختلفت التعليلات ، لكن الظاهرة واحدة !

اذكر مثلا – وأنا صبي صغير – انني كنت أتطلع دائما الى السماء في الليالي العشرة الاخيرة من شهر رمضان ، علني أحظى بدعوة تستجاب عندما يفتح باب في السماء في ليلة القدر الموعودة ، فلقد تواترت حكايات شعبية عن ظهور كوة أو فتحة في السماء « الدنيا » ، فيدخل فيها ، ويخرج منها الملائكة والدعوات وأرزاق الناس وما شابه ذلك ، ثم لا تلبث الا لحظة أو لحظات وتغلق ، والسعيد من رآها ، ولقد سعدت برؤياها ، ودعوت بما طرأ على فكري وقتذاك ، اذ انني كنت اوقن أن للسماء سقفا وبابا يغلق ويفتح مرة واحدة في كل عام !

وعندما كبرت ، وكبر عقلي ، واتسعت بعض مداركي ، رأيت الظاهرة ذاتها ، لكن تعليلي لها الان يختلف عن تعليلي لها وأنا صبي صغير ، أو غير تعليل الرجل البدائي ، أو من كان يعيش في العصور الخالية ، فما تجلى لي على انه كوة أو فتحة او باب في السماء ، لم يكن في حقيقته الا واحدا من الشهب التي تندفع نحو الغلاف الهوائي ، فتحترق لشدة احتكاكها بجزيئاته ، وعندئذ يحيط بها وهج شديد ، فيتجلى لي في ظلمة الليل وكأنما أرى فتحة في السماء وهي تشع بالضيـاء .

لكن هذه الظاهرة ذاتها ـ ظاهرة احتراق الشهاب في طبقات الجو العليا ـ قد يراها اناس اخرون على انها مقذوفات نارية تقتل الشياطين ، أو قد يرجعها انسان العصر الذي نعيش فيه الى اطباق طائرة تتوهج بألوان مختلفة ، وتندفع بصور متباينة ، وعندما يحقق العلماء فيما يرى الناس ، وفيما يعتقدون ويصفون ، يتبين زيف ما يعللون !

وقد تتخذ الظاهرة الطبيعية شكلا معقدا ، أو قد تبدو بأوضاع غريبة ومثيرة ، فتجذب فكر الناس ، وتقدح خيالهم ، وتوسع خيالهم ، ولهذا تراهم ينسجون حولها أساطير شتى ، لكن الغريب أن ما رآه الانسان منها قديما ، ووصفها على قدر علمه ، وعللها على قدر امكانياته ، قد أمكن في عصرنا هذا ارجاع نفس هذه الظاهرة الى خزعبلات الاطباق الطائرة .

أو قد يجنح الخيال ببعض المفسرين العصريين ، ويلصقون بالقرآن الكريم أوصافا ليست فيه ، ولا هي تتمشى مع معانيه ، ويقولون لك أن الاطباق الطائرة قد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وهذا يعني انه لم يترك شاردة ولا واردة الا احصاها ، ثم يستشهدون بقوله تعالى « **والليل وما وسق ، والقمر اذا اتسق ، لتركبن طبقا عن طبق** » .. والطبق الذي يقصدونه هو طبق العصر الحديث الطائر ، رغم أن ما قيل عنه ليس من وجهة نظر العلم الا خرافة ، ولا يصح أن نلصق بكتاب الله مثل هذه التصورات الضالة ، لان المقصود بالطبق هنا هو الحال ، أي لتركبن حالا بعد حال مطابقة لها في الشدة .

لكن الامر قد ذهب ببعض أصحاب التصورات الغريبة الى ابعد من ذلك ، اذ يدعون أن النبي **ادريس او حزقيال** قد صعد الىالسماء أو هبط منها بطبق طائر ، وهذه القصة لا تزال منتشرة حتى يومنا هذا بين الناس ، لكن العلم له فيها راي آخر .. فما هي حقيقة هذه القصة الاسطورية التي تناسب زماننا ؟

لم يصعد ادريس ولم يهبط في طبق طائر !

لنبدأ هنا بتقديم عدة فقرات قليلة مما تضمنه كتاب « الذين هبطوا من السماء » لانيس منصور ، ففي هذه الفقرات صلة وثيقة بموضوعنا ، كما أنها ستوضح لنا الفرق بين التفسير الاسطوري أو الخرافي لبعض الظواهر الطبيعية ، وبين التفسير العلمي الجاد لهذه الظواهر ذاتها .

يقول أنيس منصور تحت عنوان « سفينة الفضاء التي هبطت في بغداد منذ ٢٥ قرنا » أن النبي حزقيال كان لا بد أن يشغل مكانا مهما في التاريخ الفلكي ، ربما لاول مرة ، وذلك لان سفن الفضاء والرحلات بين الكواكب هي التي جعلت لنبوءاته الغريبة العجيبة معنى جديدا .. يقول حزقيال : انه في يوم ٥ تموز سنة ٥٩٧ ق.م عندما كان يمشي بالقرب من بغداد رأى شيئا باهرا في السماء ، وسمع من يطلب اليه أن يكون نبيا الى قومه ، وان ينذرهم ويحذرهم ، وان هذا الشيء كما يرويه حزقيال « ريح عاصفة جاءت من الشمال . سحابة عظيمة ونار متواصلة .. وحولها لمعان ، ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار .. ومن النار كان يخرج برق .. الخ » .

ويعلق أنيس منصور على ذلك فيقول « أنها صفات تنطبق على طائرة نفاثة ، أو سفينة فضاء » .. هكذا وببساطة شديدة ، وهو في هذا الاستنتاج معذور ، لان استنتاجه هذا منقول عن كتب مثيرة ورخيصة ، ولم يكتبها علماء ، بل كتبها كتاب يميلون الى الخيال والاثارة ، او أنهم لا يهتمون بشرح الظاهرة على أساس علمي سليم .

ويستمر حزقيال في وصف الظاهرة التي تجلت له في سحابة عظيمة وريح عاصفة فيقول « ومنظرها وصنعتها كأنها بكرة وسط بكرة ، واذا ارتفعت الحيوانات عن الارض ، ارتفعت البكرات ، ولها لمعان من حولها كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر » !

(وهي فقرة منقولة عن مقال كتبه ايضا في جريدة الاهرام القاهرية ، ثم ضمنها كتابا بعنوان : الذين صعدوا الى السماء) .

ويذهب حزقيال الى أبعد من ذلك ويقول « ومن وسطها شبه اربعة حيوانات .. وهذا منظرها ، لها شبه انسان ، ولكل واحد اربعة أوجه ، ولكل واحد اربعة أجنحة ، وأرجلها أرجل قائمة ، واقدام أرجلها كقدم رجل العجل ، وأيدي انسان تحت اجنحتها على جوانبها الاربعة .. » الخ ... الخ .

والسؤال الآن : هل يمكن أن تأتي سفينة الفضاء أو الطبق الطائر بهذه الاوصاف الساذجة حقا ؟ .. وهل يمكن أن تتم الرحلات الفضائية ذات الابعاد الشاسعة بحيوانات ترتفع وتنخفض ، وتجر بكرات داخل بكرات ، أو عجلات داخل عجلات ؟ .. وهل هناك طريق ممهد ومجسد يربط الارض بالسماء ، وعليه تتحرك سفينة حزقيال الاسطورية ؟ .. أو هل يمكن أن تطير سفينة الفضاء بأجنحة ؟ .. ثم لماذا جاءت بأجنحة أساسا ؟ الى اخر هذه الاسئلة الحائرة التي يفسرها البعض على هواهم .

والان : كيف يعلل العلم سفينة حزقيال الاسطورية ؟

يجيب دكتور دونالد مينزل على ذلك أن ما رآه حزقيال كان وصفا دقيقا ــ رغم جنوحه الى الرمزية والشاعرية ــ لظاهرة معروفة تمام المعرفة لعلماء الارصاد الجوية ، والتي يطلقون عليها اسم الشموسة أو الشمسية أو الشمس الكاذبة Parheliû ، والواقع ان تلك الظاهرة قد تتخذ صورا شتى ، لكنها في كل الحالات تنتج من مرور اشعة الشمس خلال طبقة رقيقة من بلورات الثلج الموجودة عادة في السحب المرتفعة والتي تعرف باسم الطخرور أو الطخاف ، وهو نوع من السحاب الرقيق الشبيه بالصوف ، وعادة ما ينتج عن ذلك بقعتان ضوئيتان تقعان على جانبي الشمس وعلى مسافة منها تقدر بحوالي ٢٣ درجة ، واكثر ما تكون هاتان الشمسان الكاذبتان واضحتين عندما تكون الشمس الحقيقية منخفضة في السماء (أي قريبة من الشروق أو الغروب) .

لكن قد يحدث انعكاس اخر مضاعفا ، فتظهر في داخل البقعة أو الدائرة الضوئية بقعة أو دائرة اخرى ، واحيانا ما يتعامد على الدائرتين خطان ضوئيان يشبهان برامق العجلة ، وهذا ما عبر عنه حزقيال بقوله « ومنظرها وصنعتها كأنها بكرة وسط بكرة » (اي عجلة وسط عجلة ، أو دائرة داخل دائرة) .

ورغم أن البكرتين أو العجلتين قد لا تتلونان بأي لون ، عدا مسحة من لون يشبه الكهرمان على الحافـة الداخلية للدائرة الصغرى ، الا أن هناك قوسا ــ مقلوبا كقوس قزح ، ومتوجا على قمته بلون الياقوت الازرق ــ يمتد فوق العجلة الكبيرة . . وبالاختصار فان الاثر الاجمالي لهذه الظاهرة النادرة والفريدة على العقل البشري هي عربة ضخمة ، مع استثناء واحد ــ كما عبر عنه حزقيال أيضا ــ فحيث تدور العجلات في اتجاه ، فان العربة تتحرك في اتجـاه معاكس (لانها تتبع حركة الشمس في شروقها أو غروبها) ، أو كما عبر عنها حزقيال « لما سارت ، سارت على جوانبها الاربعة . لم تدر عند سيرها . بل الى الموضع الذي توجه اليه الراس ذهبت وراءه » ! .

ويضيف دكتور منزل الى هذا التحليل العلمي الممتع قوله « ولقد كانت عادة الناس في الزمن القديم أن يزينوا برامق العجلات بمخلوقات مختلفة ، ولهذا فليس من المستغرب أن يتصور حزقيال وجود مخلوقات حية في الدائرة الضوئية الداخلية ، لكنها في الواقع أربعة بقع ضوئية مكثفة ولامعة ، وهو ما عبر عنها بقوله « ومن وسطها شبه أربعة حيوانات . . » الخ ، يضاف الى ذلك أن وجود مثل تلك الظاهرة وسط سحاب مرتفع خفيف يشبه ندف الصوف ، يعطي الرائي انطباعا بأن « القطع » البيضاء (اي السحب) حول « العجلات » تبدو له كالاجنحة التي وردت في وصف حزقيال . . الخ . . . الخ .

الرسول ينفي ان الظواهر الطبيعية معجزات !

والواقع أن مثل هذه الظواهر الطبيعية التـي تجلت للناس قديما وحديثا لا تزال تشكل ارثا ثقيلا على العقل البشري ، ولهذا تراهم يربطون بينها وبين أحداث خاصة لتؤكد قدسيتها وأهميتها ، أو أنها لا شك معجزة أو خارقة من الخوارق التي لا تظهر الا بأمر الله ،كعلامة دالة على جلال الحدث ومكانته بين أهل الارض ، وربما يكون حزقيال قد أعطى هذه الظاهرة فوق ما تستحقه ، ليجذب بها اهتمام الناس ، ويؤكد مكانته بينهم .

ومن الامثلة الدالة على ذلك ايضا ان « النجمة » التي ظهرت في الشرق فجاة ، وصاحبت مولد المسيح كان لها بين الناس شأن عظيم . . صحيح أن هذا النجم اللامع البراق لم يظهر للعين البشرية قبل ذلك في السماء ، لكن يتصادف أن يظهر حقا قرب مولـد المسيح ، وظل هكذا في لمعانه أثناء مولده ، ثم اختفى بعد ذلك .

لكن العلماء في تعليلهم لمثل هذه الامور يرون رايا اخر ، فهم لا ينكرون ظهور امثال هذه النجوم ، لكنهم ينكرون ارتباطها بالاحداث الارضية ، مهما كانت درجة هذه الاحداث . . ففي الوقت الذي كنا نعد فيه هذه الدراسة ، ظهر في مجلة علمية بريطانية تعليل معقول لهذا الحدث الذي يطلق الناس عليه اسم « نجمة بيت لحم » ، وأرجعته ــ على حسب ما يقول ثلاثة من علماء الفلك ــ الى نجم انفجر وتتذاك في السماء ، وهو ما يعرف علميا باسم « نوفا » Nova والنوفا تسمية قديمة أطلقها القدماء على كل نجم يظهر ويلمع فجاة في السماء ، لكن النجوم ــ كما يعرف علماء الفلك والفيزياء الكونية جيدا ــ لا يمكن أن تظهر هكذا فجاة بين يوم وليلة ، فمولد النجوم أو تكوينها يحتاج الى عمر يقدر بمئات الملايين من السنين .

لقد كانت هناك نظريات تقول ان نجمة بيت لحم التي صاحبت مولد المسيح ليست معجزة ولا استثناء من القوانين الصارمة لهذا

الكون العظيم ، بل قد يرجع ظهور هذا الجسم اللامع الى وقوع كل من المشترى وزحل في خط واحد بالنسبة لعين راصد على كوكب الارض ، وهناك من يعيد هذا الحدث الى تجمع الكواكب الاربعة اللامعة في خط واحد ، فيتراءى للناس وقتها ظهور جسم واضح الضياء ، وثمة نظرية ثالثة ترجعه الى مذنب مر قريبا من الارض ... الخ .

الا أن كلا من دافيد كلارك ، وجون باركنسون عالمي الفلك بجامعة لندن ، بالاشتراك مع ريتشارد ستيفينسون الفلكي بجامعة نيوكاسل قد أرجعوا هذا الحدث في بحثهم المنشور الى انفجار نجم في ذلك الوقت ، ولقد تأكدوا من ذلك بفحص ما دونه علماء الفلك القدامى من الاحداث غير العادية التي كانوا يسجلونها عن السماء ، اذ أشاروا الى ظهور نجمين جديدين في الفترة ما بين ١٠ ق.م. ، ١٣ بعد الميلاد ، وان واحدا من هذين النجمين قد انفجر في الفترة التي ولد فيها المسيح ، ولقد تحقق العلماء الثلاثة من ذلك بعد اجراء عمليات حسابية وفلكية عويصة .. وطبيعي أن العلماء لا يزالون حتى اليوم يسجلون انفجار أمثال هذه النجوم ولمعانها ثم خفوتها (دلالة على موتها) ، دون أن يكون لتلك الانفجارات الكونية دلالات على ما يجرى في الارض من أمور واحداث .

على أنه من الاوفق أن نذكر هنا تلك الظاهرة التي تجلت للرسول الكريم عندما كان يدفن فلذة كبده ابراهيم ، اذ حدث أن انكسفت الشمس وقتذاك ، وعندئذ هلل الصحابة وكبروا ، واعتبروا أن ما حدث معجزة من المعجزات ، أو أن الشمس قد حزنت لموت الابن الوحيد للرسول ، فكان أن خبا ضياؤها ، ولقد كان من الممكن أن يستغل النبي هذه الظاهرة الطبيعية لتكون سندا له في دعوته التي كانت تلقى معارضة شديدة ، لكنه ابى واستنكر ذلك من صحابته ، وبعقلية متفتحة ناضجة لم يشأ أن يربط بين هذه الظواهر وبين الاحداث الارضية ، فقال ما معناه : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته .

لقد حدث ذلك منذ ١٤ قرنا ، ورغم ذلك فلا يزال الناس يحاولون ربط حياتهم ومستقبلهم بالكواكب والبروج والنجوم ، وهو ما نفاه الرسول الكريم ، وحذر أمته من الولوج فيه ، وصدق حينما قال « كذب المنجمون ولو صادقوا » .. من الصدفة لا من الصدق ، لان المنجمين يصدفون ولا يصدقون ، فليس في التنجيم صدق على اية حال ، انما قد يذكرون بعض التنبؤات الصحيحة صدفة (هناك من يقرأون الحديث هكذا : كذب المنجمون ولو صدقوا ، وصحتها : ولو صادفوا) .

وهناك ظواهر طبيعية كثيرة ارتبطت بالخوارق والكرامات والقداسات ، كما أن الناس قد اعتبروا بعض هذه الظواهر فاتحة خير وبركة ، أو نذير شؤم ، لكن العلم لا يرى فيها شيئا من ذلك ، بل ان ظهورها يرتبط بحلول ظروف جوية خاصة تساعد على تكوينها .

ظواهر جوية وفلكية خادعة

وفي وسط هذا الهوس الكثير الذي انتشر بين الناس كالطاعون ، فهيأ لهم أن كل شاردة وواردة في الفضاء ليست الا طبقا طائرا ، في هذا الهوس المجنون يحاول العلماء ان يقوموا بترشيد الناس وتوضيح ما قد غم على عقولهم .

والواقع أن العلماء قد قدموا ما في وسعهم للقضاء على هذه المزاعم التي جعلت الارض وكأنما هي تكتظ بالاطباق الطائرة ، ولكي تدرك المهام الثقال الملقاة على عاتقهم من جراء التخيلات التي تتراءى لعيون البشر ، كان علينا أن نقدم الحالات التي ظنها الناس أطباقا طائرة ، ثم ظهر انها ظواهر طبيعية أو جوية أو فلكية أو ارضية أو بيولوجية ... الخ .

أولا : أشياء مادية توجد في طبقات الجو العليا أو في الطبقات التي تليها ، أو في طبقات الجو الدنيا ، أو قرب سطح الارض أو عليها .

أ ــ ففي طبقات الجو العليا قد تظهر الشهب المحترقة ، أو قد تدخل الاقمار الصناعية الى الغلاف الهوائي ، أو قد تطلق

صواريخها ، أو قد تسبح فيها بالونات لعمل تجارب استكشافية على الطبقات الايونية للهواء (الايونوسفير) ، ولقد انهالت البلاغات من الناس لتؤكد ان هذه الاشياء ليست الا اطباقا طائرة ، لكن العلماء أرشدوهم الى حقيقتها .

ب ــ وفي الطبقات الجوية التي تليها (الى أسفل) قد يرصد الناس الطائرات التي تومض وتطفىء ، أو التي ينعكس عليها ضوء الشمس ، أو قد يشهدون البالونات التي تدرس حالة الطقس (وقد تكون البالونات مضيئة أو مظلمة ، أو فرادى ، أو في تجمعات) ، أو قد يرصدون بعض تكوينات غريبة من سحب ، أو يرقبون مناطيد أو بالونات مضيئة للاعلان ، أو طائرات حربية للاستكشاف أو تجارب حربية تستخدم فيها أضواء الماغنسيوم ، أو أسراب الطيور المهاجرة في طبقات الجو العليا .. الخ .

ح ــ وفي الطبقات الدنيا من الغلاف الهوائي حسب بعض الناس الاوراق المتطايرة و طائرات الورق المقوى ، أو أوراق الاشجار ، أو اسراب الحشرات والفراشات والعناكب أو البذور ذات الزغب أو الباراشوت أو الالعاب النارية .. الخ ، حسبوا كل هذا وغيره أطباقا طائرة ، ثم ثبت زيغ أبصارهم ، أو تهيؤات تضخمت في خيالهم ! .

د ــ وبالقرب من الارض أبلغ الناس عن وجود أطباق طائرة ، فتبين أن ما راوه ليس الا زوبعة ترابية بعيدة ، أو أضواء مصابيح كهربية معلقة على البعد ، أو مانعات للصواعق ، أو هوائيات للتيلفزيون ، أو مصابيح سيارات منطلقة ، أو أضواء فنارات ، أو قبابا مستديرة وعالية ، أو هوائيات رادارات أو مراصد فلكية ، أو أسراب حشرية ، أو نيرانا مشتعلة ، أو مراوح هوائية لقياس سرعة الريح ، أو انعكاسات ضوئية من زجاج النوافذ ، أو خطوط التيار الكهربي ، أو خزانات مائية فوق البيوت والتلال ، أو شعلات من معامل تكرير البترول ، أو حتى من أعقاب سجائر مشتعلة تندفع بسرعة عبر الهواء .. الخ .. الخ .

ثانيا : اشياء غير مادية وهذه توجد في :

أ ــ طبقات الجو العليا : الشفق القطبي .

ب ــ طبقات الجو السفلى : انعكاسات ضوئية للكثافات ، وظواهر البرق بما في ذلك الكور النارية وظاهرة الهواء المتاين (البلازما) ، ونار القديس ايلمو والشمس الكاذبة ، والقمر الكاذب ، والانعكاسات الضوئية في الشابورة والضباب وما ينتج عنها من هالات وأشباح (ليست في الواقع أشباحا كالتي وقرت في عقول الناس) ، والسراب الارضي والهوائي .. الخ .

ثالثا : ظواهر فلكية يحسبها الناس أطباقا طائرة ، وعندئذ يتبين انها لكواكب أو نجوم أو اقمار صناعية ، أو الشمس أو القمر أو الشهب أو المذنبات ... الخ .

رابعا : ظواهر فسيولوجية تنتج من اضطرابات أو تحويرات أو نقص في وظيفة العينين .

خامسا : آثار نفسية تعبر عن نفسها بحالات هلوسة وتهيؤات كاذبة .

سادسا : اخطاء في التصوير الفوتوغرافي (سواء في التحميض أو الطبع أو انعكاسات داخلية في عدسات الكاميرا ذاتها) .

سابعا : تسجيلات خاطئة في شبكات الرادار نتيجة لانكسارات ضوئية شاذة ، أو تشتيت الموجات أو اصطدام الاشعة بأسراب الطيور والحشرات .. الخ .

ثامنا : قصص أو صور غير واقعية للخداع والتضليل (كما أوضحنا في حالات قليلة) والواقع أن هذه القائمة لا تمثل الا قليلا من كثير ، ففي ملفات الهيئات الحكومية أو العلمية ترى العجب العجاب ، ومن أجل هذا لم يرحب بعض أعضاء الجمعية الامريكية لتقدم العلوم في تبني بحث هذا الموضوع ، لعلمهم أن الموضوع برمته غير جاد ، خاصة بعد أن دخلت فيه عناصر الاثارة والدجل والخداع والتضليل ، أضف الى ذلك أن وصف الناس للظاهرة

ذاتها يختلف اختلافا واضحا ، بحيث يصعب على العلماء أحيانا أن يتبينوا الفث من السمين ، ولهذا فان هناك حالات قليلة (حوالي ١٪) لم يصل العلماء فيها الى قرار ، لكن ذلك لا يعني أن تلك الحالات لاطباق طائرة ، بل يعني أكثر أن هناك خطأ وقع فيه الراوي أو المشاهد ، فلم يستطع أن يتبين الظاهرة على حقيقتها ، أو أن الظاهرة ذاتها جديدة على العلم ، أو انها تحتوى على شيء من التضليل والخداع .. الخ .

الفرصة في وصول كائنات فضائية ضئيلة للغاية !

وطبيعي أن العلم ينكر حكايات الاطباق الطائرة كما ترتسم في عقول الناس وخيالهم ، وهو - أي العلم - يرى فيها خزعبلات ومزاج رخيص لا يجوز الا على أصحاب العقول الضعيفة ، فالسفر بين الاجرام السماوية يحتاج الى عقول على درجة فائقة من التطور والذكاء ، وبحيث تستطيع أن تتغلب على المسائل الشائكة جدا التي تجابه علماء الارض ، وتجعلهم بمثابة أطفال يلعبون على شاطىء محيط فضائي ليس له من نهاية أو قرار ..

فوصول سفينة فضائية بمخلوقات ذكية الى أرضنا يعتبر حدثا نادرا غاية الندرة ، أي أنه قد لا يحدث الا مرة واحدة كل عشرة آلاف أو مائة الف عام ، أو قد لا يحدث ، وطبيعي أن هبوط السفينة في جو الارض أو على سطحها يعتبر صدفة جد موفقة ، لان الارض هي الكوكب الوحيد المعمور من بين تسعة كواكب تطوف حول الشمس ، وهذا يعني أن تلك المخلوقات الذكية لا بد وأن تكون آتية من كواكب أخرى تطوف حول بعض نجوم المجرة التي نقطن فيها ، ولكي تقطع تلك المخلوقات المسافات بين نجم ونجم ، فلا بد أن تكون قد وصلت الى تكنولوجيا قد لا تطوف بعقول علماء الارض ، ولا حتى خيالهم ، لان المسافات بين النجوم تقدر بالسنوات الضوئية ، لا بالثواني ولا الدقائق ولا الساعات ، فالمسافة بيننا وبين القمر لا تزيد عن ثانية وثلث ثانية ضوئية، وبيننا وبين الشمس ثمان دقائق وثلث ، والمريخ حوالي ثلاث دقائق ضوئية .. الخ ،

ونحن ــ حتى الان ورغم تقدمنا العلمي والتكنولوجي النسبي ــ لم نستطع أن نرسل بشرا الى المريخ ، فذلك فوق طاقتنا في الوقت الحاضر ، فما بالك بمخلوقات تستطيع أن تنطلق في الكون لتقطع فيه مسافات تقدر بعشرات ومئات وربما آلاف السنوات الضوئية ، فاذا بها بعد هذه الرحلات العويصة للغاية تقع على كوكب مثل كوكبنا به بعض تكنولوجيا متقدمة ، فلا تتصل بالمراصد الفلكية ، ولا تهتم بالعلماء ، ولا تحاول ارسال اشارات موجية (نحن نتوق ونشتاق اليها اشد الاشتياق) لتخبر علماء الارض بمقدمهم ، وهذا ابسط شيء ننتظره من مخلوقات ذات حضارات متقدمة ، وعقول متطورة .

لكن يبدو أن هذه المخلوقات ــ وعلى حسب ما يقدمها لنا عامة الناس ــ غاية في الغباء ، فهي لم تنطلق في كون الله الفسيح لتستكشف ما فيـــه من حضارات وأسرار وكواكب معمـــورة أو مهجورة ، ولكنها جاءت لتأكل مع الناس ، أو تمزح معهم ، أو تحتقرهم أو تضربهم أو تخطفهم ، أو تسرق عجلا أو حصانا لتذبحه وتأكله ، أي انها تهتم ببطونها لا عقولها ــ هذه المخلوقات المتوحشة الغبية القادمة من الفضاء !!

لكنها قطعا ليست غبية ، انما الغباء يتركز في بعض انماط التفكير التي لا تزال تعشش في العقول ، أو في الاساطير التي يحكيها بعض كتاب لاثارة الناس وابتزاز أموالهم ، ثم يمتهنون عقولهم بخزعبلات ما انزل الله بها من سلطان !

على انه يبرز أمامنا هنا بضعة اسئلة مهمة : اذا كان علماء الارض يقومون الان بتطوير اجهزتهم التي يحاولون بها الاتصال بالحضارات الكونية ، بحيث تستطيع هذه الاجهزة الحساسة أن تلتقط اشارات من تلك المخلوقات التي تبعد عنا آلاف السنوات ، أو ربما ملايين السنوات الضوئية .. فلماذا يتعبون قلوبهم ، ويضيعون وقتهم ، ويسلبون دولهم موارد مالية ضخمة ، وها هي تلـك المخلوقات تطوف بأرضهم ليل نهار ؟ .. لماذا حقا نبحث عن البعيد

جدا ، ونترك هؤلاء الذين جاءوا الينا طواعية في اطباق طائرة كما يزعم الزاعمون ؟ .. وهل ستستجيب الحضارات الكونية السحيقة البعد لنداءاتنا ، رغم أن مخلوقاتها ـ التي حلت بجوارنا ـ لا تستجيب لهذه النداءات السهلة اللينة ؟ .. ثم اليس هناك طبقا طائرا واحدا من بين عشرات الالوف التي يبلغ الناس عن رؤيتها بقادر على ان يستجيب للاشارات التي نبعث بها في أرجاء الكون ليل نهار ، فيرد عليها في لمح البصر ، فيريح ويستريح ؟ .

اذا كان أمر هذه المخلوقات التي جاءت الى أرضنا بمثل هذا الغباء ، اذن فلا خير في اشارات نبعثها في أعماق الفضاء .. فالقريب جدا لا يرد ، فما بالك بواحد يبعد عنا بلايين البلايين من الاميال ؟ .

ان المراصد الفلكية الجبارة تنتشر على هذا الكوكب في كل مكان ، وهي تمسح الفضاء من حولها ليل نهار ، كما أن « عيون » هذه المراصد اقوى واكفأ من العين البشرية مئات الالوف من المرات ، وبعضها قادر على أن يرى ضوء شمعة تبعد عنه في الفضاء ما يقرب من أربعين الف ميل .. اليس كل ذلك كفيلا برصد طبق طائر واحد من الآلاف التي يزعم الناس انها تهبط على الارض كل عام ، والتي يؤكدون رؤيتها ، والتحدث أحيانا الى مخلوقاتها ؟

واذا كانت المخلوقات الكونية تبعث الينا باشاراتها ـ كما يدعون ـ وهي تبعد عنا بآلاف السنوات الضوئية ، فهل يعييهم أن يمدوا اطباقهم الطائرة بأجهزة مماثلة لتتخاطب بها ـ عن طريق الاشارات ـ كلما حانت لها فرصة الاقتراب من كوكب معمور ككوكب الارض ، خاصة وان كوكبنا يموج بأجهزة ارسال واستقبال كونية ، ومن السهل جدا حدوث اتصال بيننا وبينهم عن قرب وليس عن بعد ؟ .

الحق .. ان فيما يدعي هؤلاء الناس تناقض واضح ـ لكن ذلك قد يرجع الى جنوح العقل الى الخيال ، وولوعه بالاساطير ، هذا رغم التقدم العلمي الجبار الذي وضع بين أيدينا انجازات علمية ضخمة لا نستطيع لها حصرا .

والعاقبة لمن استنارت عقولهم ، واستقامت انماط تفكيرهم ؟

الفصل الثامن

مثلث الموت .. أو مثلث برمودا

يبدو ان بعض العقول البشرية سوف تبقى على طفولتها ، مهما تقدم بها العمر ، أو تطور العصر .. مثلها في ذلك كمثل المجتمعات البدائية التي لا تزال تؤمن بالسحر والشعوذة والاشباح والارواح وما شابه ذلك ، لكن مع اختلاف جوهري ، فهذه العقول تحاول أن تزاوج في أفكارها بين العلم والخرافة ، فتبدو الخرافة للرجل العادي ـ او حتى المتعلم ـ وكأنما هي علم يقوم على أساس ، او كأنما نواميس هذا الكون الراسخة تسيرها الاساطير والخزعبلات، وتتحكم فيها قوى يقف العلم ـ على حد زعمهم ـ امامها عاجزا ، وما هو بعاجز ، لكن العجز هو الذي يسيطر على بعض العقول !

والغريب أن هذه الكتب الاسطورية ـ التي تغلف نفسها بغلالة كاذبة من علم ـ تنتشر الان في الاسواق ، وتعم المكتبات ، وتجد اقبالا كبيرا من عامة الناس الذين يميلون الى الولوج في عالم غامض تسيطر عليه الخرافات .

فمنذ حوالي ثلاث سنوات خرج علينا الكاتب الامريكي تشارلز بيرلتز بكتاب غريب اطلق عليه اسم « مثلث برمودا » ، ولقد لقي هذا الكتاب رواجا عظيما ، اذ وزعت منه في شهور قليلة أكثر من خمسة ملايين نسخة ، وسبب هذا الاقبال المنقطع النظير أن الكتاب يحتوي على حكايات غريبة ، ولو صحت هذه الحكايات ، لوضعت العلماء في حيص بيص ، وعندئذ لن تسعفهم كل قوانينهم ومعادلاتهم ونظرياتهم وبحوثهم في تقديم تعليل مقنع عما يجري من أحداث في هذا المثلث المرعب الذي تتحكم فيه كائنات غير منظورة ، فتشيع في أرجائه الدمار والموت !

وعندما لقي كتاب « مثلث برمودا » هذا النجاح والرواج ، خرج المؤلف نفسه بكتاب اخر في العام الماضي أطلق عليه « بدون أثر » ، وفيه يقدم مزيدا من الظواهر المحيرة التي تحدث في ذلك المثلث القاتل ، اذ ان مئات السفن والبواخر والطائرات ، وآلاف الناس قد اختفوا جميعا دون أن يتركوا أثرا ينم عما حدث ، وكأنما هناك أيد خفية تصعق الطائرات ، وتحطم البوارج ، وتبيد الناس ، أو تخفيهم في جيوب أرضية لا يهتدي اليهـا انس ولا « جان » ! .

ولقد أفرد بعض الصحفيين العـرب في صحفهم ومجلاتهم صفحات كثيرة لنشر هذه الظواهر المثيرة ، وهي بالفعل مثيرة ، خاصة اذا كانت تتحدى العلم والعلماء !

اختفت الطائرات دون أثر !

لقد وقعت أغرب وأشهر قصة في ذلـك المثلث الرهيب في ديسمبر عام ١٩٤٥ ، وتتلخص هذه الواقعة في اقلاع خمـس طائرات من قاذفات القنابل التابعة للبحرية الامريكية في يـوم ٥ ديسمبر من فورت لودردال ، حيث توجد قاعدة للاسطول هناك ، ولقد كانت هذه « الطلعة » المعروفة بالرقم ١٩ واحدة من الطلعات التدريبية التي يقوم بها سلاح الطيران بين حين واخر ، ولقد تم الطيران في جو صاف ، وكان كل شيء عاديا في المنطقة ، لكن حدث قبل أن تعود الطائرات الخمسة الى قاعدتها بربع ساعة أن استقبل برج مراقبة المطار رسالة مفزعة من الليفتنات تشارلز تيلور قائد السرب ، ولقد بدا الرعب في صوته الذي انطلق بحشرجة غريبة وهو يقول « يبدو إننا ضللنا الطريق .. اننا لا نستطيع أن نرى أية علامة ارضية . .ولا نعرف كيف نتجه الى الغرب ، ولا كذلك الطريق اليه .. ان كل شيء فيه خطأ .. كل شيء يبدو غريبا .. حتى المحيط من تحتنا لا يبدو كما كان .. انه يبدو وكأنـما نحن ... » ... ثم انقطعت الرسالة فجأة ، وبعدها حل سكون مطبق !

وصدرت الاوامر الفورية الـى احدى طائـرات الاستطلاع والانقاذ بالاقلاع بحثا عن سرب الطائرات حيث يكون ، وانطلقت طائرة تحمل ١٣ رجلا ، ولكن احدا لم يعد يسمع عنها شيئا ، لقد اختفت فجاة ، كما اختفت من قبل الطائرات الخمسة ، ومع اختفائها اختفى ايضا ٢٧ رجلا دون أن يتركوا خلفهم اثرا واحدا رغم المجهودات الجبارة التي قام بها سلاح الطيران والبحرية لمسح المنطقة شبرا شبرا ، ومترا مترا ! .

والحادثة ـ لا شك ـ حقيقية .. لكن ماذا حدث بالضبط ؟.. واين ذهبت الطائرات ؟ .. وما مصير الرجال ؟ .. وماذا اصابهم حتى صاروا لا يرون شيئا وكانما كل المعالم الارضية والبحرية قد تغيرت فجاة حولهم ؟ .. وهل هناك قوى خفية تسيطر على المنطقة ، فتصطاد الرجال ، وتخطف الطائرات ؟ .. الى اخر هذه الاسئلة الحائرة التي أطارت صواب الناس ، وقدمت لهم زادا فكريا يتناسب وغموض هذه الحوادث التي وقعت في ذلك المثلث المخيف الواقع الى الشرق من الولايات المتحـدة (في المحيـط الاطلنطي) وتمتد زواياه بالتقريب بين جـزيرة برمـودا شمالا ، وبورتوريكو جنوبا (في المحيط) ، وفلوريدا غربا ، ويدخل في مجاله بعض جزر الباهاماس ، أو هو ما يسمى باختصار مثلث برمودا (شكل ٣٠) .

والسفن تبتلعها قوى خفية !

ثم يسوق بيرليتز في كتابه المثير كثيرا من الحوادث التي كان مسرحها ذلك المثلث الرهيب .. فحاملة البترول العملاقة رايفوكو مارو اليابانية اختفت هي ايضا بحمولتها وبحارتها دون أن تترك اثرا ينم عن مصيرها الغامض .. كل ما تركته قبل اختفائها رسالة نجدة لاسلكية تقول « الان الخطر يشبه الكابوس اسرعوا الينا » .. وبعدها صمت كل شيء الى الابد ..

وفي ديسمبر عام ١٩٦٧ اختفت سفينة الركاب «ويتشكرافت» في ظروف أشد غموضا ، فبينما كانت مربوطة في أحد عوامات الارشاد ، وبالتحديد العوامة رقم ٧ الموجودة على مسافة ميل واحد من شاطيء ميامي بفلوريدا ، اذ بها أيضا تغرق في يوم هاديء لا عواصف فيه ولا أحوال جوية غير عادية ، والغريب أن السفينة قد بعثت برسالة غامضة تقول « لم اشهد في حياتي مثل ذلك من قبل » ! .

ويتساءل مؤلف كتابي « مثلث برمودا » و « بدون أثر » عن معنى تلك الرسالة التي لم توضح شيئا ، بل زادت أمامنا الامور غموضا ، وكأنما باعث تلك الرسالة الغريبة واقع تحت تأثير قوى تجعله غير قادر على توضيح ما يجرى في المنطقة ، ثم يشير الى أن العلماء يقفون أمام هذا الحادث الغامض دون أن يعرفوا تعليلا صحيحا لما يحدث .

وقبل ذلك أيضا ، وبالتحديد في عام ١٩٦٣ ، وبينما كانت الطائرتان النفاثتان من طراز ك س ١٣٥ تحلقان فوق مثلث الموت ، اذ بهما أيضا تختفيان في ظروف غامضة ، وفي هذه المرة أمكن العثور على حطام الطائرتين، لكن هذا الحطام قد تناثرعلى مساحة واسعة، وفي دائرة يبلغ قطرها مئات الاميال .. اذن ما الذي حدث حتى تصبح بقايا الطائرتين بمثابة قذائف موجهة تنطلق كالصواريخ في كل اتجاه ، وتتوزع في مساحات يصعب على العقل تصديقها ؟ .. وبأية قوة جبارة يمكن أن يحدث ذلك ؟ .. وهل هناك أيد خفية تمزق هذه القلاع الطائرة او تخفيها ثم تذروها كما تذرو الرياح قطعا من الورق الى مسافات بعيدة ؟ .

وتذهب هذه الكتب الى حصر كل الحوادث الغامضة والرهيبة التي تمت في هذا المثلث القاتل ، فتذكر ضمن ما تذكر غرق سفينة نقل جنود بريطانية « بريتيش يورك » ، وتحطيم طائرة نقل أمريكية تسمى « جلوب ماستر » ، واختفاء « فريبا » وهي سفينة المانية .. الخ .. الخ ، ومع ذكر تفاصيل هذه الكوارث لا ينسى

هؤلاء الكتاب أن يضعوا أمام أعيننا ظواهر غريبة تحطم العلم ونظرياته وقوانينه ، فمن رسالات استغاثة تحمل الغموض ، الى قوى خفية تخرس أجهزة الارسال ، الى مجالات كونية تجعل مؤشرات البوصلات المغناطيسية تدور على غير هدى ، الى بحار تتغير معالمها ، فلا تستطيع لها تمييزا ، الى أجسام غريبة تحلق في سماء هذا المثلث الغامض .. الى غير ذلك من امور غريبة تطيح بكل ما يعرف العلماء من نظم وتناسق ، وكأنما هذا الكون تتحكم فيه قوى أخرى ليس لها من ضابط ولا رابط ! .

مثلث الرعب بريء مما يدعون

والآن .. ما هو راي العلم في هذه الامور الغريبة ؟

الواقع أن ما اثير حول هذا المثلث المرعب فيه مبالغات ومغالطات كثيرة ، ولو أنصفناه لظهر لنا أن العالم كله أكثر رعبا من مثلث الرعب .. فهناك احصائيات دقيقة تشير الى عدد الحوادث التي تتم في قطاعات مختلفة من هذا العالم ، ومن هذه الاحصائيات يتضح أن مثلث برمودا بريء من حوادث الموت والتدمير أو القوى الخفية التي تتسلط على مائه وأرضه وهوائه ، وان ما يحدث فيه ــ رغم شدة الحركة فيه ــ اقل مما يحدث في أماكن كثيرة مماثلة في العالم .

فمؤسسة لويدز للمعلومات بلندن ، وكذلك تقارير ادارة حرس السواحل الامريكية ــ وهي جهات موثوق بها وبمعلوماتها واحصائياتها ــ تشير الى أن ما فقد في مثلث برمودا في عام ١٩٧٥ كانت اربعة سفن لا غير من مجموع ما فقد حول السواحل الامريكية جميعها ، ويقدر عددها بواحد وعشرين سفينة مفقودة .. أي أن نصيب مثلث برمودا من هذه الحوادث كان أقل من ٢٠٪ ، وفي عام ١٩٧٦ ــ على حسب ما تقول ادارة حرس السواحل الامريكية ــ فان المفقود في مثلث برمودا بلغ ست سفن من ٢٨ سفينة مفقودة حول سواحل امريكا ، وهذا ينفي تلك اللعنة التي الصقت لصقا بذلك

المثلث البريء .. أضف الى ذلــك أن ادارة حرس السواحل الامريكية في دهشة من هذه المعلومات المضللة والخادعةالتي تنشرها تلك الكتب غير الجادة ، والتي تستقي معلوماتها من خيال وخزعبلات تضر ولا تنفع * .. فعلى حسب احصائيات ملفات ادارة حرس السواحل فان مثلث برمودا يعتبر من أكثر المناطق في العالم حركة وازدحاما ، اذ ينطلق على سطح مياهه اكثر من ١٥٠ الف سفينة من كل الانواع والاحجام ، وانها ــ اي الادارة ــ تتقبل من اشارات الاستغاثة سنويا حوالي عشرة آلاف استغاثة ، ومع ذلك فان هذا العدد الضئيل للغاية من السفن التي تغرق سنويا في هذه المنطقة (ما بين ٤ ــ ٦ على حسب اخر احصاء) يشير الى عدم وجود قوى خفية مزعومة تخطف السفن ، وتستولي على المتاع ، وتسبــى الناس ! .

وتشير احصائيات لويدز الى ان عدد الســفن او البواخر العملاقة التي تفقد سنويا في العالم يتراوح ما بين سفينتين الى ثلاث سفن ، ودون أن يكون لمثلث برمودا دخل في ذلك على الاطلاق ــ اي أن هذه الحوادث تتم بعيدا عنه في مناطق بحرية اخرى .. كما تشير الاحصائيات نفسها ايضا الى انه لم تسجل حالة سقوط او تدمــير اية طائرة مدنية أو تجارية في عشر السنوات الاخيرة فوق مثلث برمودا ، كما أن هذا المثلث اكثر امانا من اية مساحة مماثلة فوق أرض الولايات المتحدة ذاتها ! .

وتظهر عدم دقة هؤلاء المؤلفين ، وتقديم معلومات خاطئة ، او ذكر عبارات مثيرة مضللة ، او أقوال ليس لها من اساس .. يظهر هذا وغيره من التحقيقات الجادة التي تثار عادة بعد نشر هذه المعلومات الغريبة .. فعلى سبيل المثال نعود لنذكر تلك العبارة التي وردت في كتاب مثلث برمودا عند غرق السفينة اليابانية رايفو كومارو ـ

---

* الواقع أنها تنفع جيوب مؤلفيها من خلال شغف الناس بهذه الكتب وشدة الاقبال عليها ، مما يدر دخلا عظيما على اصحابها .

اذ وردت صيغة الاستغاثة هكذا « الان الخطر يشبه الكابوس » .. وصحتها كما وردت في التسجيلات الخاصة بادارة حرس السواحل « الان خطير جدا » ، وعندما توجهت اليها احدى السفن القريبة ـ التي سمعت نداء الاستغاثة ـ وجدتها تتعرض لعاصفة مروعة أطاحت بها واغرقتها .. وهذا يعني أن هناك سببا او تعليلا لغرق السفينة وليس غرقها بسبب قوى أسطورية تسيطر على المنطقة .

أما سفينة الركاب ويتشكرافت التي قيل عنها انهـا غرقت وهي مربوطة الى عوامة في يوم هادىء ، فان سجلات حرس الحدود تكذب هذه المزاعم ، فحقيقة الامر أن عاصفة هوجاء قد هبت وقتذاك واقتلعت السفينة من عوامة الانقاذ ، والقت بها في عرض البحر ، ولم تستطع السفينة أن تحدد موقعها من خلال اشارة الاستغاثة التي بعثت بها ، كما أوضحت في هذه الاشارة ان دافع السفينة (الرفاص) قد دمر ، مما جعل السفينة بمثابة ريشة في مهب الرياح ، كما انه لم ترد في التسجيلات اية عبارة تقول « لم اشهد في حياتي مثل ذلك من قبل » .. بل الذي حدث أن المؤلف قد اخترعها ، ليثير الشكوك من حولها ، أو ليدفع القارىء الى تساؤل غامض « ما الذي كان هناك بحيث لم يشهد أحد مثـله في حياته » ؟ ! .. وطبيعي أن المؤلف قد علل غرق السفينة بخزعبلات تسيطر على عقله ، في حين أن الذين عاينوا غرقها ، لم يجدوا فيه شيئا غير عادي ولا مألوف ، بل ان الغرق تم تحت ظروف جوية معروفة ! .

ثم يذهب التضليل الى غايته عندما ينسب الى مثلث برمودا اتهامات هو بريء منها ومما يدعـي المؤلفون ، فغرق السفينـة البريطانية برتش يورك ، والالمانية فريبا اللتين ذكرناهما من قبل، قد نسب غرقهما ظلما الى ذلك المثلث ، في حين أن أولاهما قد غرقت قريبا من نيوفوندلاند المقابلة لسواحل ايرلندا ، وثانيتهما غرقت في المحيط الهادي البعيد جدا عن المحيط الاطلنطي ـ حيث يوجد مثلث

برمودا ، لكن خيال المؤلف أو غيره من مؤلفين ناقلين أو مقلدين قد نقلوا هذه الاحداث ــ بقدرة قادر ــ وأرجعوها الى هــذا المثلث المسكين ! .

وعشرات المغالطات والافتراءات التي تمهد لسرد طوفان من الخزعبلات حول القوى الاسطورية التي تتسلط على البحار في هذه المنطقة ! .

توضيح لادعاءات باطـلة

لكن حوادث الطائرات التي تمت فوق ذلك المثلث المفتــرى عليه كانت أكثر اثارة وأعظم الغازا ــ على حد تصور من كتبوا عنها ، والصقوا بها ما ليس فيها .. فحادثة ظهور قوى خفية لا يستطيع العلم تفسيرها ، وتحطيمها لست طائرات ، ثم اختفاء ٢٧ رجلا دون أن يتركوا أثرا ولو طفيفا ، هذه الظاهرة الغامضة لم تكن غامضة فقط الا على عقل من صورها وبالغ فيها .

والذين حللوا تسلسل هذه الحوادث المروعة قد اثبتوا أن كل ما ورد على لسان بيرليتز أو في كتابيه انما هو خطأ وافتراء :

* فهذه الرسالة الغامضة والمثيرة التي ارجعها مؤلف الكتاب الى قائد السرب المنكوب الليفتنات تيلور ، لم ترد على لسانه على الاطلاق ، ولم تتلقها اجهزة الاستقبال في القاعدة الجوية ، وحتى بالرجوع الى المصدر الاساسي الذي نقل عنه بيرليتز هذه الرواية ــ وهو الكوماندور ويرشنج ــ فقد نفى نفيا قاطعا أنه سمع مثل هذه الاستغاثة ، ولا توجد أية تسجيلات لشيء مثل هذا ، ولكن كل ما جاء في كتاب « مثلث برمودا » انما هو منقول كلمة بكلمة من مقالة منشورة لفينسنت جاديس في مجلة قصصية شهرية (مجلة آرجوزى) ، وأن جاديس بدوره قد نقل كلام قصته من صحفي لم يستند فيها الى أي مصدر موثوق به .. اذن فرسالة الاستغاثة غير صحيحة ، كما أنها نبعت من الخيال ، وما بني عليها ، لا بد وان يكون خيالا في خيال .

✽ وجاء أيضا في قصة الطائرات التي اختفت دون أن تترك أثرا أن اختفاءها كان في الساعة ٢٥ر٤ ، وهذا يعني أن الاختفاء كان في وضح النهار ، وهذا ليس صحيحا ، بل ضلت الطائرات طريقها في الظلام ، اذ دلت التقارير على أنها كانت لا تزال على اتصال بالقاعدة حتى السابعة مساء ، وفرق كبير بين طيران في النور وطيران في الظلام .. أضف الى ذلك أن بيرليتز قد أكد أن الطقس وقتها كان صافيا ، وهو حقا لم يكن كذلك ، اذ أن سجلات الارصاد الجوية قد أوضحت أن الطقس كان عاصفا ، والبحر مضطربا ، كما أن الطيارين ـ باستثناء الليفتنانت تايلور ـ كانوا حديثي عهد بالطيران ، ولا شك أن سوء الاحوال الجوية والظلام قد أضافا مزيدا من الاعباء على مهمة القائد وعلى الطيارين الشبان الذين كان معظمهم حديثي عهد بالطيران فوق المنطقة .

✽ ولقد ذهب التحليل الجاد لهذا الحدث الى أبعد من ذلك واثبت أن قائد هذا التشكيل قد ضل طريقه بسبب سوء الاحوال الجوية ، فاعتقد أنه كان يطير فوق عدة جزر قريبة من ساحل فلوريدا الجنوبي (وتسمى فلوريدا كيز أو مفاتيح فلوريدا) ، في حين أنه كان يطير ـ في الواقع ـ فوق عدة جزر تشبه جزر فلوريدا كيز ، وهذه الجزر تقع بعيدا الى الشرق قرب جزر الباهاماس، وهذا يعني أنه أثناء عودته الى القاعدة غربا ، كان يتجه شرقا فوق المحيط ،وكان من جزاء هذا الخطأ أن نفذ وقود الطائرات ، فلم تجد مناصا من الهبوط الا في البحر المضطرب ، حيث غاصت فيه الى الابد ، ودون أن تترك أثرا ، خاصة وأن البحث بعد ساعات في الظلام ، وفي الجو المضطرب ما كان ليجدى شيئا !

✽ وبتحليل سبب اختفاء طائرةالبحث والاستطلاع « مارينر » التي أقلعت من القاعدة علها تعثر على دليل ـ هذه الطائرة يطلقون عليها هناك اسم « خزان الوقود الطائر » نسبة الى الكميات الضخمة من الوقود التي تحملها والتي تمكنها من التحليق لفترات طويلة .. وطبيعي أن أية شرارة ـ حتى ولو كانت ناشئة من الكهرباء الجوية

الكامنة في العاصفة ـ قد تفجر الطائرة بما تحمل ، وبالفعل انفجرت ، والذي شاهد انفجارها في الجو سفينة كانت تعبر المنطقة، ولقد أبلغت عن ذلك تماما في نفس الوقت الذي اختفت فيه طائرة الانقاذ من على شاشات الرادار .. ولقد وصف بيرليتز أن اختفاء هذه الطائرة كان يحوطه غموض قاتل ، ربما لانه اعتقد أن الطائرة قد تركت القاعدة في الساعة الرابعة وخمسة وعشرين دقيقة .. اي كأنما هي انفجرت قبل أن تترك القاعدة بأكثر من ثلاث ساعات (لان انفجارها قد تم بعد الساعة السابعة والنصف) .

* وفي كتابه الجديد « بدون أثر » يحبك بيرليتز الاسطورة ويعطيها طعما جديدا ، اذ انه يذكر في طبعته الجديدة عبارة غريبة ترد على لسان الليفتننات تيلور وتقول « لا تتبعني .. كأنما هم قادمون من الفضاء » ! .. أي انه بهذا يريد ان يوهم الناس بأن مثلث برمودا هو المنطقة المختارة لنشاط الاطباق الطائرة التي اصبحت على كل لسان في الولايات المتحدة ، وبهذا يجد استجابة لما يكتب ، وتصديقا فيما يتخيل ، أو كأنما هو يريد أن يقول ـ بطريق غير مباشر ـ ان سبب الكوارث في هذا المثلث انما تحدث بفعل هذه المخلوقات الشريرة التي جاءت تعلن الحرب والانتقام من أهل الارض، وخاصة من الإمريكان ، ونحن لا ندري ـ بدورنا ـ لماذا جاءت هذه المخلوقات الكونية العاقلة والفائقة الذكاء والتليدة الحضارة لكي تقتل وتدمر وتسرق ؟ ! .

هل هناك قوى خفية تعطل الاقمار الصناعية ؟

ولكي يؤكد بيرليتز للناس امانته فيما يزعم ، تراه يذكر أن هذه العبارة مسجلة في سجلات القاعدة الجوية ، وأن هناك من يؤكدها .. لكن الحقيقة ليست كذلك تماما ، فلقد فعل بيرليتز في عبارته ما قد يفعله بعض المضللين عندما يذكرون جزءا من آية دون أن يكملوا النص ، فكأنما بيرليتز يقول « لا تقربوا الصلاة » .. وهذا ما فعله تماما في الشفرة التي تلقتها القاعدة ، اذ اخذ منها جزءا ، وترك

جزءا ، فجاءت الرسالة مثيرة .. لكن حقيقة الامر أن قائد التشكيل قال بالحرف الواحد (كما هو مسجل في القاعدة) « انني أعرف أين انا الان ... انا على ارتفاع ٢٣٠٠ قدما .. لا تتبعني » .. وهو يقصد بها قائد طائرة كانت في طريقها للبحث عنه ، وهذه العبارة تختلف في مغزاها عن العبارة التي زيفها بيرليتز واوحى بها للقارىء اننا أمام ظاهرة محيرة ، ولا يمكن تعليلها الا بنسبتها لقادمين من الفضاء ! .

ثم ينطلق بيرليتز (أو غيره من مؤلفين يسيرون على شاكلته) في كتابه « بدون أثر » الى التعرض لحكايات أخرى أغرب وأعجب ، فيبدأ صفحات الكتاب بفرقعة شديدة ، فيذكر أن الهيئة القومية لعلوم البحار والطقس تجد صعوبات وظواهر لا يستطيع العلم تعليلها ، ذلك أن الاقمار الصناعية تتوقف عن اعطاء أية معلومات جوية للمحطات الارضية بمجرد مرورها فوق مثلث برمودا ، وان البروفيسور واين ميتشيجيان قد درس هذه الظاهرة المحيرة ، وقال عنها « اننا أمام قوة لا نعرف عنها شيئا » ! .

وطبيعي أن الاستاذ ميتشيجيان قد أحيط علما بما جاء في كتاب « بدون أثر » ، فنفى الرجل بشدة أن تدور في رأسه مثل هذه الخزعبلات ، ولقد أكد « أن كل شيء قلته عن هذا الموضوع قد جاء مشوها وملتويا ، وانا ــ بصراحة ــ اشعر بالغثيان من مثل هذا الافتراء ، فلقد أسيئت كلماتي واضيرت تعليلاتي » ! .

والواقع أن الهيئة القومية المذكورة تشعر وكأنما هذه الافتراءات بمثابة وباء يتسلل خلسة الى ميدان العلوم ، وهو الميدان الذي ينكر ما يجرى في ادمغة هؤلاء الناس من خزعبلات وتصورات خرافية ، فحقيقة الامر أن هناك قمرا صناعيا كان يدور على ارتفاع ٨٠٠ ميل من سطح الارض ، وهو ــ اثناء دورانه ــ ينقل معلومات بالاشعة العادية والاشعة تحت الحمراء عن غطاء السحب الذي يحيط بكوكب الارض ، ولكي تتمكن الاجهزة الحساسة من التقاط وارسال المعلومات المسجلة على أشرطته ، كان عليها أن

تدير الاشرطة التي انتهى تسجيلها الى الخلف ، تماما كما نفعل نحن في اشرطه تسجيلنا ، وطبيعي انه لا يمكن ان تسمع شيئا اثناء لف الشريط معكوسا لتبدأ من البداية ، وهذا ما حدث في القمر الصناعي المكلف بتسجيل حالات الطقس ، اذ كان يحدث احيانا أن ينتهي تسجيل الشريط ، فيتوقف ، لتدور الآلة عكسيا ، حتى تصل الى بدايته ، ثم تبدأ في صب ما سجلت في محطتين ارضيتين تقع واحدة منها في الاسكا ، والثانية في جزيرة والوب بفرجينيا ، وعندما يمر القمر الصناعي فوق مثلث برمودا ، ويبدأ في لف الشريط الى الخلف ، يتوقف الارسال الى الارض تلقائيا ، ثم يعاود هذا الارسال بمجرد أن يصل الى نقطة البداية .. اي أن هذا التوقف ليس بفعل ارواح أو اشباح او عفاريت أو مردة أو اطباق طائرة أو اية قوى خفيــة .

ومرة اخرى يعود صاحب خرافات « بدون أثر » ليزج باسم الليفتنانت ويزمان في واحدة من تصوراته فيذكر ـ ضمن ما يذكر ـ أن العلم يقف عاجزا عن تعليل ظاهرة جديدة لم تلتقطها هذه المرة عين بشر (لان العين قد تخدعنا فيما تلتقط) ، بل التقطتها شاشات الرادار التي تستخدمها قوات حرس السواحل وهي تتجول على واحدة من السفن الحربية المسماة « هولي هوك » .. اذ ظهرت على الشاشة جزيرة كبيرة لم تكن موجودة على الخرائط من قبل ، وذهل المشاهدون مما رأوا ، وعندما توجهوا اليها ، لم يجدوها حيث كانت .. فكيف يفسر العلم ذلك وهو يستخدم احد « العيون » العلمية التي لا تخدع ولا تكذب ؟ !

ويذهب بيرليتز الى استعراض عضلاته ليقدم تعليلا يدعي أن العلم قد عجز عن تقديمه ، وكأنه هو وحيد علماء زمانه ، فيرجع ما ظهر على شاشة الرادار ثم اختفى الى جزيرة كانت موجودة في ذلك المكان قبل أن تذوب ثلوج العصر الجليدي الذي عم الارض منذ ١٢ الف عام ، وكأنما بيرليتز يريد أن يوحي للناس أن الرادار يستطيع أن يلتقط بعض احداث الماضي السحيق ، وهذا شيء لم

يعرفه العلم من قبل ولا من بعد ، انما هي أضغاث أحلام تطوف ببعض العقول التي لا تعرف عن نواميس الكون شيئا مذكورا .

لكن علينا أن نعود لنؤكد أن شاشات الرادارات قد تلتقط صورا لاشياء غير موجودة في أماكنها ، وهو ما يطلق عليه اسم « قراءات الرادار الزائفة » أو « الخادعة » ، وهذا ما سبق أن قدمنا جزءا منه ونحن نتحدث عن الاطباق الطائرة (مثل جزيرة مالطة المزعومة) اذ أحيانا ما تهيىء ظروف جوية ، او اضطرابات وخلل في وظيفة الرادار ذاته ، الى اظهار صور غريبة ، لكن الفنيين أو المتخصصين يعرفون حقيقة ما يجري ، فاما أن يصلحوا خطأ أجهزتهم ، أو لا يلقون أهمية لما يروا ، وكأنما هم لا يرون الا سرابا خداعا ، وطبيعي أن بيرليتز وامثاله لا يدركون عن ذلك شيئا ، « ورحم الله امرؤا عرف قدر نفسه » !

فرية توقف الزمن وتخفي السفن !

ومن الحكايات التي يقدمها بيرليتز في كتابه حكاية تقول ان احدى الطائرات التابعة لشركة طيران « ايسترن ايرلاينز » (طيران الشرق) قد اختفت كلية من على شاشات الرادار ولمدة عشر دقائق كاملة اثناء قدومها من فوق مثلث برمودا لتهبط في ميامي ، وعندئذ توجست ادارة المطار شرا ، فكان أن أعلنت حالة الطوارىء ، وانطلقت سيارات المطافىء والاسعاف لتنتشر قرب ممر الهبوط ، وهبطت الطائرة بسلام ، وتعجب الذين هبطوا والذين انتظروا ، ولم يعرف هؤلاء ولا هؤلاء السر الكامن وراء كل ما حدث ، لكن عندما طلب احدهم من طاقم الطائرة ومن ركابها ان ينظروا في ساعاتهم ، دهشوا دهشة بالغة حينما وجدوا كل الساعات التي في الطائرة قد توقفت لمدة عشر دقائق كاملة .. فما الذي أوقف الزمن ؟ .. وهل يمكن للزمن أن يتوقف حقا ؟ ! .

طبيعي أن بيرليتز لم يحدد اي شيء يمكن الاستدلال منه عن صحة هذه المزاعم ، فلا هو حدد لهذه الرحلة تاريخا ، ولا رقم رحلة

الطيران ، ولا موعدها ، ومع ذلك فقد أجريت التحريات اللازمة ، وسئلت شركة طيران « ايسترن ايرلاينز » عن حقيقة هذا الذي ورد في كتاب « بدون أثر » ، فقال المسئولون « ان ذلك لو كان قد حدث ، لكنا قد تأكدنا من حدوثه كتأكدنا من حدوث الموت » ! .. وهكذا فقد ظهر ــ بما لا يدع مجالا للشك ــ أن توقف الزمن كان محض تصورات رديئة ! .

لكن تجربة « فيلادلفيا » كانت مثيرة للغاية ، اذ تلعب المجالات المغناطيسية فيها دورا غريبا ، وبحيث تجعل العلم يدير لها خده الايسر بعد أن تلقى صفعة قوية من بيرليتز على خده الايمن .. فما هي تجربة فيلادلفيا تلك ؟ .

يقول بيرليتز انه في عام ١٩٤٣ قامت ادارة بحوث البحرية الامريكية باجراء تجربة على واحدة من مدمراتها ، واستخدمت في ذلك أجهزة لمعادلة المغناطيسية ، وعندئذ اختفت المدمرة تماما من فيلادلفيا ، وظلت تبحر دون أن يراها أحد ، حتى وصلت الى ميناء نورفولك بولاية فيرجينيا .. كما اختفى أيضا كثير من بحارتها ، وظل بعضهم مختفيا حتى أثناء سيره في شوارع المدينة ! .

هذا هو ملخص تجربة فيلادلفيا ، لكن بيرليتز لا يكتفي بذلك ، بل يذهب الى حد تعليل اختفاء الطائرات والسفن والناس في مثلث برمودا بمجالات مغناطيسية شديدة لا يقدر عليها الا مخلوقات عاقلة ومتطورة ومختفية في أطباق طائرة تحلق فوق المنطقة ، أو ربما كانت هذه المجالات الشديدة ــ على حد قوله ــ نابعة من قاع المحيط في ذلك المثلث العجيب ! .

وطبيعي أن العلم لا ينفي ذلك ، فمن الممكن معادلة المغناطيسية بربط المدمرة أو لفها بسلوك يسرى فيها تيار كهربي محدد ، فيخلق مجالا مغناطيسيا ، ليعادل المجال المغناطيسي الارضي ، وهذه التجربة معروفة وقديمة ويجريها تلاميذ المدارس على الابر المغناطيسية ، لكن ذلك لا يعني أن الابر تختفي من أمام عيونهم ، ولا كذلك يمكن

اخفاء انسان عندما يلف نفسه بسلوك ليعادل المغناطيسية ، ولا كذلك اخفاء حجر أو مدمرة او أي شيء اخر على الاطلاق ، ولو كان اختفاء الاشياء بمثل هذه السهولة والليونة التي يجرى بها فكر بيرليتز او غيره ، لما تأخر هذا الكشف الخطير كل ذلك الزمان الطويل ، ولاصبح سلاحا جبارا بين أيدي الناس أجمعين ... اضف الى ذلك أن البحرية الامريكية ذاتها ، وكذلك ادارة بحوثها تنفي نفيا قاطعا انها قامت بمثل هذه التجربة التي تمخضت عن كل تلك النتائج الباهرة دون أن تظهر ثمرتها في التطبيق الفعلي كل هذه السنين .

خرافة اسمها قارة أطلانطس الغارقة !

ومن المؤسف أن هذه الخزعبلات تنتشر دائما في كتب كثيرة وبعناوين مختلفة ، ولكتاب مهرة ، وكل مؤلف ينقل من غيره ، فيحذف ويضيف ويعلل ويشرح ويضلل ، وبحيث يظهر كل هذا أمام الرجل العادي أو حتى المثقف ثقافة غير علمية وكأنما ما يختلقه هؤلاء الكتاب من قصص واساطير وحكايات خيالية كأنما هي حقائق علمية ، لانها ـ في معظم الاحيان ـ تتمسح في لغة العلم ، فهي تتحدث عن الواقعة ، وتشير الى أن عالما من العلماء قد حققها ، وأنه وجدها صحيحة ، لكنه لا يستطيع أن يقدم لها تفسيرا ، ثم ترى الكاتب ـ الذي لا يعرف عن اساسيات العلم الا بعض قشوره ـ يعطيك تعليلا مثيرا وخياليا ودون أن ينسى مزجه ببعض تعبيرات علمية ، وقد يمس هذا التعليل الاسطوري هوى في عقول الناس الذين يميلون الى كل ما هو غيبي ومحجوب عن الادراك والحواس ، ولا شك أن لذلك جاذبية خاصة عند العامة والخاصة ، اذ يظل الامر مثيرا طالما كان هو غامضا ، فاذا عرفنا غموضه ، انتهت اثارته ، وتقلصت جاذبيته !

ومثل واحد أو مثلان قد يوضحان كيف يجذب هؤلاء الكتاب عقول الناس في مصيدة الخزعبلات المثيرة .. ولنعد الى

كتاب بيرليتز الاخير ، لانه ابرع الكتب على الاطلاق في التضليل شبه العلمي ، فتراه يذكر ظاهرة غريبة يطلق عليها اسم « ضباب الساحل » الذي رصدته سفينة حراسة السواحل الامريكية « ياماكراو » فيقول عنه « ومع أن هذا الدخان تحت المائي يمكن اعتباره انبثاقا طبيعيا تماما من مادة كامنة في جوف الارض الملتهب .. لكن ذلك لا يمنع من التنبيه الى تلك النظرية التي تشير الى ينابيع الطاقة التي امتلكتها حضارات ما قبل التاريخ .. اذ أن هذه الحضارات لا تزال تنشط على فترات منتظمة أو متقطعة ، وبهذا تؤثر في حركة وسائل النقل الجوي والبحري الحديثة » ! .

اي أن هذا الضباب الساحلي المعروف نشأته واصله قد أرجعه بيرليتز الى مخلوقات غارقة تحت الماء ، وانها لا تزال تمارس نشاطها ، وما ذلك « الدخان » المائي الا دليلنا على وجودها ، وهو يشير بذلك الى قارة « اطلانطس » التي تحكي الاساطير عن غرقها بحضاراتها المتقدمة الشيء الكثير ، رغم أن هذه القارة لم يرد ذكرها في أي مرجع علمي حديث أو قديم ، انما يتداول ذكرها فقط بفضل هؤلاء الكتاب الخياليين .

وطبيعي أن العقل البشري سوف ينجذب الى التعليل الخرافي، فيفكر تلقائيا في طبيعته وكنه تلك المخلوقات ذات الحضارات التليدة القابعة في الاعماق ، لكنه قد يستنكر شرحا علميا يصدع راسه ، أو بحثا أصيلا يصد نفسه ! .

ثم اليك بهذا التعليل الذي قدمه بيرليتز عن تلك السفن الكثيرة المهجورة على سواحل فلوريدا والتي قد يرجع السبب الحقيقي في هجرانها الى عمليات الاختطاف وسلب محتوياتها ثم تركها (وهي حوادث تتكرر هناك كثيرا) ، أو ربما الى تآمر واحتيال على شركات التأمين ، أو ربما الى عمليات تمرد ضد السلطة او أصحاب تلك السفن ، أو ربما الى جنوحها تحت وطأة العواصف ، أو العطل .. الخ .. الخ ، وطبيعي أن هذه الاسباب مقنعة ، ولكنها ــ مع ذلك ــ لا تجذب العقل ولا تثيره ، انما الذي يجذب ويثير أن

بيرليتز يضرب على الوتر الحساس ، فيذكر أن مثلث برمودا قد تعتريه بين الحين والحين موجات قوى غير معروفة المصدر ، وان هذه الموجات تترك اثرها على نفوس الناس وعقولهم ، واحيانا ما تدفعهم عنوة الى تعريض انفسهم للمخاطر ، كأن يقفزوا منها هاربين بجلدهم .. اي ان بيرليتز يريد أن يرجع وجود هذه السفن المهجورة الى التغير الذي طرأ على نفوس من كانوا فيها اثناء مرورهم في مثلث برمودا ، فتسلطت عليهم قوى غير منظورة ، اجبرتهم على تركها هناك ، لتصبح مكانا تمرح فيه هذه القوى الخفية وتعربد وتلهو .

ولا شك أن هذا التعليل الذي ليس له من أساس قد يصطاد العقل في متاهات من اشباح وأرواح وعفاريت سيطرت على العقل البشري من قديم الزمن ، أو الى مخلوقات قادمة من الفضاء في اطباق طائرة ، فسيطرت ايضا على الفكر في زمننا هذا ، وكلها أمور يقف أمامها العلم — كما يدعون ويتهمون — عاجزا !

لكن قافلة العلم تسير

ورغم كل ما يثار حول العلم والعلماء من شكوك ، فان العلماء يودون من صميم قلوبهم أن يوضحوا للناس — وعلى اساس من علم ودراسة — أن ما يجيىء من ادعاءات خاطئة — في معظم الكتب التي يؤلفها كتاب غير متخصصين ، أو ينقلها عنهم قراء غير مؤهلين — يمكن بحثها بهدوء وتأن وعقل مفتوح ، لاظهار الخدعة من الحقيقة ، لكن الاتهام الذي يلقاه العلماء انهم دائما لا يفتحون عقولهم (هكذا !) الا على كل ما هو طبيعي ومنطقي وخاضع لحدود العقل ، ومع ذلك ، فان العكس هو الذي يحدث دائما — على حد قول جراهام ماسي الذي كتب تعليقا مطولا عن هذه الخرافات في احدى المجلات العلمية البريطانية ، وفيها يقول أن مؤلفي هذه الكتب الخرافية هم الذين يغلقون عقولهم عن مجابهة اي نقد أو اعتراض علمي ،

بحجة أن ما جاء في كتبهم الرخيصة قد أمكن تحقيقه علميا ، وثبت أنه الصحيح ، ويبقى العيب في العلماء الذين يفلقون عقولهم عن هذه الحقائق لانهم يجهلونها (هكذا !!) .

ويسوق جراهام ماسي امثلة على التضليل العلمي الذي ورد في بعض هذه الكتب المحشوة بعلوم كاذبة فيقول : ان ما اشار اليه بيرليتز في كتابه « بدون أثر » من أن مؤتمرا علميا قد عقد في « **جرين بانك** » لبحث الحياة في الكواكب لم يتوصل ولم يذكر ــ كما جاء خطأ في كتابه ــ أن هناك ما يقرب من ٤٠ أو ٥٠ مليونا من العوالم التي تحاول الاتصال بنا ، أو تتصنت علينا . . أو انه لم يثبت أو استطاع احد أن يبرهن على ان قارة اطلانطس الغارقة قد أمكن العثور عليها في «**بيميني**» ، أو أن البحرية الامريكية تتعاون مع البحرية السوفييتية في بحث الظواهر الغريبة التي تتجلى في مثلث برمودا ، أو ان احدا لم يرصد طبقا طائرا حط في « هدسون سيتي بارك » بنيوجيرسي ، وان مخلوقات هذا الطبق لها علاقة ببعض ما يحدث في مثلث برمودا . . أو . . أو . . الى اخر هذه المعلومات غير الصادقة والمضللة التي طافت بخيال الكاتب ، ولم يثبت انها صحيحة على الاطلاق .

ثم يتساءل ماسي بتهكم ويقول « اذا كان اختفاء الناس بدون أثر » يرجع عادة الى هذه القوى الغامضة التي تتسلط على كوكب الارض ليل نهار ، فلا شك ان تشارلز بيرليتز مؤلف كتاب « بدون أثر » سوف يتحفنا بفيض لا ينقطع من الكتب التي تتحدث عن اختفاء اكثر من ١٢٠٠٠ شخصا في بريطانيا وحدها وفي عام واحد فقط ــ على حسب ما جاء في سجلات سكوتلانديارد » (والمعنى هنا واضح ، اذ يخشى ماسي ان يأتي اليوم الذي يرجع فيه هؤلاء

الكتاب اختفاء الناس في الدول المختلفة الى عمليات خطف تتم على ايدى مخلوقات جاءت من الفضاء *) .

والسؤال الان : هل جاءت هذه المخلوقات الفائقة الذكاء والعلم والحضارة من مسافات يضن على العقل البشري تصورها ، لتكون رسالتها خطف الناس ، واغراق السفن ، وتحطيم الطائرات ، وسرقة البهائم ، واقامة الولائم ، ونشر الرعب في أرجاء هذا الكوكب، دون أن يكلفوا خاطرهم ولو مرة واحدة بالاتصال بالعلماء في مراصدهم أو معاهدهم او مراكز بحوثهم ليتبادلوا معهم الرأي والعلم في حقيقة هذه الاكوان التي تمتد حولنا وحولهم بغير حدود ؟ .

والجواب يأتي من هذه الكتب الرخيصة التي تصف هذه المخلوقات بأنها جاهلة وهمجية ومتوحشة ، ولا يمكن ــ بطبيعة الحال ــ أن يسيطر الجاهل أو الهمجي أو المتوحش على هذا الكون العظيم أو يغزوه ، اذ لا بد أن يكون متسلحا بعلم وتكنولوجيا أعظم وأرقى وأدق من علم وتكنولوجية أهل الارض أجمعين ، وهذا بلا شك تناقض بغيض يقع فيه مؤلفو هذه الكتب الدارجة .



* بعد أن انتهينا من هذا الكتاب ، ظهرت حادثة جديدة لسقوط طائرة بقائدها في استراليا ، ويقال انه شاهد جسما طائرا يتبع طائرته ، واغلب الظن طبعا أن ما رآه وافزعه هي ظاهرة من الظواهر الجوية الكثيرة التي تقابل الطيارين ، ويرجعها البعض الى الاطباق الطائرة المزعومة ، وربما ادى فزع الطيار الى حالة هلوسة فقد معها التحكم في طائرته ، فسقطت في البحر (كما جاء في التقارير الرسمية) ، أو في مكان مجهول على الارض ، لا أن يكون ضحية لهذه المخلوقات المزعومة .. ولسوف تتكرر هذه المزاعم الباطلة ، كما تكررت قبل ذلك ، واشرنا الى بعضها .



الفصل التاسع

هل للأهرامات «معجزات» تعطل الشرائع الطبيعية !!

« أعلن أحد العلماء الفرنسيين أنه عندما زار هرم خوفو ، ودخل السرداب وتسلق السلالم .. وذهب الى غرفة الملك .. وجد شيئا غريبا .. وجد الجو مليئا بالرطوبة .. ووجد في غرفة الدفن قطة وكلبين .. وكلاهما ميت .. وعلى الرغم من وجود الرطوبة ، فان العفن لم ينبعث من أجسام هذه الحيوانات الميتة .. شيء غريب ! حيوانات ماتت في جو به رطوبة ومع ذلك لا تتعفن ؟ !

« كأن هذه الحيوانات قد جفت سوائلها وتجمدت تماما .. ثم حنطت .. ولذلك لا عفونة .. ومعنى ذلك أن الشكل الهرمي لا بد ان يكون هو السبب .. ولا بد أن الفراعنة ــ وكذلك السحرة ــ قد استعملوا الشكل الهرمي والفراغ الهرمي أيضا لحفظ جثث الموتى .. أو تحنيطها بسرعة » !

« هذا العالم الفرنسي اسمه بوفيس ، وقد صدرت له دراسات عن شكل هرم خوفو .. أو الشكل الهرمي وعلاقته بحفظ اللحوم .. وله تجارب على البيض والمخ واللبن .. وقد لاحظ من كل هذه التجارب أن هذه المواد السريعة الفساد اذا وضعت تحت شكل هرمي بضع ساعات أو أيام فانه يستحيل أن تتعفن ! » .

هذه الفقرات نقلناها بنصها من احدى مؤلفات أنيس منصور ــ وهي في مجملها تبدو أمام الرجل العادي أو المتعلم أو حتى المثقف كأنما هي ظاهرة علمية تستحق التأمل ، وتستحوذ على الدهشة ، وحتى أنيس منصور نفسه يتعجب ويقول شيء غريب ! .

لكن أنيس منصور لا شك معذور ، فهو لم يأت بهذا الكلام من عنده ، بل جاء به من ذلك النوع من الكتب التي ألفها مؤلفون غارقون

في الخرافات حتى قمة رؤوسهم .. لكن قبل أن نناقش الجانب العلمي من هذه المزاعم ، دعنا نتعرض أولا لبضع نقاط لا نظن أن مغزاها قد خفي على لبيب .

* ما الذي دفع بالقطة والكلبين لتسلق سلالم الهرم والذهاب الى غرفة الملك ، لتموت كلها هناك ، خاصة وأن على باب الهرم حرس لا نظن أنه يسمح للكلاب والقطط بالدخول هكذا دفعة واحدة ؟ .

* ومع ذلك دعنا نفترض أن الحرس قد يسر دخول الحيوان مع الانسان الى الهرم ، وان تلك الحيوانات قد ماتت هناك بالجملة ، ولنتساءل مرة أخرى : الا يوجد من رآها غير السيد بوفيس خاصة وأن الهرم يزوره يوميا المئات (أو حتى لنقل العشرات) ، وان هؤلاء الزوار قد يصحبهم في بعض الاحيان بعض المرشدين السياحيين ؟ .. ثم كيف رأوها ملقاة هناك ميتة دون أن يكلفوا خاطرهم بحملها بعيدا عن حجرة الملك النظيفة تماما من القمامة والجثث ، وكما رأيناها نحن مرات عديدة ؟ .

* لماذا قام الفراعنة اذن بتحنيط الجثث وحفظها بالتجفيف والكيماويات قبل أن توضع في قبورها أو أهراماتها ما دام الشكل الهرمي بقادر على أن يحفظ الجثث من التعفن ، خاصة لو عرفنا أنه لا فرق هنا بين جثث الملوك والصعاليك والقطط والكلاب بعد الموت ؟ .. بمعنى أنه يسري عليها بالضرورة ما يسري على أي كائن ميت من تحلل .. والتحلل سنة من سنن الطبيعة التي لا مفر منها ولا مهرب ! .

* ثم اذا كانت هذه النظرية صحيحة ، فلماذا لا نطبقها في حياتنا ؟ .. بمعنى « ان هذه المواد سريعة الفساد اذا وضعت تحت شكل هرمي بضع ساعات أو أيام فانه يستحيل أن تتعفن » — كما ورد ، وهذا يعني أيضا أن هذا الكشف العظيم للسيد بوفيس سوف يفيد البشرية فائدة عظيمة ، فما عليهم الا أن يشيدوا في

دورهم أشكالا هرمية صغيرة ورخيصة ، ويحفظون فيها الطبيخ واللبن واللحم والشوربة وسائر المواد سريعة الفساد ، فهذا أوفر من الثلاجات التي تستهلك طاقة كهربية نحن احوج اليها في شئون أخرى .. ثم ان أغلب الظن أن هذا الكشف الكبير سوف يوفر على مؤسسات اللحوم والدواجن المحفوظة بالتبريد الشيء الكثير .. فليكن هناك شكل هرمي كبير بدلا من هذه الثلاجات الضخمة التي تحتاج الى صيانة دائمة ، وقد تستهلك يوما ، في حين ان الشكل الهرمي يبقى صامدا عشرات أو مئات السنوات !

هذه اذن بضع نقاط تدعو الى التأمل والدراسة ، لكن علينا أن نعود سريعا للاحتكام الى أبسط مبادىء المنطق والعقل ، فاذا كانت تلك المبادىء غير مقنعة للذين يعتقدون في الاوهام والخرافات، فعلينا أن نحتكم الى التجربة ، فهي الحد الفاصل بين الانماط الفكرية القويمة ، والانماط المعوجة أو المضللة .

الذين يسيئون الى العلم !

على أن السيد بوفيس الذي أضفوا عليه لقب عالم فرنسي ، ليس عالما بمعنى الكلمة ، ولهذا لا تثريب عليه فيما يزعم ، انما التثريب يقع على قلة من العلماء الذين يعملون في حقل العلم ، ثم يسيئون اليه بخرافات وقرت في عقولهم ، فلوثت أفكارهم .. انهم هنا بالنسبة للعلم ، كالميكروب بالنسبة للجسد .. لكن « جسد » العلم قوي قويم صامد ، وهو في نمو وازدهار دائم ، ولهذا لا تنال منه تلك « الميكروبات » التي تندس فيه بين الحين والحين ، فسرعان ما يلفظها ويقضي عليها ، لينطلق في آفاق واسعة ، ويعطينا انجازات نافعة لا نحصيها عدا .

والامر الخطير هنا ان رجل العلم ــ خاصة التجريبي ــ يحظى دائما من الناس بالثقة والوقار والنضج الفكري ، فاذا تحدث عن أمر من الامور ، تجد عند الناس ميلا غريزيا لتصديقه أو الاستشهاد بما يقول ، لان علمه قد علمه ألا يذكر فيه الا الحق ، ولهذا عندما

يتعرض لظواهر خرافية ، تجد الناس ايضا مصدقين لما يقول ، ولهذا فقد أساء علماء مرموقون من أمثال « سير » اوليفر لودج وكروكس وبريجز .. ألخ ، الى العلم اساءات لا تكاد تمحى ، اذ ان هؤلاء وغيرهم قد خدعوا في بعض الجلسات الروحية ، وصدقوا ما رأوا ، وما راوا الا بهتانا ، ثم تحدثوا الى الناس بما خدعوا فيه ، ولهذا نجد كل الكتب التي تحدثت عن الارواح والاشباح تستشهد بما قالوا كدليل اكيد على أن تلك الظواهر المزعومة حقيقة لا ريب فيها .. ومما يذكره لنا كل من ه. ج. ويلز ، وجوليان هكسلي ، ج. ب. ويلز في كتابهم علم الحياة ان سير أوليفر لودج قال لثالثهم « أرجوك .. أنقذني من أصدقائي » .. وكان وقتذاك قد تعرض لحملة قاسية من العلماء التجريبيين ، واعتبروه منتكسا ومرتدا عن جادة العلم ، وطريق الحقيقة ، ولا يصح لعالم مثله أن ينحدر الى ما انحدر اليه العوام !

ولقد راينا مما تقدم كيف أن واحدا من رواد الفضاء ورجل علم في المقام الاول هو د. ادجار ميتشيل قد انغمس في هذه البحوث الكاذبة ، ويشاركه أيضا د. بوهاريش ، ودكتور جون تاينور ، الا ان هذا الاخير قد بدأ يعود الى صراط العلم المستقيم ، ثم يجيء واحد من علماء البيولوجيا هو دكتور ليال واطسون ليؤلف كتابا عنوانه « فيما وراء الطبيعة » Supernature ويحشوه بخزعبلات كثيرة ، ويذكر فيه ضمن ما يذكر أشياء غريبة عن معجزات الهرم الاكبر ، ويذهب الى أبعد من ذلك ويذكر انه قد حققها ، وثبتت لديه صحتها ، وما نظنه عالما على الاطلاق ، بل هو أقرب الى هؤلاء الناس الذين يضفون على أنفسهم القابا علمية دون وجه حق ! (الواقع أن أسماء العلماء التي يدونونها في كتبهم ومجلداتهم تقرن دائما بمؤهلاتهم ومراكزهم العلمية ، وهذا ما لم نستدل عليه في كتاب واطسون) .

يقول واطسون في كتابه « أن بوفيس اراد ان يستريح في حجرة الملك من حرارة الظهيرة ، ولفت نظره ان حجرة الملك كانت

تحتوي على قمامة (هكذا !!) ومن ضمنها علب المأكولات الفارغة التي يلقيها السواح هناك (وهذه فرية واضحة) ومعها جثة قط وبعض الحيوانات الصحراوية الصغيرة التي كانت تتجول داخل الهرم وماتت ، وان هذه الحيوانات قد جفت كالمومياء رغم الرطوبة ، ولم تتحلل اجسامها ... » ... الخ (لاحظ ان هذا الوصف يختلف في أمور عن وصف أنيس منصور) .

ولما عاد بوفيس الى فرنسا صنع نموذجا مصغرا للهرم الاكبر ، ووضعه مقابلا للجهات الاربعة الاصلية .. تماما كالتي يوجد عليها الهرم ، وفي داخل هذا النموذج وضع قطة ميتة فتحولت الى مومياء دون ان تتحلل ، وجذب هذا الاكتشاف كاريل داربل (وهو مهندس في أجهزة الارسال والاستقبال من براغ) ، واعاد التجربة مع عدد من الحيوانات الميتة ، واستنتج الآتي « توجد علاقة بين الشكل والفراغ الهرمي وبين العمليات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية التي تتم داخل هذا الفراغ ، وانه بالامكان استنباط اشكال اخرى مختلفة لنسرع ببعض هذه العمليات او نبطئها » .. (والواقع ان هذه الادعاءات المضللة لا توجد في كتب الكيمياء والفيزياء والبيولوجيا) .

ولا تثريب ايضا على بوفيس أو درابل ، لكن التثريب واقع على دكتور واطسون الذي يذكر انه صنع بدوره نموذجا مصغرا للهرم الاكبر من الورق المقوى ليجرى فيه هذه التجارب ، وانه قدم لنا الطريقة ، ولا مانع من ذكرها هنا ، فربما يعن لبعضنا التحقق من ذلك .. يقول واطسون « جربها بنفسك .. وعليك ان تقطع اربع مثلثات متساوية الساقين من الورق المقوى وبحيث تكون النسب بين طول القاعدة وساق كل مثلث هي ١٥ر٧ : ١٤ر٩٤ (بمعنى اذا كان طول ضلع القاعدة ٣١ر٤ سم مثلا ، فان طول ساق المثلث ٢٩ر٩٨ سم ، وهي النسب المصغرة للهرم الاكبر) .. ثم الصق المثلثات الاربعة بشريط لاصق ، وبحيث يرتفع الهرم الى عشر وحدات تماما (اي اذا كان طول ضلع القاعدة ١٥ر٧ سم مثلا ،

وطول ساق المثلث ١٤٫٩٤ سم ، يكون ارتفاع المثلث ١٠ سم) .. وعليك أن توجه المثلث بحيث تكون أضلاع القاعدة مواجهة للشمال والجنوب المغناطيسي ، ثم الشرق والغرب . جهز بعد ذلك حاملا يرتفع عن مستوى القاعدة بمقدار ٣٫٣٣ وحدة (أي ثلث ارتفاع نموذج الهرم من الارض) ، وضع هذا الحامل تحت قمة الهرم مباشرة ، وعليه الاشياء التي تريد اختبارها » .

ويذكر واطسون انه وضع تحت هذا النموذج بيضا وقطعا من اللحم وفئرانا ميتة .. الخ ، ووضع نفس الشيء تحت صندوق عادي من نفس الورق (للمقارنة بين نتائج هذا الشكل وذاك) ، واكتشف أن الاشياء الموجودة في الشكل الهرمي قد حفظت بطريقة جيدة ، في حين أن التي كانت داخل الصندوق قد فاحت رائحتها ، وكان لا بد من التخلص منها .

ان هذا الهراء لا زالت تفوح رائحته بين العامة والخاصة ، ولقد تحدث به المفكرون والكتاب في اذاعاتنا وتليفزيوناتنا ، وسمعته بأذني ممن يشغلون مناصب كبيرة ، وكان من الواجب عليهم أن يرشدوا الناس لصنع هذه النماذج في بيوتهم ، ليحفظوا في داخلها بصلهم وثومهم ولحومهم وأسماكهم .... الخ ، اذ مما لا شك فيه أن هذا « العلم النافع » ، لا بد أن يجد التطبيق النافع .. فالفرق بين الخطأ والصواب هو التجربة .. وهي لن تكلفنا شيئا ، فخاماتها رخيصة ، لكننا لا شك خاسرون طعامنا ! .

تجارب في المعمل وفي داخل الهرم !

الواقع أن تحقيق هذا الامر ، واخذه على محمل الجد ، قد يدعو الى الضحك والسخرية حقا ، وقد يعود بنا ذلك الى تلك البدايات الغريبة التي بداها العلم التجريبي في مهده للقضاء على كثير من الخزعبلات والخرافات التي كانت تسيطر على العقول منذ مئات السنين ، وفيها يذكر لنا بول دي كرويف في كتابه « صيادو الميكروبات » كيف بدأ العلم بداية غريبة ، فلقد كانت هناك جمعيات

سرية تنتشر في معظم دول أوروبا في القرن الخامس عشر حتى القرن السابع عشر ، فكانت هناك جمعية أسرار الطبيعة ، والجمعية السرية للعلوم ، والكلية غير المنظورة ، وكان أعضاؤها يقومون بالتجارب سرا خوفا من بطش رجال الدين والكهانة ، ولنذكر واحدة من تلك التجارب المثيرة والمضحكة التي قام بها اعضاء الجمعية السرية للعلوم ، وهي التي كانت نواة لاكبر جمعية علمية ، والتي نعرفها اليوم باسم الجمعية الملكية للعلوم بلندن .. صحيح أن التجربة التي ستذكرها لن تؤخر العلم ولن تقدمه ، لكنها كانت ضربة فعالة لواحدة من الخرافات التي سيطرت على العقول ردحا طويلا من الزمان .

لقد كان الظن الشائع بين الناس أن العنكبوت اذا وضع داخل دائرة مرسومة بمسحوق قرن وحيد القرن ، فان العنكبوت لا يستطيع ان يتخطى حدود الدائرة ، ولهذا يبقى حبيسا في داخلها طيلة حياته حتى يموت .. وقال أعضاء الجمعية السرية : لماذا لا نقوم بهذه التجربة لنرى ، وبالفعل احضر أحدهم مسحوقا من المفروض انه كان من قرن حيوان خرافي له جسم فرس وذيل اسد وقرن وحيد في وسط جبهته Unicorn ، وجاء اخر بزجاجة فيها عنكبوت ، والتف رجال الجمعية والموقرون ليروا نتيجة التجربة « التاريخية » على ضوء الشموع ، وحبس القوم انفاسهم ، وخيم صمت رهيب ، وتمت التجربة ، وكتب أعضاء الجمعية تقريرهم ، ووقعوا عليه ، وقالوا فيه « لقد رسمنا الدائرة بمسحوق من قرن وحيد القرن ووضعنا عنكبوتا عند مركزها ، ولكن سرعان ما انفلت وفر هاربا » ! .

وطبيعي أن مثل هذه التجربة قد تثير الشفقة او السخرية من هذه العقول المفكرة ، لانها تدل على بدائية في التفكير ، لكنها ــ مع ذلك ــ كانت بمثابة الشرارة التي انطلقت لتحرق خرافات العصور الوسطى او ما قبلها ، وبدأ العصر التجريبي للعلوم يؤتي ثمارا يانعة ، ويصيب الاعتقادات الخاطئة بالتدهور والذبول .

ونحن لا نجد غضاضة في العودة الى مثل هذه التجارب في عصرنا الحاضر ، فمع تسليمنا ان الهرم ـ حقيقةكان او نموذجا ـ لن يحقق « المعجزة » التي عششت في العقول ، الا أن ذلك الاستنتاج العفوي لا تقره « بروتوكولات » العلم التجريبي ، اذ لا بد من التجربة أولا ، حتى نعرف القول الفصل في المسائل التي تهم علينا ، حتى ولو كانت تافهة ! .

ولقد قمنا بدورنا بعمل نموذج للهرم من الورق المقـوى ، ونموذج لصندوق من نفس الورق ، ووضعنا في هذا وذاك عينات من أسماك ولحوم ومكعبات من البطاطس .. الخ ، فلم يكن الشكل الهرمي بأحسن حال من الصندوق ، اذ دبت العفونة في محتويات هذا وذاك بنفس الدرجة ، كما أن فقد الماء من مكعبات البطاطس (عملية التجفيف التي وردت) لم تختلف في هذا النموذج عن ذاك .

وطرأت لنا فكرة اخرى : أن الهرم الاكبر في بلادنا ، ولن يكلفنا ذلك الا السفر الى الجيزة ، واجراء التجربة ذاتها داخل الهرم ، فكان أن كتبنا الى مصلحة الآثار نستأذن منها في اجراء عدد من التجارب تحت اشرافها ، فوافقت مشكورة على ذلك .

وفي داخل سرداب أرضي يمتد حوالي ٧٠ مترا اسفل الهرم ، وفي حجرة الملك التي تعلو سردابا يتجه الى أعلى وضعنا عينات من لحوم داخل اطباق زجاجية معقمة ، وعينات اخرى من مرق (شوربة) في أنابيب الاختبار ، كما وضعنا في خارج الهرم عينات مشابهة للمقارنة ، ومر يومان ، كنا قد سجلنا فيهما درجات الحرارة في الداخل والخارج ، وكانت الحرارة في الخارج أعلى منها في الداخل بحوالي ٨ ـ ١٠ درجات في المتوسط ، واخرجنا العينات ، فوجدناها جميعا قد فاحت رائحتها بشكل منفر ، ولم نجد اختلافا واضحا بين ما كان داخل الهرم ، وما كان خارجه (فالانف لا يستطيع ان يقرر ذلك على وجه التحديد) .

ثم قمنا بخطوة أخرى تدخل في صميم تخصصنا ، وفيها أجرينا العد البكتيري لعينات اللحوم بطريقة من طرق التحليل البكتيري ، وكان عدد البكتيريا في الجرام الواحد منها كالاتي :ــ

عينات خارج الهرم ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١٤ (١٤ بليونا / ١ جم)

عينات في حجرة الملك ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢٨ (٢٨ بليونا / ١ جم) .

عينات في سرداب تحت الهرم ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٥٨ (٥٨ بليونا / ١ جم) .

وتشير هذه الارقام الى حقيقة واضحة ، فلقد كان نمو البكتيريا على اللحوم داخل الهرم أكبر من نموها خارجه بمقادير تتراوح ما بين ٢ ــ ٤ مرات ، وهذا يعني أن التعفن أو التحلل كان اسرع داخل الهرم من خارجه ، رغم أن الحرارة في الداخل كانت اقل ، والحرارة الاقل تؤدي دائما الى سرعة في النمو والتكاثر ابطأ ، لكن يبدو أن الظروف في داخل الهرم كانت مهيأة لتكاثر اعظم ، رغم الاختلاف في الحرارة .

والنتيجة الحتمية : اننا قد حطمنا خرافة من الخرافات السائدة ، وطبيعي ان بحثا مثل هذا لا يقبل للنشر في مجلة علمية مهما كانت متواضعة ، كما اننا لا نستطيع أن نجازف بارساله لهيئة علمية ، فاغلب الظن انهم قد يظنون بنا الظنون ، لان النتيجة معروفة مقدما ، وان ما قمنا به قد يكون من قبيل العبث ، لكننا أرضينا ضميرنا في مسألة غمت على العامة والخاصة .

ان التعفن وظهور الروائح الكريهة يعني ان كائنات البكتيريا قد بدات تهاجم المادة العضوية وتتغذى عليها (اللحوم والشوربة والاسماك والجثث .. الخ) .. ولا شيء داخل الهرم يمنعها من ذلك ، اللهم الا اذا كانت الاهرامات مصدرا لاشعة قاتلة ، وهذا ما لم يهتد اليه احد ، ولا هو وارد على اي تفكير علمي مهما كان متواضعا ، ثم ان الشيء الذي يقتل البكتيريا قد يقتل الانسان .

ولو توقفت اللحوم او الجثث عن التعفن والتحلل ، فان ذلك يعتبر خرقا للنواميس الطبيعية ، فمصير كل مادة عضوية تترك لقدرها ، لا بد ان تعود الى اصلها .. الى غازات وعناصر بسيطة وتراب حتى ولو كانت في بروج مشيدة ، او صروح ضخمة .. وهذه عملية مستمرة بدأت يوم ان بدأت الحياة على الارض ، ولن تنتهي الا بانتهاء الحياة كلية من الارض* ، ولن توقفها اهرامات ولا صلوات ولا نوايا طيبة ، اذ لو توقفت البكتيريا عن رسالتها العظيمة ، لعمت الجثث هذا الكوكب ، ولتوقفت الحياة تبعا لذلك : لكنها لم تتوقف حقا ، لان كل شيء يسير بحساب ومقدار ، وحسب شرائع لا خلل فيها ولا فوضى .

ومن ضمن الخرافات الغريبة ان الفراغ الهرمي يستطيع ان يعيد الامواس الكليلة او الثلمة (غير الحادة) الى حدتها ، وصاحب هذا الاكتشاف « العبقري » احد العلماء (هكذا !!.. وهو ليس بعالم ، انما هو درابل الذي سبق ذكره ، لكنهم يزجون دائما باسماء العلماء في هذه الخرافات) ، وقد ذهب وسجله تحت رقم ٣٦٧ ، وفي رواية اخرى تحت رقم ٩١٣٠٤ من قائمة براءات الاختراعات التشيكوسلوفاكية (حتى الارقام يختلفون فيها) ، وكان عنوان هذا الكشف « من هرم خوفو الى امواس الحلاقة » .. ويقال ان الموسى الواحدة اذا وضعت تحت الشكل الهرمي بحيث تكون حافتاها الحادتان مواجهتان للشرق والغرب ، فانها لا « تبرد » ، بل قد تبقى حادة لشهور طويلة .. على اية حال جرب لتعرف !

ويقولون ايضا ان الشكل الهرمي يؤدي الى شفاء المصابين بامراض انفصام الشخصية ، وان بعض سحرة القبائل يضعون على رؤوسهم اوعية على شكل هرم ، « واذا مرض احد من رجاله وضع الوعاء الهرمي على رأسه ، وراح يدق الطبول حوله بشكل خاص ، وان الموجات الصوتية التي ترتد على الشكل الهرمي ويمتصها تنفذ الى المراكز العصبية للمريض ، ويتم الشفاء » ! وطوبى للعقلاء !

---

* لمزيد من التفاصيل انظر كتابنا : دورات الحياة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ سلسلة المكتبة الثقافية ــ ١٩٧٨ ، القاهرة .

خاتمة

نحن لا ندعي اننا قد اوفينا هذا الموضوع حقه ، فهو اكبر من ان يستوعبه كتاب او عدة كتب من هذا الحجم ، لكننا ــ مع ذلك ــ نشعر باننا قدمنا ما يكفي ليطلع القارىء بنفسه على انماط من التفكير الاسطوري او الخرافي ، وما يقابلها من انماط في التفكير العلمي ، فحيث يعتمد العلم اساسا على منهج محدد وواضح للبحث عن الحقيقة في اية صورة من صورها ، وبحيث يؤدي المنهج الى الحقائق ذاتها مهما تكررت التجارب ، نرى العكس من ذلك في ميدان تلك البحوث الزائفة التي يصدعون بها ادمغتنا ليل نهار ؛ دون ان يؤدي ذلك الى تقدم ولو طفيف في تطبيق واحد قد ينفع البشرية في معاناتها من امراضها ومحاصيلها وزرعها وضرعها وسبل مواصلاتها .. الخ ... الخ .

والواقع ــ وكما رأينا دائما ــ ان العلم اذا دخل من الباب ، قفزت الخرافات هاربة من النوافذ ، لان العلم يجيء ــ في اغلب الاحيان ــ متسلحا بمنهجه القويم الذي لا خداع فيه ولا تدليس ، ولو كانت لتلك البحوث الخرافية مقومات جادة ، ودعامات قوية ، بحيث تعطي النتائج ذاتها ، مع تكرار التجارب نفسها ، لاستطعنا ان نقول انها تقوم على اساس يتبع نظم هذا الكون وشرائعه ، وعندئذ قد يعود القصور الى عقولنا ، ولا بد ــ والحال كذلك ــ ان نطور مداركنا ، ونحور تجاربنا ، لنصبح من تلك الحقيقة قاب قوسين أو ادنى .. فكم من نتائج برزت امام العلماء ــ سواء في معاملهم او او معادلاتهم ــ وران عليها بعض الشذوذ او الحيود عن المنهج الذي يراود عقولهم ، وقد يكون هذا الشذوذ ناتجا من خطأ في التجربة العلمية ، فاذا اعيدت مرة ومرة ومرات ، يظهر « الشذوذ » نفسه» وعندئذ نعترف اننا امام ظاهرة جديدة ومتكررة ، ولا بد والحال كذلك ان نطور مفاهيمنا وتجاربنا ، ونصقل معارفنا ، حتى نصل الى سرها وتفاصيلها ، فيتبين لنا انها ليست شاذة ، بل هي شيء جديد لم يفصح عن حقيقته لكل الاجيال السابقة .

وما اكثر هذه الظواهر الغريبة التي تقابل علماء الفيزياء والبيولوجيا والكيميـاء والفلك .. الخ .. الخ ، ولكن بالبحث والتمحيص تمخضت عن كشوفات ضخمة افادت البشرية فوائد جمة .. لكن هذا موضوع طويل ومتشعب ، وليس مجاله هنا ، لكننا ذكرناه هنا ذكرا عابرا ، لان العلماء كانوا يتوقون فعلا الى اعتبار بعض تلك الخرافات التي تتردد على السنة العامة ، وتعشش في عقولهم ، ظاهرة تستحق الدراسة والتمحيص ، وعندما جاءوها ليدرسوها ، بدت أمامهم كسراب خادع ، وليس للانسان في السراب من فائدة ولا مأرب ، بل ان السراب نفسه قد يجره الى المهالك !

وكما يغار رجل الدين الاصيل على دينه من الدنس والشبهات، وما قد يتعرض له هذا الدين من هزات وتأويلات قد تأتيه ممن ليسوا في احكامه وشرائعه راسخين ، كذلك يغار رجل العلم على علمه مما حل به من ادعاءات ظالمة ، واوهام باطلة ، ولهذا نشعر اننا قد قدمنا في هذا الجهد المتواضع ما قد يزيل الادران التي الصقوها بالعلم لصقا ، وفوق كل هذا نضع امام القارىء المستنير الفرق بين فكرين : فكر أسطوري مربح (لكتابه طبعا) ومريح ، وفكر علمي هدفه دائما أن يشقى ويكد ويبحث ويدقق ، لا أن يطلق لخياله العنان ، فيؤلف مجلدات من الاوهام ! .

ومما نعيبه على أجهزة الاعـلام انهـا تتعرض فقط للفكـر الاسطوري ، ثم لا تكلف خاطرها بذكر شيء عن الفكر العلمي ، فاذا غم عليها الامر فلا أقل من ان ترجع في هذا الى العلماء المتخصصين في فروع العلم المختلفة ... صحيح أن عملية البحث عن الحقيقة عملية شاقة ــ كما أوضحنا ، لكنها تستحق ذلك وزيادة ، اضف الى ذلك ان مقدمي البرامج الثقافية يقعون كثيرا في أخطاء كبيرة ، اذ يأتون بمن كتب عن هذه الامور المضللة ليناقشوه فيما كتب ، ثم تراه يصول ويجول ، ومقدم البرنامج يجلس امامه كالتلميذ الذي يؤمن على كلامه ، ويعني هذا مزيدا من الخرافات أمام سمع النـاس وبصرهم .

لكن المأساة قد تصل الى ذروتها عندما نعرف أن نسبة لا بأس بها من العلماء المتخصصين ـ في معاهد البحوث والجامعات ـ يعتقدون فيما يعتقد فيه عامة الناس ، وكأنما هم نبذوا معادلاتهم ونظرياتهم وقوانينهم ، وتركوها وراءهم في معاملهم ، وعن هذه الفئة يذكر لنا دكتور زكي نجيب محمود في كتابه « تجديد الفكر العربي » فقرة يقول فيها بحسرة « انك في يومنا هذا ليأخذك العجب أشد العجب ، اذا ما اتيح لك أن تجالس طائفة من رجال العلوم الطبيعية ، لتستمع الى ما يديرونه بينهم من أحاديث عن تصديق وايمان اذا ما فتح لهم موضوع الخوارق والكرامات ، انهم عندئذ يقبلون وهم في نشوة السعادة والرضى ان يحكى عن اصحاب الصلاح والطيبة والتقوى كل الخوارق التي تبطل اي قانون شئت من قوانين الطبيعة ، كأن الله تعالى يرضيه أن تكون سنته في كونه لهوا وعبثا ، ان هؤلاء العلماء وهم في معاملهم لا يقبلون الا أن تكون قوانين العلم حاسمة صارمة ، فما الذي يصيبهم اذا ما تركوا معاملهم وعادوا الى منازلهم يسمرون ؟ .. أيتركون عقولهم في معاطفهم البيضاء في حجرات المعامل ، ليعودوا الى منازلهم وقد فرغت رؤوسهم الا من الخرافة وانعدام النقد وسرعة التصديق ؟ .. ايثقل عليهم عبء العقل ، فيلقون به آنا بعد آن ليستريحوا في ظل الخرافة النــدي الطري الممتع اللذيذ ؟ ! » .

انها في الواقع ظاهرة غريبة متوارثة في العقول من قديم الزمن ، لا على مستوى العامة ، بل ايضا على مستوى الخاصة ، واحيانا خاصة الخاصة ، وقد يكون للعامة عذرهم ، لكن ما عذر العلماء التجريبيين الذين يدركون تماما أن العلم يعمل في النور ، ولا بد لانجازاته أن ترى النور ، في حين أن العلوم الكاذبة أو أشبــاه العلوم تعمل في الظلام ، وتعيش في الاوهام ، ولم تتمخض عن فائدة لها في حياتنا مستقر ومقــام ؟ ! .

ونود أن يؤتي هذا الكتاب المتواضع ثمرته المرجوة ، اذ لاحظنا انه في الكثير من الظواهر الخرافية التي بزغ عليها العلم بنوره ، ولت الاوهام الى الشقوق المظلمة كالفئران المذعورة .

بقي ان نقول : أن العلم النافع ، يجد دائما التطبيق الصحيح ، ويعطي دائما الثمرة المرجوة ، فالذين بحثوا في طبيعة الموجات الكهرومغناطيسية التي لا تراها عيوننا ، وعرفوا بأجهزتهم ومعداتهم الحساسة من اسرارها الشيء الكثير ، قد استفادوا من تطبيقها في مجالات لا تعد ولا تحصى .. فالكشف بالاشعة السينية على مواطن المرض ، كان احدى حسناتها ، وكذلك العلاج بها او بغيرها واحد من منجزاتها ، والاذاعة بالصوت (الراديو) والصورة (التليفزيون) احدى ثمراتها ، والاتصالات بين الاقمار الصناعية والمحطات الارضية دليل على صحتها ، وشبكات الرادار والبحث عن الثروات في باطن الارض بواسطة الاستشعار عن بعد باستخدام الاشعة تحت الحمراء .. الخ .. الخ ، كل هذا وغيره يشهد بحسنات العلم النافع ، لكن ماذا أفادنا به هؤلاء الا أن يتخذوا بحوثهم المزعومة وسيلة لخداع السذج والبسطاء ؟ ! .

ان محصلة هذا الانحراف الفكري عن شرائع الله في كونه العظيم ، يعني انحرافا في توجيه عقول الناس عامة ، والشباب خاصة ، وجهة لا عقلانية ، فبدلا من أن يسلكوا طريق العقل والصواب ، نراهم يعيشون في عالم التصورات الرديئة ، والاوهام المريضة ، وبدلا من ترشيدهم وارشادهم للبحث عن الحقيقة ، تكفيهم هذه الخزعبلات السقيمة .

« جفت الاقلام ، وطويت الصحف » ! .

مصادر الكتاب

الواقع أن المصادر التي استقينا منها مادة هذا الكتاب كثيرة جدا ، ولا شك أن القارىء قد وقع على العديد من المقالات المتنوعة في كل الجرائد والصحف العربية التي تناولت المواضيع المختلفة التي ضمناها هذا المؤلف ، وهي لم تتعرض ــ بطبيعة الحال ــ لاية تفسيرات علمية ، لان ذلك قد يكون فوق طاقة من كتب أو نقل أو الف .. يضاف الى ذلك الكثير جدا مما نشر في المجلات والصحف الاجنبية بشيء من الاثارة وهي على اية حال غير علمية .. ولهذا سنذكر فقط أهم المراجع التي لها صلة وثيقة بموضوع هذا الكتاب ، خاصة المراجع العلمية التي لها وزن خاص في تفسير الظواهر على اساس من دراسة وبحث وتقنين .

ا ــ اهم المراجع العربية :

١ ــ د. احمد ابو زيد	ماذا يحدث في علوم الانسان والمجتمع	عالم الفكر المجلد ٨ ــ العدد ١ ــ ١٩٧٧
٢ ــ د. التجاني الماحي	تاريخ الطب عند العرب	الخرطوم
٣ ــ الالوسي	بلوغ الادب في احوال العرب	
٤ ــ انيس منصور	القوى الخفية	المكتب المصري الحديث ــ القاهرة .
٥ ــ انيس منصور	أرواح واشباح	دار الشروق ــ
٦ ــ انيس منصور	الذين عادوا الى السماء	دار الشروق ــ القاهرة

المؤلف	الكتاب	الناشر
٧ ــ انيس منصور	الذين هبطوا من السماء	دار الشروق ــ القاهرة
٨ ــ د. بول غليونجي	طب وسحر	الهيئة العامة للكتاب
٩ ــ جورجي زيدان	تاريخ التمدن الاسلامي	الهيئة العامة للكتاب
١٠ ــ جيمس فريزر « سير »	الغصن الذهبي	ترجمة وتعليق دكتور أحمد أبو زيد
١١ ــ راجي عنايت	الاطباق الطائرة ومخلوقات الكواكب	سلسلة مقالات نشرت بمجلة المصور القاهرية
١١ ــ د. رؤوف عبيد	الانسان روح لا جسد	
١٣ ــ شفيق مهدي الحداد	مجلة التراث الشعبي ــ الطب الشعبي في واسط ــ	العدد ٨ عام ١٩٧٤
١٤ ــ عبد الرزاق نوفل	من أسرار الروح	كتاب اليوم ــ العدد ١٢١ ــ ١٩٧٧
١٥ ــ عبد الرزاق نوفل	صنع الله	كتاب اليوم ــ العدد ١٣٧ ــ ١٩٧٨
١٦ ــ د. عبدالمحسن صالح	الضوء والخدعة	دار الفتى العربي بيروت
١٧ د. عبد المحسن صالح	الميكروبات والحياة	الهيئة العامة للكتاب القاهرة
١٨ ــ د. عبد المحسن صالح	معارك وخطوط دفاعية في جسمك	الهيئة العامة للكتاب القاهرة
١٩ ــ د. عبد المحسن صالح	البحوث الروحية بين الخدعة والحقيقة	مجلة العربي ــ العدد ٢٢٤ ــ ١٩٧٧
٢٠ ــ د. عبد المحسن صالح	سرهالات النور التي تظهر فوق الرؤوس	مجلة العربي ــ العدد ٢٣٠ ــ ١٩٧٨

٢١ ـ عبدالمنعم حسن — الجراحات الروحية والمعجزات الطبية — سلسلة مقالات عام ١٩٧٧ في مجلة الاذاعة والتليفزيون

٢٢ ـ كمال الدين الميري — حياة الحيوان الكبرى

٢٣ ـ نخبة من العلماء — دائرة المعارف الاسلامية — دار الشعب ـ القاهرة

ب ـ المراجع الاجنبية :

24 - Annon. Uri Geller Powers come from other world Intelligence; Says a Famous Scientist. Psychic News. No. 2181. 1974.

25 - Backster, Cleve The Mysterious Life of Plants. Cassell 1972.

26 - Blanc, M. Fading Spoon Bender New Sci. b Vol. 77, No. 1090. 1978.

27 - Book of Popular Science. The Regin of the Ghost : Primitive Man's Belief in Spirits. Vol. 5 p. 305-311. 1958.

28 - Chesterman, J. & Others. An Index of Possibilities. Clanose Publ. 1974.

29 - Clark, D., Parkinson, J. and Stephenson, R. Nova in 5 B.C. explains Star of Bethlehim. Quarterly J. of the Roy. Astr. Soc., vol. 18 p. 443, 1977.

30 - Droscher, V. The Magic of the Senses. Allen 1969.

31 - Gould, D. Spirits, Doctors and Disease. New Sci. vol. 70 No. 1002. 1976.

32 - Hanlon, J. Uri Geller and Science. New Sci. vol. 64 No. 919. 1974.

33 - Hanlon, J. Spoon Bending Science New Sci. vol. 75 No. 1060. 1977.

34 - Kettelkamp, L. Investigating UFO's. Ronald Stachy, 1972.

35 - Kiev, A. ed. Magic, Faith and Healing. The Free Press.

36 - Kolobkov, N. Our Atmospheric Ocean. Moscow.

37 - Krippner, S. & Rubin, D. ed. The Kirlian Aura. Anchor Book. 1974.

38 - Kruif de, P; Microbe Hunters. Pocket Books 1945.

39 - Lane, E. Electrophotography. (Kirlian Photo.) And/Or Press. 1975.

40 - Loebsak, T. Earth's Envelope. Collins. 1959.

41 - Massey, G. The Meretricious Triangle. New Sci. vol. 75. No. 1060, 1977.

42 - McGraw-Hill, Encyclopedia of Science and Technology. Plant Movements. vol. 10 p. 366 - 367. 1960.

43 - Morris, R. & D. Men and Snakes. McGraw-Hill 1965.

44 - Nolen, W.A. Healing : A Doctor in Search of a Miracle. Fawcett. 1974.

45 - Orr, C. Between Earth and Space. MacMillan 1960.

46 - Ridpath, I. Flying Saucers - Thirty Years on. New Sci. vol. 77. No. 1060. 1977

47 - Sagan, C. & Page, T. UFO's - A Scientific Debate. Cornell Univ. Press. London 1972.

48 - Steiger, B. & Whritenour, J. Flying Saucers are Hostile. Tandem. 1972.

49 - Tiller, W. Are Psychoenergetic pictures possible ? New Sci. Vol. 62, No. 895. 1974.

50 - Watson, Layall. Supernature. Coronet Books. 1973.

51 - Wells, H. G., Huxley. J. & Wells, G.P. The Science of Life. Cassell. 1938.

52 - Whitman, J. The Psychic Power of Plants. A Star Book. Allen. W.H. 1975.

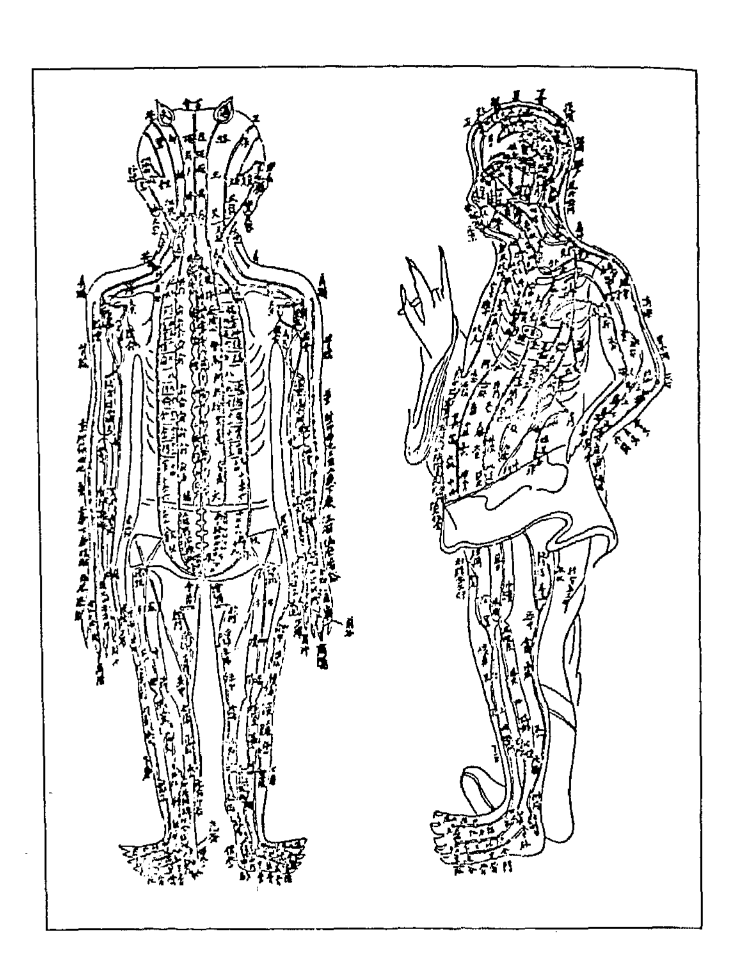
53 - Wilson, M. & The Editors of Life Energy. The Life Inter. Nederland. 1965.



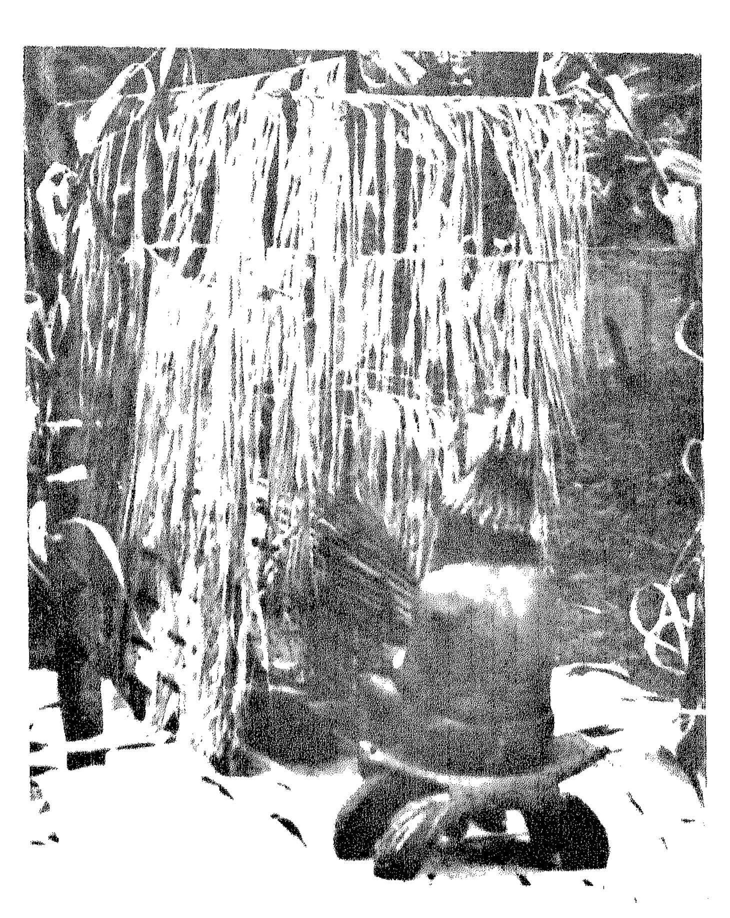


الأشـكال المصـورة





شكل (٣ أ) صورة قديمة توضح قنوات الجسم التي تسري فيها ((الين)) و ((اليانج)) ، وعليها المواقـــع المناسبة لغرس الابر .

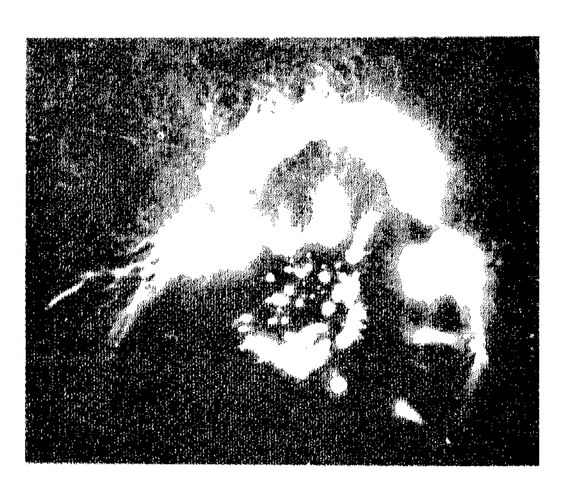


شكل (٢ ب) « طبيب » مشعوذ يجري بعض الطقوس العلاجية لطرد الروح الشريرة من مريض — أو هكـــذا يعتقـــد !



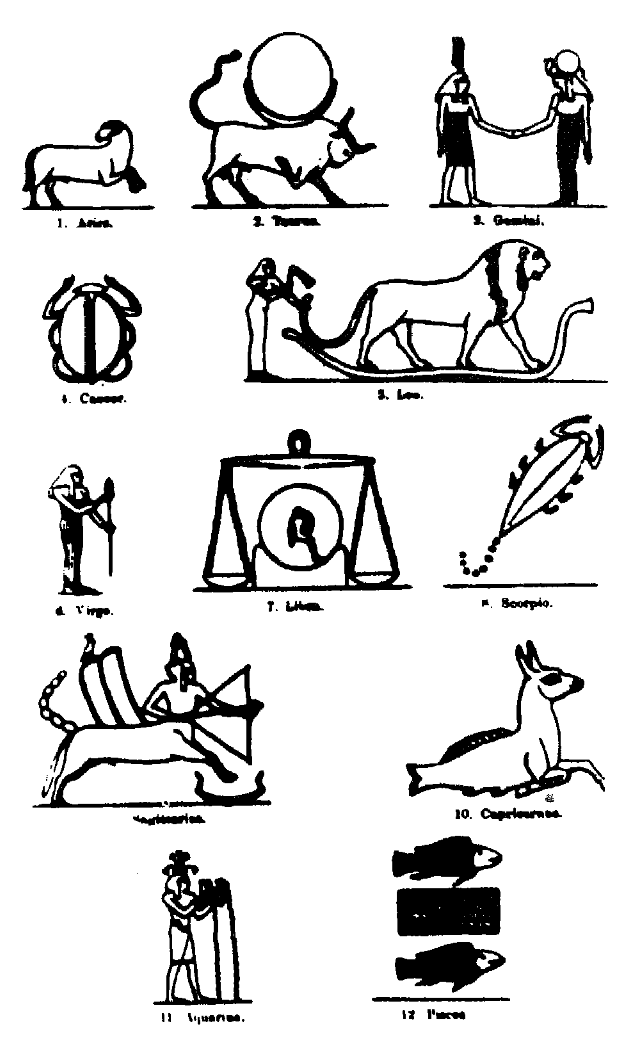


شكل (٢ أ) لا تزال القبائل البدائية تعتقد في الارواح الشريرة كمسببة للامراض ، ولهذا يعتمد « الطبيب » الساحر المشعوذ على طرد هذه الروح من المرضى بطقوس خاصة ، وتراه يرتدي هنا زيا مخيفا ظنا من أن ذلك يرعبها ، فتنطلق هوابة من جسم المريض .



شكل (١) الصورة العليا لاصبع معالج روحي محاطة « بهالة » ضعيفة في غير أوقات العمل والصورة السفلى لاصبع المعالج الروحي نفسه اثناء عملية تفريغ طاقته .. والصورتان تنطويان على خدعة تصويرية كما سيتبين لنا فيما بعد .





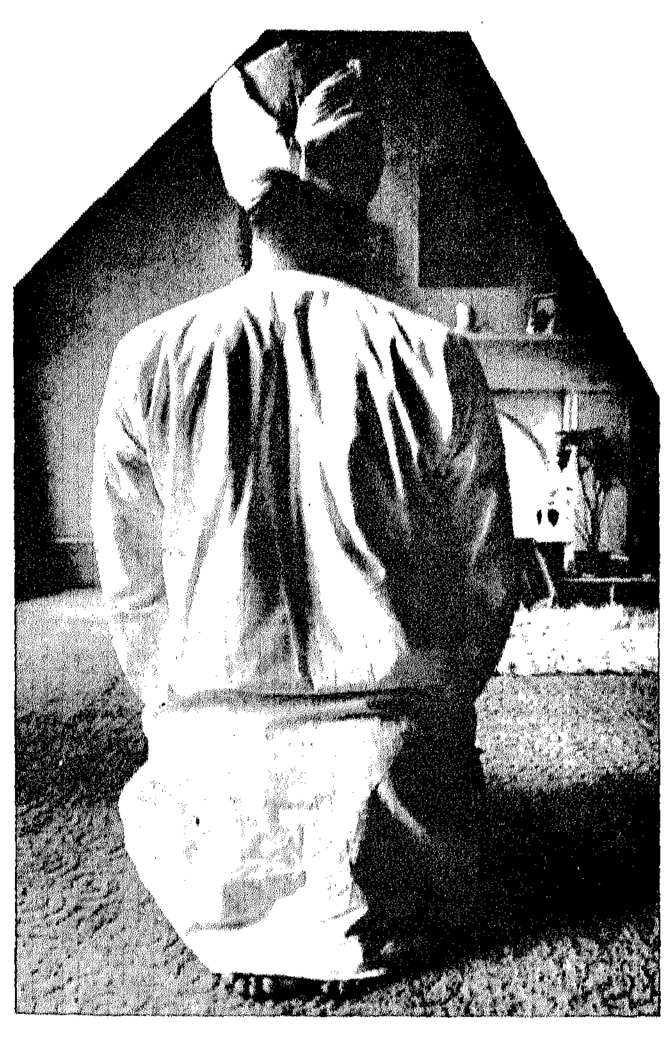
شكل (٤) ظن القدماء أن صحة الانسان ومرضه وخطه مرتبط ببروج السماء ، ولا زالت هذه الخرافة سارية حتى الان .. والصورة للبروج كما تخيلها قدماء المصريين .



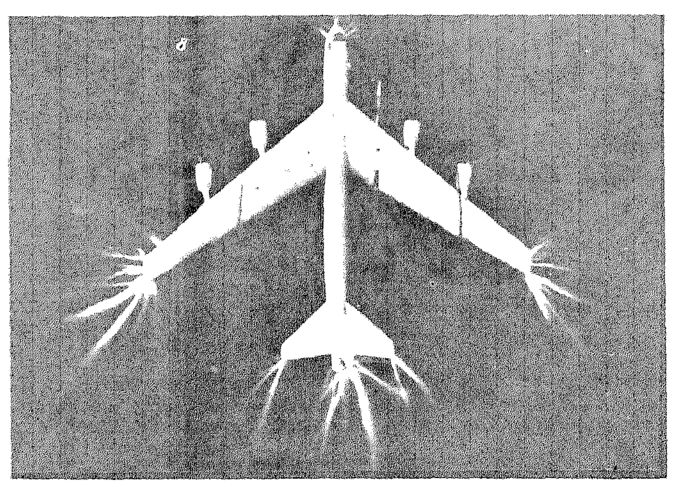
شكل (٣ ب) صورة حديثة التقطت لسيدة صينية وقد
تدلت من حول عينيها بعض الابر التي يزعمون أنها تعالج
عينيهـــا .



شكل (٦) لقد شحنت هذه الفتاة بكهرباء استاتيكية ، فتنافر شعرها لاكتسابه شحنات كهربية متماثلة ، وأحيانا ما تحاط « بهالة » مضيئة .. والصورة توضح كيف تضع يدها على مولد كهربي ذى جهد عال (مليون فولت) ، وتقف على عازل يعزلها عن الارض .



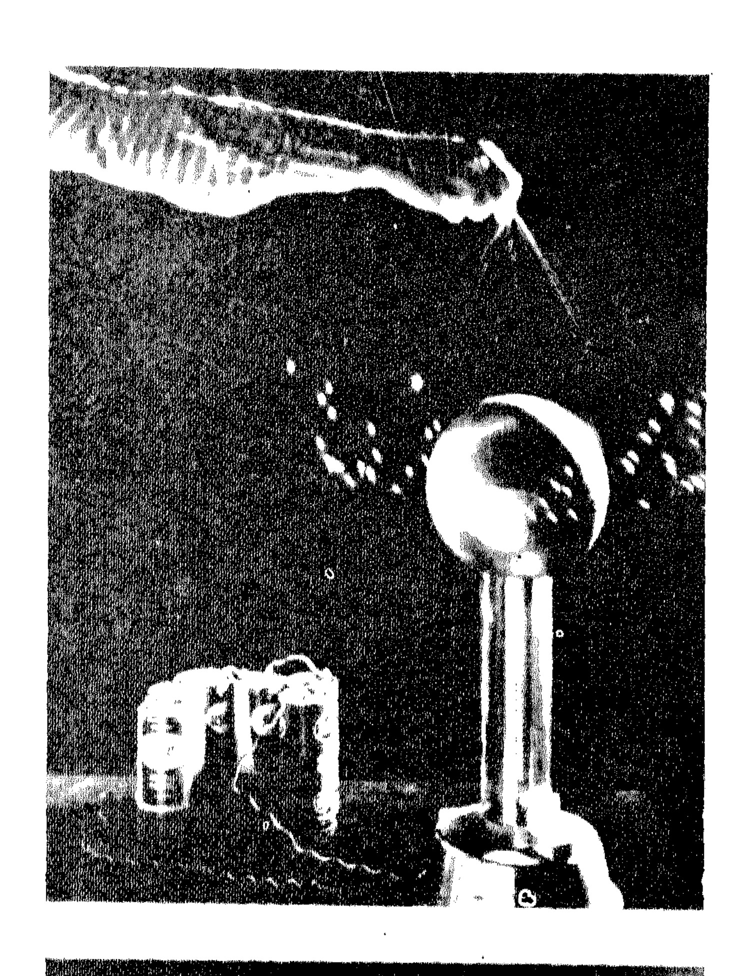
شكل (٥) أحد اليوجيين وهو في حالة صفاء ، وقد يؤدي ذلك الى بعض تغيرات فسيولوجية معترف بهـا علميا ، اذ قد يؤثر ذلك على الجهاز العصبي اللاارادي .



شكل (٨) نموذج لطائرة مشحونة بكهرباء استاتيكية .. لاحظ كيف ينطلق منها ما يشبه ألسنة اللهب ، وما هي بلهب ، بل « هالات » مضيئة تشبه ظاهرة « نار » القديس ايلمو ، وهي تدرس في المعامل بغية المزيد من التحصيل العلمي .



شكل (٩) ليست الصورة لروح تجسدت وأحاطت نفسها بهالة من نور ، ولكنها لرجل يدعى دكتور سترونج شحن نفسه بكهرباء استاتيكية ، فخرج منه اشعاع اضاء حول جسمه في الظلام .



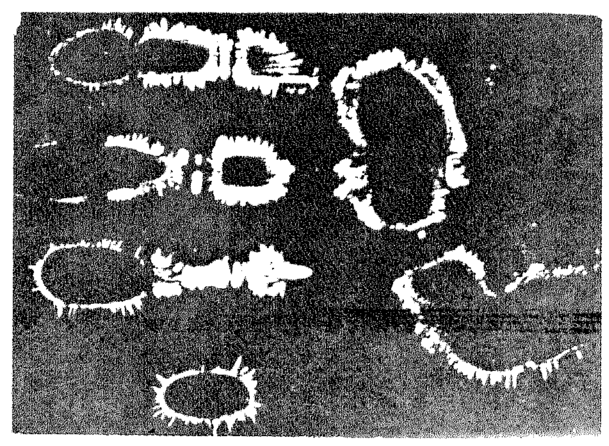
شكل (٧) يوضح كيف تكتسب كرات البنج بونج شحنة كهربية استاتيكية من كرة معدنية كبيرة فتتنافر الكور كما تنافر شعر الفتاة في شكل ٦



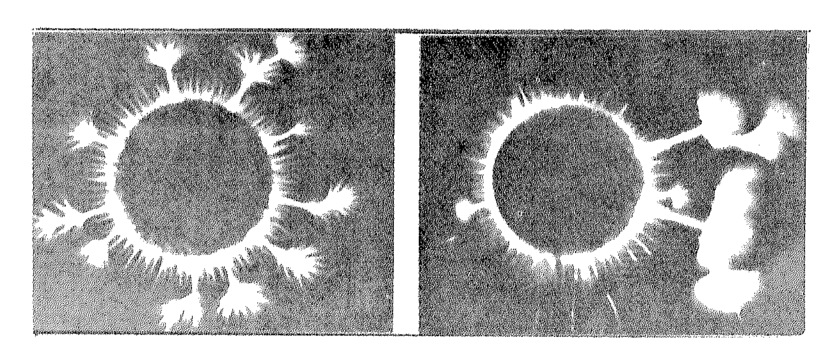
شكل (١٠ ج) صورة لصرصور بالتصوير الكهربي أو الكيرلياني . . لاحظ انبثاقات الضوء من قرني الاستشعار ومن رجليه الخلفيتين .



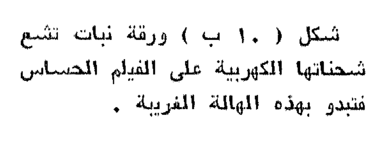
شكل (١٠ د) والعملة المعدنية أيضا هالتها الناتجة عن تفريغ كهربي محدد .



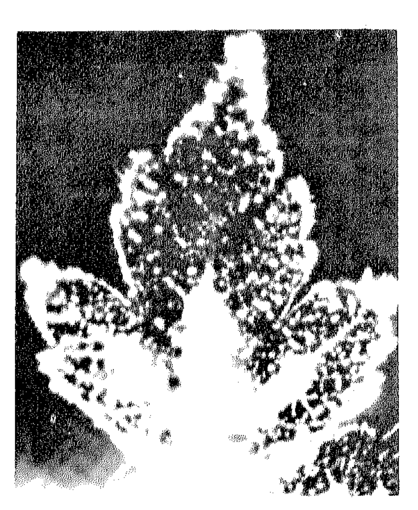
شكل (١٠ هـ) الصورة توضح يدا بشرية بالتصوير الكيرلياني ، ومن كل اصبع تنطلق شحنة مختلفة تبدو على هيئة هالة على الفيلم الحساس .



شكل (١٠ أ) يوضح كيف يتأثر التصوير الكيرلياني بالغازات المختلفة ، فيعطي أشكالا متباينة لقرص معدني الـى اليمـين عليه خليـط من غازي النيتروجين ورابع كلوريد الكربون ونفس القرص الى اليسار وعليه غـاز الفريون .. لاحظ كيف تختلف الهالة بين هذا وذاك .



شكل (١٠ ب) ورقة نبات تشع شحناتها الكهربية على الفيلم الحساس فتبدو بهذه الهالة الغريبة .

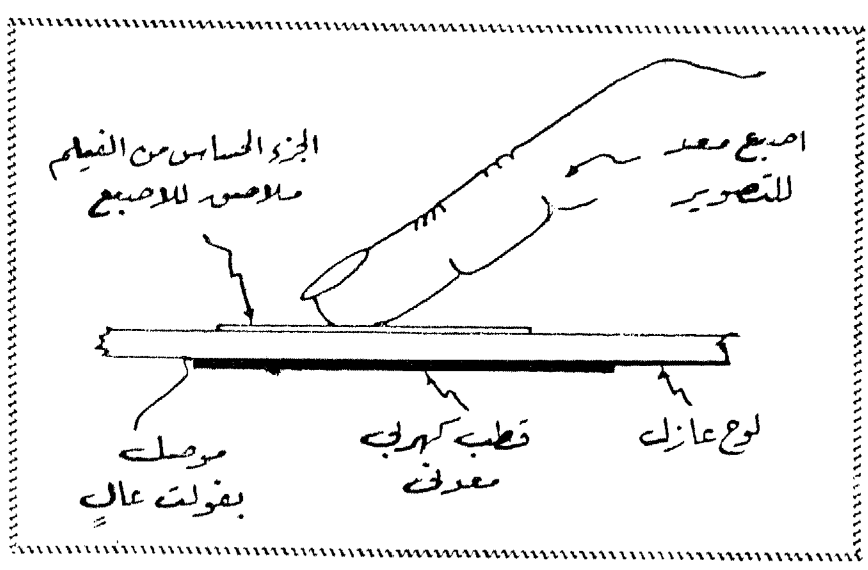




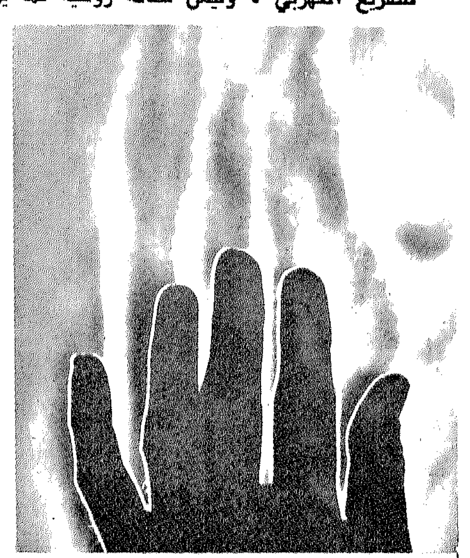
شكل (١٣) صورة لورقة نبات على فيلم ملون التقطت عليه بالتصوير الكيرلياني ، وظهر في أعلى الصورة الجزء المبتور من الورقة ، ولقد أعيدت هذه التجربة فلم تعط هذا الاثر ، ومن هنا أصبح مشكوكا في صحتها .



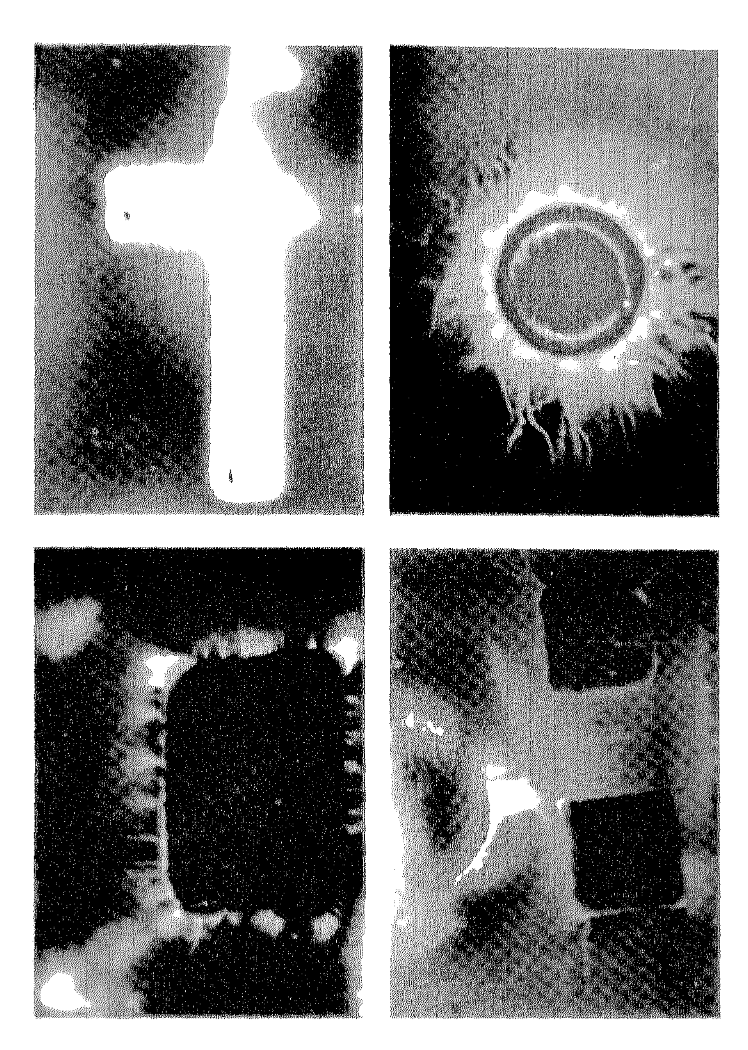
شكل (١٤) زهرة بالتصوير العادي ثم بالتصوير الكيرلياني وحولها تنتشر هالة مضيئة (الى اليمين) .



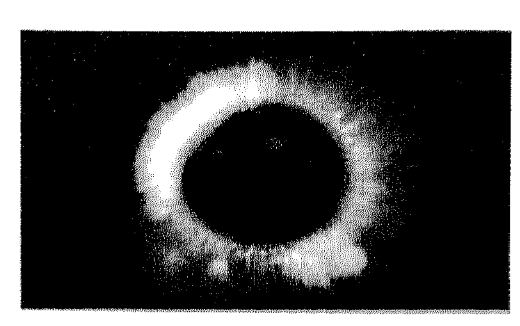
شكل (١١) يوضح بطريقة مبسطة كيفية الحصول على صورة لطـرف اصبع بالتصوير الكيرلياني ، فتظهر له هالة على الفيلم الحساس نتيجة للتفريغ الكهربي ، وليس لطاقة روحية كما يزعم أنصار الروحية .

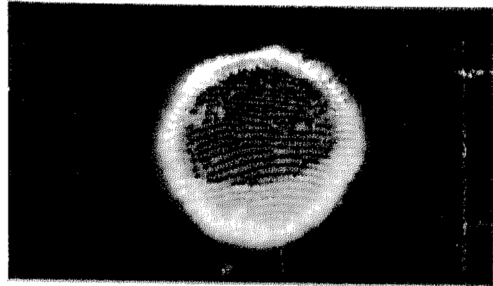


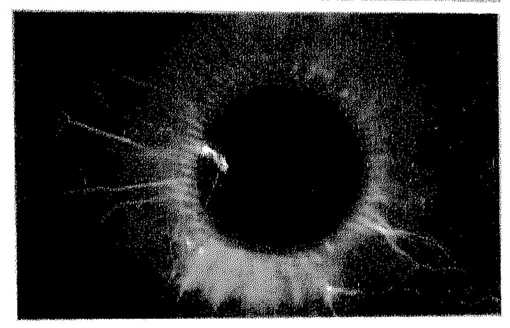
شكل (١٢) صورة للاصابع بالاشعة تحت الحمراء المنطلقة منها منؤثر في الفيلم الحساس لتعطي هذا الاثر الذي يشبه الهالة أو اللهب .

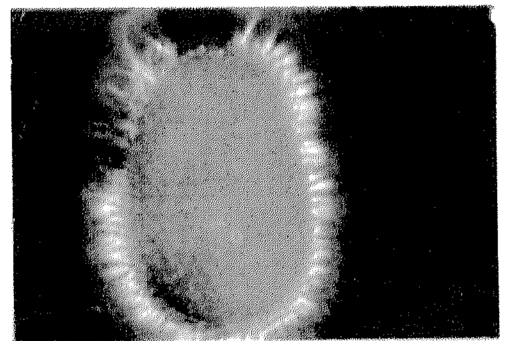


شكل (١٥) هالات مختلفة على عملة معدنية (يمين اعلى) وصليب وطرف اصبع امامه قطعتان معدنيتـــان ممغنطتان (يمين تحت) ثم قطعة حديد ممغنطة (يسار تحت) .. لاحظ اختلاف الهـــالات الناتجـــة من تفريـــع الشحنات على الفيلم الملون .



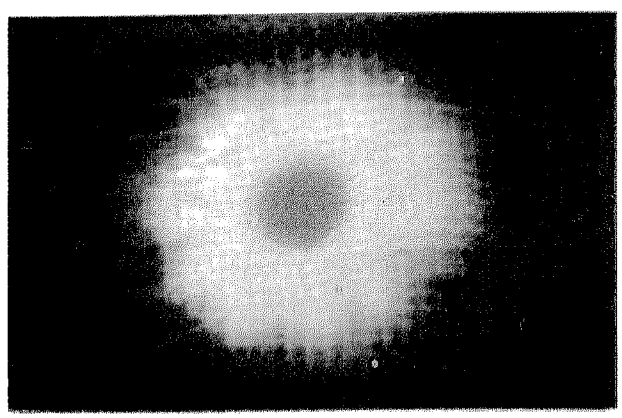






(شكل ١٦) يوضح كيف يختلف شكل طرف السبابة على الفيلم الملون باختلاف طريقة التصوير الكيرلياني والجهد الكهربي المستخدم ونوع العازل بين الاصبع والفيلم .. الخ .

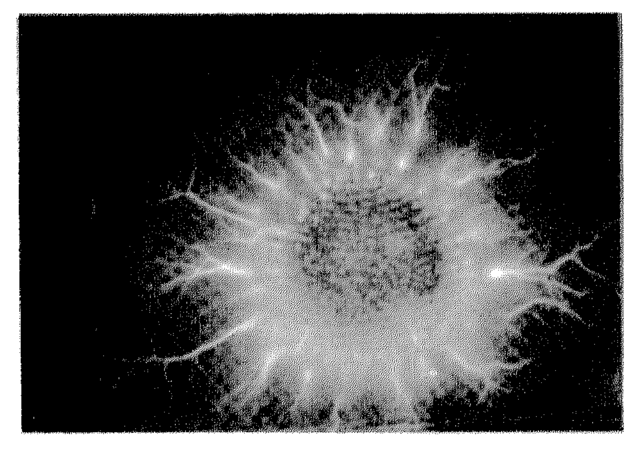
● والصورة الوسطى (ص ١٧) لورقة نبات مقطوعة من وسطها ، ولم تتضح فيها ظاهرة الورقة الشبح التي ظهرت في شكل ١٣ والاختلافات ـ كما هو واضح هنا ـ لا ترجع عندئذ الى اختلاف في الطاقة الروحية التي يزعمونها .



سلك من مادة
الزجاج بالتصوير
الكيرلياني



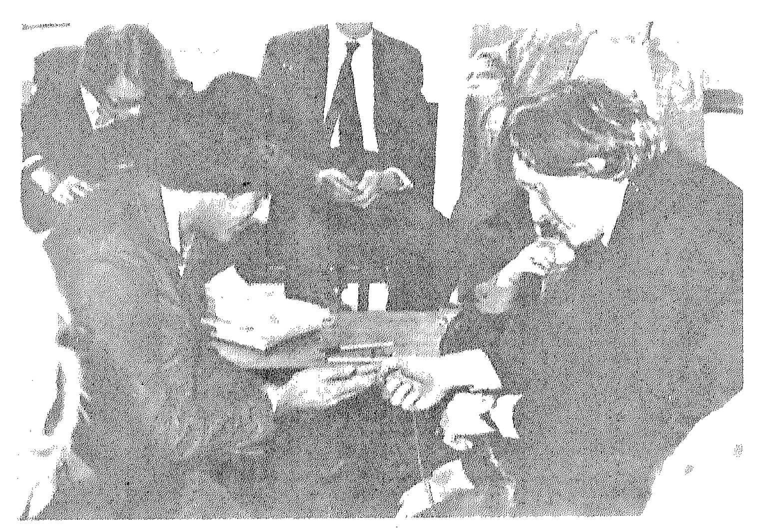
ورقة نبات



حاجز من الحرير
بالتصوير الكيرلياني



شكل (١٧) يورى جيللر وهو ينظر الى قضيب معدني مدعيا انه قد ثناه بنظرة من عينيه .. لكن الامر ينطوي على خدعة .



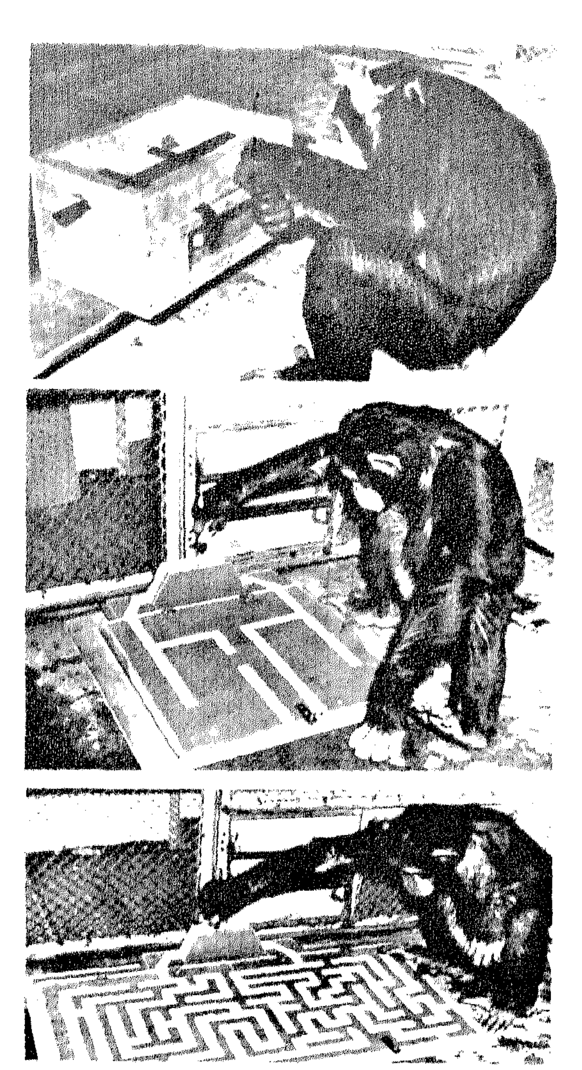
شكل (١٨) يورى جيللر — الى اليسار — بين عدد من الصحفيين الذين اصبحوا له بوق دعاية ممتازة ، وهو يحاول أن يثني مفتاح أحدهم بطاقته الخفية ، ولقد ثناه بخدعة ذكية وليس بنظرة عين !



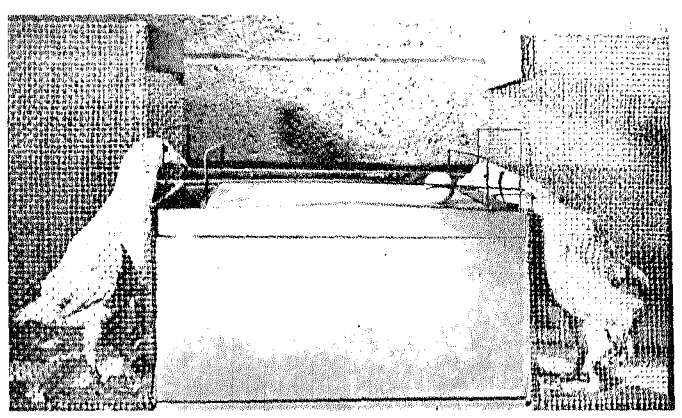
شكل (١٩ أ) الحية لا تسمع أصوات عالمنا ، لكن الذي يجعلها تتمايل يمنة ويسرة حركة المزمار أمام عينيها ، وليس نغمة .



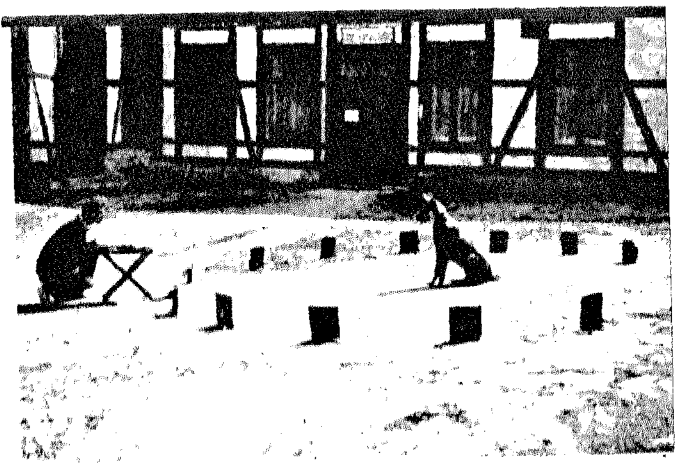
شكل (١٩ ب) والكوبرا أيضا لا تسمع ، فليس لها آذنان ، لكنهـا تحس بدبيب راحة يد المرأة ـــ كما تراهـا في الصورة ـــ علـى الارض ، فتستجيب لها ولحركة رأسها ويديها بعد ذلك .



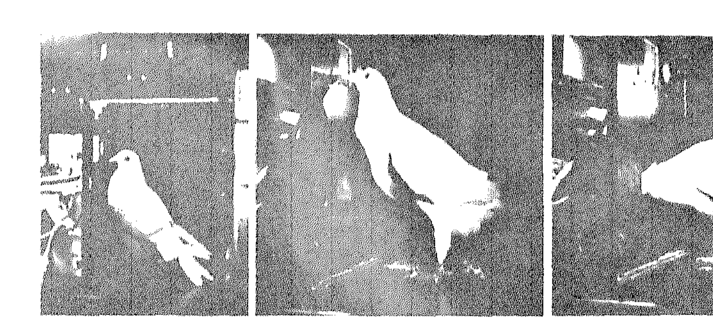
شكل (٢٠ أ) الشمبانزي يتلقى تدريبات خاصة في معامل العلماء بغرض التوصل الى معرفة المزيد عن أسرار المخ والسلـوك .



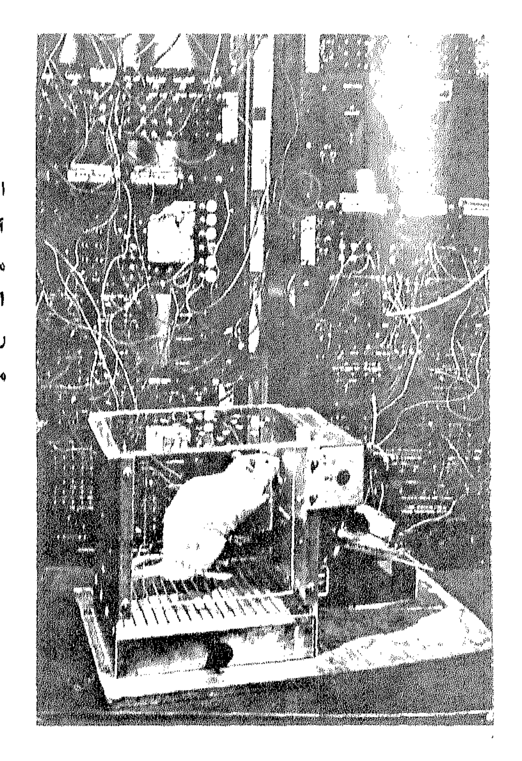
شكل (٢٠ ب) وللحمام في معامل العلماء تدريبات أخرى ، وفيها ترى كيف تقذف احدى الحمامتين بكرة البنج بونج الى الاخرى ، وهي تجارب القصد منها دراسة تطور المخ عند الحيوانات ، ودرجة الاستيعاب فـــي ذاكرتهـــا .



شكل (٢٠ ج) والكلب يجلس هنا كالتلميذ أمام معلمه وكانما هو يتلقى دروسا يعيها في ذاكرته ، ولهذه التدريبات عند العلماء مغزى ولهم فيهـــا مآرب أخـــرى .



شكل (٢٠ د) أجهزة ودجاج وحمام وتدريبات وجمع معلومات تفيد العلماء في ادراك الكثير من أسرار الحياة .



شكل (٢٠ هـ) ويتم التدريب والتسجيل والقياس أحيانا بأجهزة اليكترونية معقدة كما تراها هنا في حالة الفأر الذي يضغط على روافع بغية الحصول على ما يهواه .

(ب) (أ)

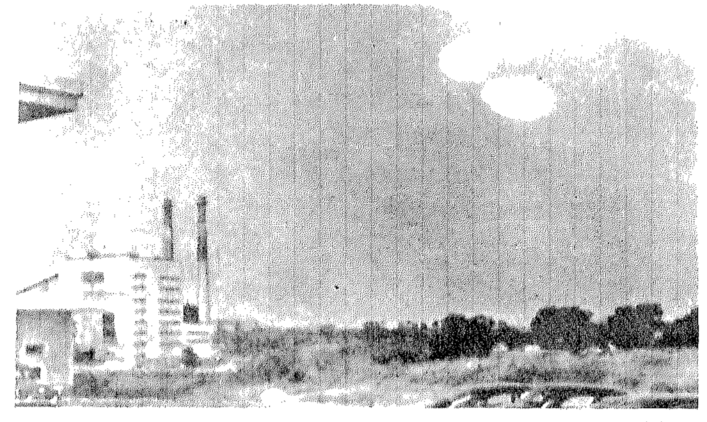
خلايا برانشيمية

حزمة وعائية

وسادة

(د) (ج)

شكل (٢١) نبات الميموزا وهو في حالته العادية (ب) وبعد أن ضغط عليه باصبع فانطوى ، (ج) ورقة النبات وقد ظهر منها الوسادة (د) مقطع لتوضيح الانسجة المسئولة عن هذا الانطواء .



شكل (٢٢) صورة لظاهرة جوية ناتجة من انعكاسات أرضية في طبقات الهواء تحت ظروف خاصة ، ولقد حسبها كينيث آرنولد أطباقا طائرة .



شكل (٢٣) اثنان ينظران معالم أرضية (أشجار ومآذن وقباب .. الخ) وقد تعلقت في الهواء .. انه نوع من السراب المعلق تحت ظروف خاصة .

المسار الصحيح

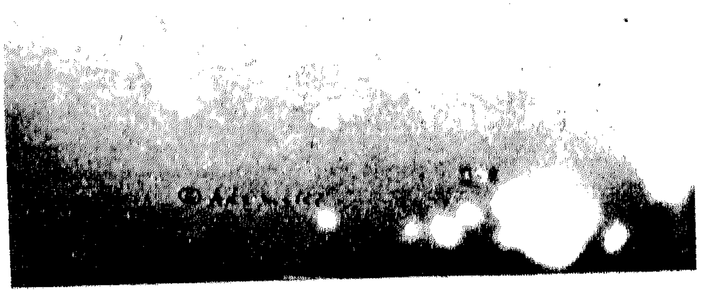
المسار المنكسر أو المنحرف

رادار

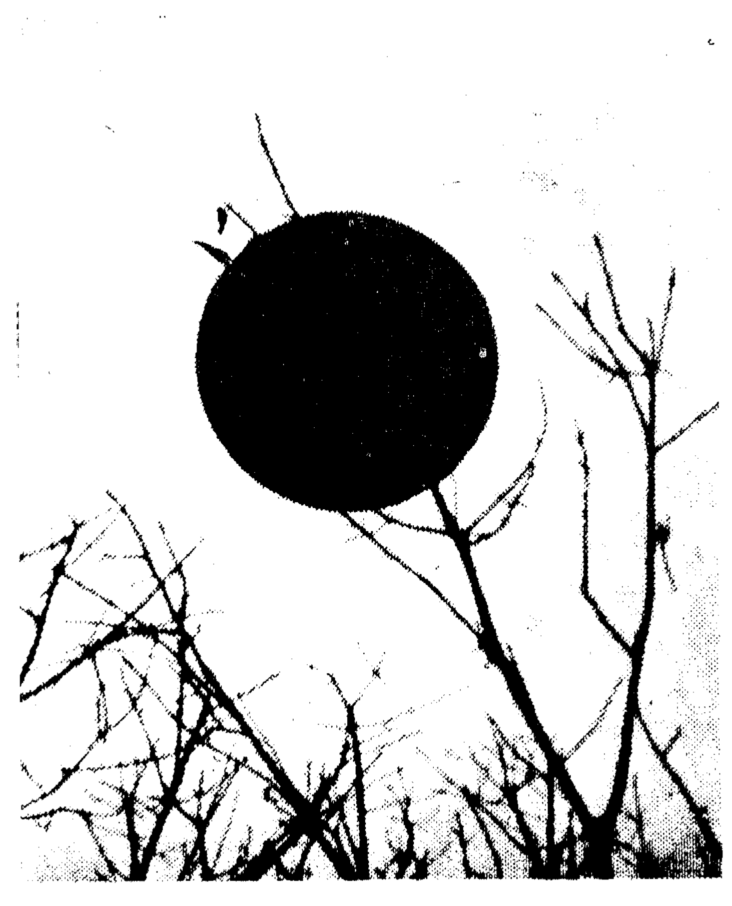
سطح الأرض أو البحر الذى يحدث عليه الانعكاس

شكل (٢٤) من المفروض أن تنطلق موجات الرادار الى اهدافها الهوائية في خط مستقيم ، لكن تحت ظروف جوية خاصة قد يحدث انكسار لهذه الموجات في طبقات الهواء ، فتصطدم على الارض ، وترتد الى الهواء ، ثم قد تصطدم وترتد مرة أخرى ، فتظهر بذلك أهدافا أرضية على شاشة الرادار ، وتعطى ظواهر خادعة .





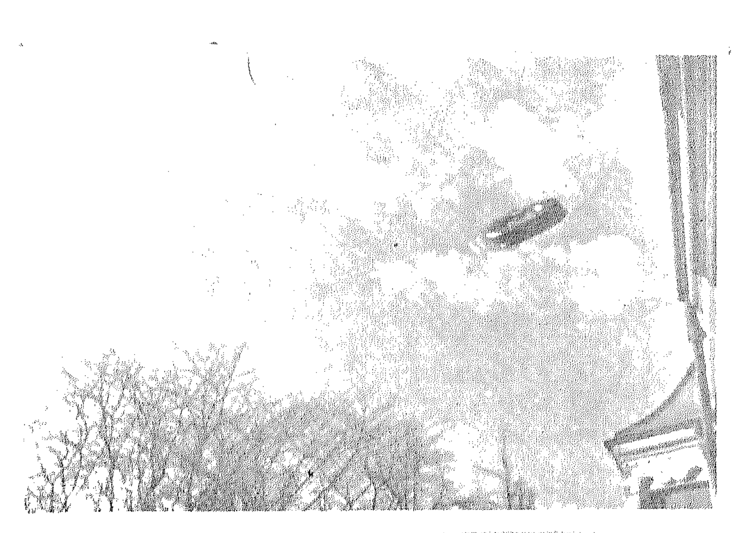
شكل (٢٥) طبق طائر من وحي خيال آدامسكي ، ويدعي أنه قد استقله مع الكائنات الكونية وطاف بـه أرجاء السماء .. ولا شك أن هذا الطبق خدعة من خدعه (انظر الصور التالية لترى كيف يقومون بهذه الخدع)

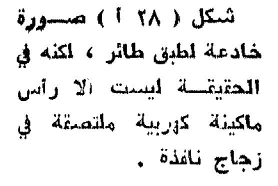


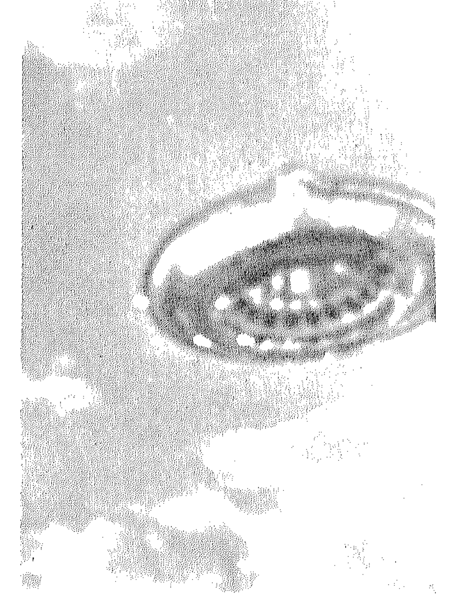
شكل (٢٦) ادعى صبي أنه التقط هذه الصورة لطبق طائر من بين الاغصان ، لكنه في الواقع قد أتى بقرص معدني وعلقه وصوره ، ومع ذلك انتشرت الانباء لتؤكد صحة ما ادعاه الصبي .



شكل (٢٧) في هذه الصورة يبدو ما يشبه طبقين طائرين مضيئين في الظلام فوق أحد مصانع الصلب (الى اليمين والى اليسار وسط الصورة تقريبا) لكن ذلك راجع الى انعكاس ضوئي بين عدسات الكاميرا فتعاقد هذا على ذاك فاعطانا هذا المنظر الغريب ورغم أن هذه الصورة قد أمكن تكرارها ، الا أن المعتقدين في الاطباق الطائرة يصرون على أنهما طبقان طائران !




شكل (٢٨ أ) صـــورة خادعة لطبق طائر ، لكنه في الحقيقـــة ليست الا رأس ماكينة كهربية ملتصقة في زجاج نافذة .



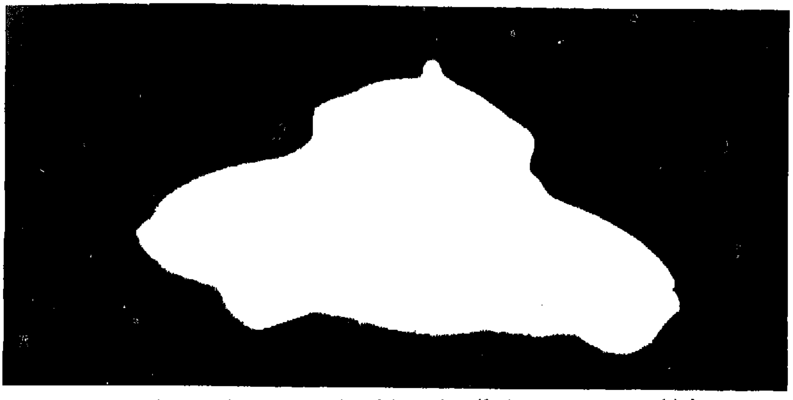
شكل (٢٨ ب) قدموهـــا على انها لطبق طـــائر ، ثم ثبت انها عصارة ليمون معلقة أمام زجاج نافذة وغير محددة البعد البؤري ، فظهرت غامضة .



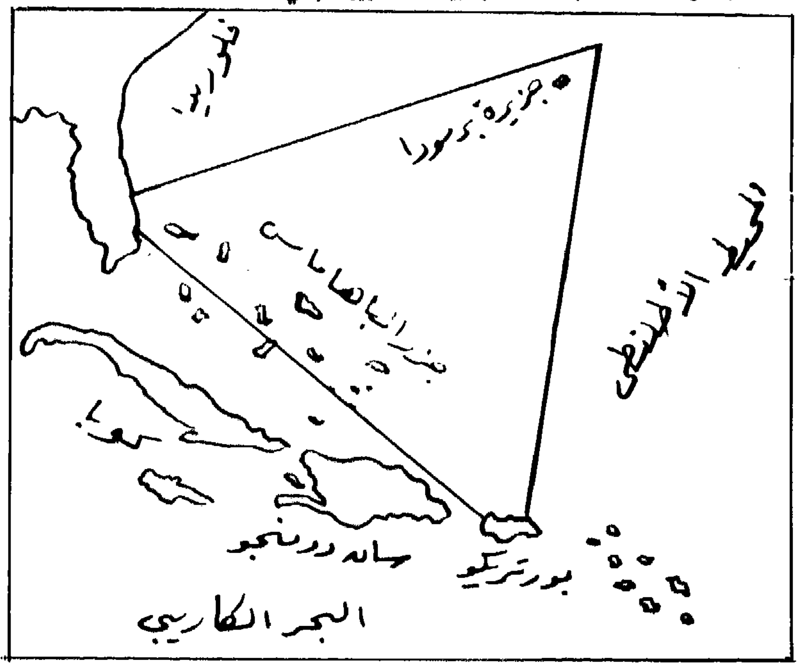
شكل (٢٨ ج) نشرت هذه الصورة على انها لطبق طائر ، ثم ثبت انها خدعة تصويرية لجزء من آلة تشريح الخضـــراوات ومعـــلقة بشريط مـــن السلوفان الشفاف الذي لم يظهر في الصورة لخدعة ضوئية في التصوير .



شكل (٢٨ د) زعم البعض انهـــم راوا أيضا الاطباق الطائرة تحلق حول القمر ، وفي الصورة ثلاثة منها ترى بوضوح على جزء من سطح القمر ، لكن الاطباق رسمت وبخدعة تصويرية بدت كانما هي على سطح القمر .



شكل (٢٩) زعموا أنه طبق طائر يشع بضوء باهر ، لكنه نموذج من الورق مدهون بمادة فوسفورية تضيء في الظلام ، ولقد التقطت الصـــورة بنفس الضوء المنبعث منها بطريقة التصوير البطيء .



شكل (٣٠) مثلث برمودا الذي حاكـــوا حوله كثـــيرا مـــن الخزعبلات والاساطير ، وتظهر رؤوسه عند جزيرة برمودا وجزيرة بورتريكو وفلوريدا .

المحتوى

صفحة

١ ــ الحضـــارة	تأليف : د. حسين مؤنس
٢ ــ اتجاهات الشـــعر العربي المعاصر	تأليف : د. احسان عباس
٣ ــ التفكير العلمي	تأليف : د. فؤاد زكريا
٤ ــ الولايات المتحدة والمشرق العربي	تأليف : د. احمد عبد الرحيم مصطفى
٥ ــ العلم ومشكلات الانســان المعاصر	تأليف : زهير الكرمي
٦ ــ الشـــباب العــربي والمشكلات التي يواجهها	تأليف : د. عزت حجازي
٧ ــ الاحــلاف والتكتــلات في السياسة العــالمية	تأليف : د. محمــد عــزيز شكرى
٨ ــ تراث الاســلام ــ ١	ترجمة : د. زهير السمهوري
٩ ــ اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	تأليف : د. نايف خرمــا
١٠ ــ جحــا العــربي	تأليف : د. محمد رجب النجار

١١ ـ تراث الاسلام ـ ٢	ترجمة : د. حسين مؤنس احسان صدقي العمد
١٢ ـ تراث الاسلام ـ ٣	ترجمة : د. حسين مؤنس احسان صدقي العمد
١٣ ـ الملاحة وعلوم البحار عند العرب	تأليف : د. انور عبد العليم
١٤ ـ جمالية الفن العربي	تأليف : د. عفيف بهنسي
١٥ ـ الانسان الحائر بين العلم والخرافة	تأليف : د. عبد المحسن صالح

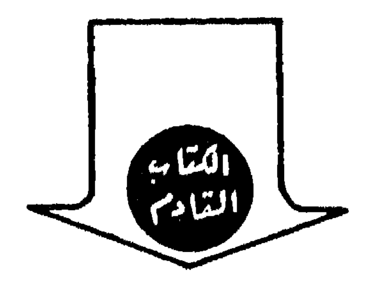




المؤلف في سطور

د. عبد المحسن صالح

- ولد في بني سويف ـ جمهورية مصر العربية .
- تخرج في كلية العلوم ـ جامعة القاهرة عام ١٩٥٠ ، وحصل على درجتي الماجستير (١٩٥٣) والدكتوراه (١٩٥٧) من كلية العلوم جامعة القاهرة في علم الكائنات الدقيقة .
- يعمل حاليا استاذا لعلم الكائنات الدقيقة بكلية الهندسة جامعة الاسكندرية .
- عضو في عدة جمعيات علمية ، كجمعية الميكربيولوجيا التطبيقية (مصر ـ بريطانيا) .
- نشر له أكثر من ١٥ كتابا في تبسيط العلوم، منها : الميكروبات والحياة ، دورات الحياة ، الفيروس والحياة ، معارك وخطوط دفاعية في جسمك . كما نشر له ٢٨ بحثا علميا متخصصا في الكائنات الدقيقة ـ معظمها خاص بالتلوث البيئي ، وهي منشورة في كبريات الدوريات العلمية المتخصصة في مصر والعراق وألمانيا وبريطانيا والسويد وامريكا .



النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية

تأليف

د. محمود عبد الفضيل

الكويت	٢٥٠	فلسا	ليبيا	٢٥	قرشا	عمان	٤	ريال
السعودية	٥	ريال	المغرب	٥	دراهم	اليمن الجنوبية	٤٠٠	فلس
العراق	٣٠٠	فلسا	تونس	٥٠٠	مليم	اليمن الشمالية	٤ر٥	ريال
الاردن	٢٥٠	فلسا	الجزائر	٥	دنانير	البحرين	٤٠٠	فلس
سوريا	٣	ليرات	مصر	٢٥٠	مليما	قطر	٥	ريال
لبنان	٢ر٥	ليرة	السودان	٢٥٠	مليما	الامارات العربية	٥	درهم

الاشتراكات : يكتب بشانها الى المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ،
ص.ب ٢٣٩٩٦ — الكويت

